مجتمع وادي سوف

من خلال الوثائق المحلية
في القرن الثالث عشر (13هـ) التاسع عشر (19م)

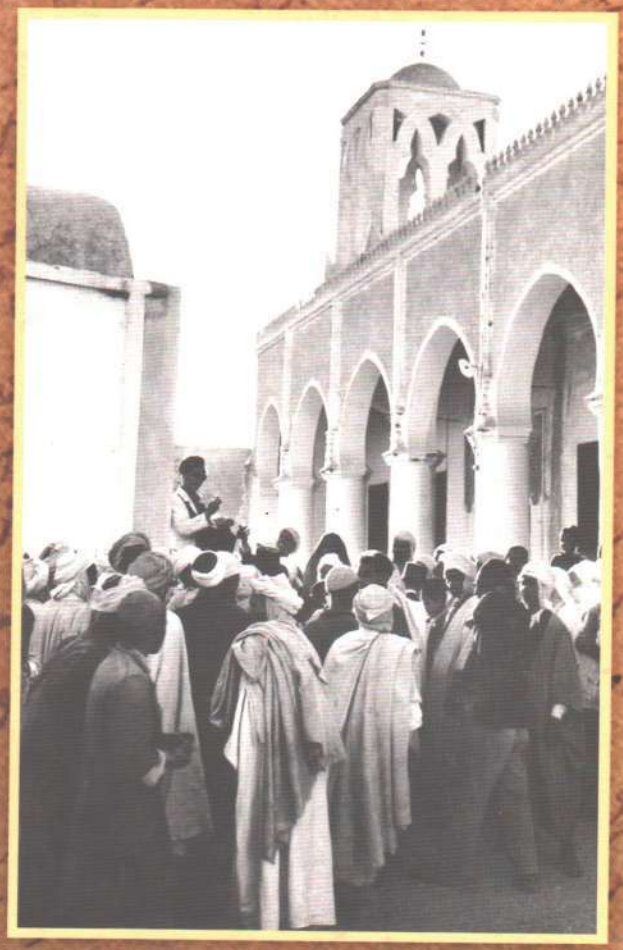

البروفيسور علي غنابزية

أستاذ بجامعة الوادي - الجزائر

عنوان الكتاب

مجتمع وادي سوف

من خلال الوثائق المحلية
في القرن الثالث عشر (13هـ) التاسع عشر (19م)

تأليف

البروفيسور علي غنابزية
أستاذ التعليم العالي
جامعة حمه لخضربالوادي - الجزائر

ردمك: 978-9931-625-52-0
الإيداع القانوني: السداسي الأول 2019

تصميم الغلاف
كمال خزان

الطباعة
مطبعة الرمال

ولاية الوادي / الجزائر
032 14 93 39
0557 97 44 43
imprimerierimel39@gmail.com

محفوظة جميع الحقوق ©

بسم الله الرحمان الرحيم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ
شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ
أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣
سورة الحجرات

صدق الله العظيم

الإهداء

إلى روح أبـــي الطاهرة، الـذي بـذل أغلى مـا عنـده من أجـل تعليمـــي، وكانـت عبـــرات الفرح تغمره كلما حققت نجاحا.

وإلى أمي الغالية، التي غمرتني بعطفها، وآزرتني بدعواتها الصالحة.

وإلى جميع إخوتي وأخواتي.

وإلى زوجتـي الفاضلة، التـي سهرت الليالي، تساعدنـي في التـرجمة حينا، وكتابة البحث وإخراجه في حلته النهائية حينا آخر.

وإلى كل أبنائي الأعزاء، مريم، ونور الهدى، وأحمد، وصفاء، وهالة، الذين ساهموا في النسخ والكتابة.

فأســتســمح كل هؤلاء الأحباب، واعتذر لهم عن تفريطي في حقوقهم أثناء إنشــغالي في إنجاز هذا البحث.

وإلى كافة أفراد المجتمع الســوفي الذين ســطّروا أعمالهم ومآثرهم في صــفحات التاريخ وعشــت معهم وقتا ممتعا خلال القرن التاسع عشر.

إلى كل هؤلاء الأعزاء الكرام أهدي هذا العمل المتواضع.

علي غنابزية

شكروعرفان

أتقدم بالشـكر الجزيل بعد توفيق الله وحسـن عونه، إلى كل من سـاعدنـــي وقدم لي وثيقة أو فكرة أفادني بها في إنجاز هذا البحث، وأخص بالذكر:

- الزوايا القادرية بالوادي والرويسـات، والزوايا التجانـــية بقمار وتاغزوت، والزاوية الرحمانـــية، العثمانـية بطولقة، والقاسمية ببوسعادة (الهامل) والعزوزية (السالمية) بالوادي، والهبـرية بقمار، وإلى كل الشيوخ والأعوان الساهرين على هذه الزوايا.

- مديـــرية المجاهدين بالوادي، متحف الوادي، مؤسـسـة الورود، ديوان السـياحة بقمار، ومكتبة البلدية، مكتبة دار الثقافة، وثانوية بوشوشة، ومدرسة الشهيد محمد ميهـي بلحاج بالوادي، ومدرسة الشهيد أحمد مولاتي بكوينين، مكتب العالمية للإعلام الآلي والانترنيت.

- أصحاب المكتبات الخاصة: محمد الدينوري سالمي، الشيخ خراز أحمد، والبشيـــر أحمدي، يحي بوضياف، عبد الباقي مفتاح، سالمي مصطفى، الحسين سالمي.

- وإلى كل الأساتذة: أحمد زغب، مسعود عاد، عاشوري قمعون، الجنيدي منصوري، سعد العمامرة، بسر عبد الحميد، علي عون أبو موسى، عمامرة اعمارة، علي حلواجي، محمود بن عزة، علي بوصبـيـع، بن موسى موسى، مناوي الزبـيـر، محمد قروي، السعيد بله باسي، غربـي عبد الكامل، تـركي عبد الرحمان، لخضـر السـعيدي، بلهادف بن سـالم، غنديـــر عبد الرزاق، صـالح فالح، بوراس اطليبة، محمودي محمد العيد، منصور بوبكر، عزالدين عمراني، عبد القادر عوادي، الصادق فقيري.

.. وإلى زملائي الأستاذ لزهر بديدة، حلواجي عبد الفتاح، مسعودي رضا، فطحيزة التجاني بشير.

.. وإلى كل الأساتذة الذين وردت أسماؤهم في البحث، وكان لهم عليّ فضل إنجاز هذا العمل قبل أن يكون واقعا ملموسا.

تصدير المؤلف

تُولي الدول المتقدمة، والمؤسسات العلمية في البلدان المتحضرة، أهمية كبرى للبحث في التراث المحلي، وتعمل جادة بتتبع حياة المجتمع وموروثاته الخبرية، لأن البحث في التاريخ المحلي يمثل لبنة بارزة وقوية في الدراسات القاعدية، ويكتسي مكانة بالغة لدى أفراد المجتمع، وينسجم ذلك ضمن عقد متماسك من التاريخ الوطني، وهذا الذي أكرمني به الله تعالى، عندما توجهت إلى البحث في تاريخ وادي سوف، في فترة زمنية لم تسبق دراستها، وهي القرن التاسع عشر، والتي شهدت مراحل الغزو الفرنسي للمنطقة، واستقرار إدارته المحلية، وما رافق ذلك من احتلال لتونس سنة 1881، وارتباطها بالمقاومات الشعبية خلال ثلاثة عقود متواصلة، أبدى فيها أهل سوف بطولات خالدة.

وكانت الدراسات ـــ سابقا ـــ مقتصرة على الكتاب الفرنسيين حول وادي سوف، بحكم تنفذهم واهتمامهم، وظل ذلك مؤجلا بانجاز دراسات بأقلام وطنية، واستمر الانتظار إلى سنة 2002، عندما تمكنت بفضل الله وحسن عونه، بانجاز هذه الدراسة العلمية الأولى من نوعها في مجالها، (ماجستير) بجامعة الجزائر، وانتشرت في الأوساط العلمية، وأنارت السبيل لدراسات جديدة، استفادت منها كثيرا، وأحدثت التواصل في الميدان العلمي، وكله في خدمة التاريخ العريق للمنطقة.

وكانت نفسي تواقة - خلال السنوات الماضية - بل متحفزة لنشر هذه المذكرة، ولكن قدر الله المقدور، جعل العام الجديد 2019، هو الزمن اللائق لطباعتها، حتى تصل إلى قراء المجتمع السوفي، الذي طالما طالب أفراده بطباعتها، والتي رسمت لهم أرضية البحث في مجال يحتاج إلى المزيد من البحث المعمق، لإزاحة الغموض، واقتحام ذاكرة النسيان، حتى تتجلى الأحداث التاريخية بشكل ناصع مبين. وقد حافظت عليها كما أنجزت أول مرة، ولم أغير فيها شيئا، لأنها أضحت من التاريخ الذي يجب أن يحفظ.

وأخيرا أتقدم بالشكر الجزيل لدار "**سامي**" للنشر، على تفانيهم في طباعة الرسالة، وأتمنى لهم التوفيق والسداد، ولكل من اطلع على هذا الكتاب؛ وأسال الله العلي القدير أن يغفر لي فيه كل زلل، وأن ينتفع بما فيه كل قارئ، انه سبحانه على كل شيء قدير واليه المرجع والمصير.

الأستاذ الدكتور علي غنابزية

الوادي: الأحد 06 جمادى الأولى 1440هـ

13 جانفي 2019

المقدمة

شهد القرن التاسع عشر تحولات كبرى، ذات أبعاد متعددة، سياسية واقتصادية، واجتماعية، وثقافية، تركت الأثر الفعّال في المجتمع الجزائري بمختلف مدنه وأقاليمه، وخاصة الصحراء الجنوبية الشرقية، ومنها منطقة وادي سوف، التي اخترت البحث في تاريخها، الذي يفتقر خلال القرن التاسع عشر إلى دراسة شاملة مستفيضة تستوعب أوضاع المجتمع، وتحدد ملامحه ومميزاته ضمن تاريخ المجتمع الجزائري، لأن الدراسات الحديثة لا تقتصر على جانب واحد بل تبحث في كل الجوانب، لتظهر تفاعلات المجتمع الداخلية والخارجية، و تطورات حياته السياسية والاقتصادية، ومظاهره الاجتماعية، وعاداته وتقاليده، وثقافته وسلوكاته الدينية، إضافة إلى الانعكاسات الايجابية، التي دفعت المجتمع نحو التطور والازدهار، وما قابل ذلك من تراكمات وصفات سلبية جسدت شكلا من التخلف والانحطاط. وتكشف حركية المجتمع ونشاطاته المتعددة، وعلاقاته الفعالة، وارتباطاته مع المجتمعات المجاورة، وتأثير ذلك الاحتكاك على التطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي للمجتمع السوفي.

أما أسباب اختياري البحث في حياة المجتمع السوفي خلال القرن التاسع عشر، فيرجع إلى أهمية هذا الإقليم، وتمتعه بموقع استراتيجي بارز ضمن الأراضي الجزائرية، ووقوعه بجوار دولتين هما: تونس وليبيا، وتفاعل سكانه اقتصاديا وثقافيا مع تلك المجتمعات، فضلا عن الأقاليم المجاورة في وادي ريغ وبلاد الزاب.

أما تحديد القرن التاسع عشر بالدراسة فيرجع لعدة اعتبارات منها:

- أن المجتمع السوفي قد تجاذبته عدة قوى داخلية وخارجية في بداية القرن التاسع عشر، ومنها سلطة الباي في بايلك الشرق الجزائري وسلطة بني جلاب في وادي ريغ، في الوقت الذي كان الإقليم يعيش في وضعية شبه مستقلة سياسيا عن تلك القوى.

- أن القرن التاسع عشر شهد تحولات معتبرة أهمها: زوال الحكم العثماني في الجزائر وبياليكها، ودخول الاستعمار الفرنسي للجزائر، وسعيه الحثيث بالتوسع في أرجاء البلاد خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ووصوله إلى الصحراء ومنها منطقة وادي سوف ومحاولة احتلالها بداية من منتصف القرن التاسع عشر، في الوقت الذي شهدت فيه المنطقة تحركات واسعة للمقاومة الشعبية المسلحة.

- محاولة الاستعمار بسط نفوذه على المنطقة كان متزامنا مع إحكام السيطرة الفرنسية على البلاد التونسية المتاخمة لوادي سوف منذ 1881، وحينئذ بدأ الاستقرار الفرنسي بسوف.

وبناء على الاعتبارات السابقة اخترت لهذا البحث عنوانا هو: " **مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن التاسع عشر**" وقد دفعتني لاختيار هذا الموضوع عدة دواعي منها:

- توفر الإرادة والتصميم، والعزم على دراسة تاريخ الإقليم الذي كنت سابقا أعايش أحداثه التاريخية بحثا وتنقيبا في الوثائق والمصادر، وكان يمثل جزءا من اهتماماتي اليومية، فآثرت البحث فيه رغم الصعوبات التي كنت أدركها لأول وهلة، وخاصة ندرة المصادر وقلة الوثائق.

- عدم وجود دراسة وافية لتاريخ هذا المجتمع خلال القرن التاسع عشر الذي يعتبر بعضهم البحث في أحداثه التاريخية مجازفة خطيرة ذات عواقب مجهولة النتائج بسبب قلة المصادر وصعوبة الوصول إليها، وتداخل الأحداث، وتشعبها وتعقيدها.

- السعي الجاد لجمع الوثائق المحلية المخزونة في الزوايا ومؤسسات المجتمع، ولدى العائلات العريقة، وفي مكتبات الشيوخ والعلماء، والعمل على استثمار تلك الوثائق في البحث العلمي المنهجي وتثمين حقائقها قدر الإمكان، وحمايتها من التلف بسبب وقوعها في أكثر الأحيان في أيد لا تعرف قيمتها التاريخية.

- محاولة رسم صورة واضحة للمجتمع السوفي خلال القرن التاسع عشر، باكتشاف حركته الايجابية، ومظاهره السلبية ضمن المجتمع الجزائري عامة، واكتشاف العلاقة مع المجتمعات العربية المجاورة، وأثر ذلك الاحتكاك على التطور السياسي والاقتصادي والثقافي للإقليم.

وقد اعترضتني عند معالجتي لتاريخ هذا المجتمع عدة صعوبات، وواجهتني عدة تحديات، من أهمها:

- طبيعة البحث نفسه، الذي يدرس مجتمعا بأكمله يصعب التعرض بالدراسة لكل جوانبه، لأن الفترة الزمنية التي يغطيها طويلة تستغرق قرنا كاملا بكل زخمه التاريخي.

- إن الوقت المخصص لإنجاز الرسالة كان قصيرا، إضافة إلى بُعد المسافة بين مسكني والجامعة والمكتبات الهامة، وتعذر الوصول إليها بسهولة، وانشغالي بالعمل الذي يستحوذ على جل الأوقات الحية خلال اليوم.

- ندرة الوثائق وقلة الكتابات في تاريخ وادي سوف، وصعوبة الحصول على الوثائق التي يمتلكها الأشخاص، وتحرّجهم من نشرها، أو تسليمها لعدة اعتبارات شخصية. ورغم ذلك تصدّيت لهذه الدراسة بمعنويات عالية، وحاولت قدر الإمكان، أن أجمع الوثائق وأبحث دقائق المخطوطات التي استطعت الحصول عليها، واستخرجت منها بعض الحقائق المعتبرة، وعند غياب الوثائق والمصادر في بعض العناصر، كنت استدرك النقص الملحوظ بالرجوع إلى المراجع العربية والغربية.

وقد قسمت دراستي إلى مدخل وأربعة فصول وخاتمة. وتوخيت التسلسل المنطقي في ترتيب الفصول رغم صعوبة التجزئة، لأن عناصر الموضوع ذات وحدة عضوية متكاملة، وتعمدت تقديم الجانب

السياسي عن غيره باعتباره الهيكل الأساسي للمجتمع ويليه الجانب الاقتصادي الذي يمثل الروح داخل الكيان السياسي، ويلي ذلك الحياة الاجتماعية ذات السلوكات والمظاهر العامة الناتجة عن النشاطات السياسية والاقتصادية، وختمت البحث بالفصل الأخير الذي خصصته للجانب الديني والثقافي لأنه عامل مؤثر في العناصر الثلاثة السابقة.

أما المدخل فهو عبارة عن تمهيد للدراسة، احتوى على تحديد الإطار الجغرافي لإقليم وادي سوف، وأقسامه، واختلافاته الطبيعية والمناخية، وجذوره التاريخية في نهاية القرن الثامن عشر في ظل العهد العثماني، وعلاقة ذلك بالمنطقة الجنوبية الشرقية بصفة خاصة.

أما الفصل الأول فبدأته بدراسة الحالة السياسية في النصف الأول من القرن التاسع عشر، والذي شمل أواخر العهد العثماني، ثم تطرقت إلى بداية الاجتياح الفرنسي للإقليم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حيث تم استقرار الإدارة الفرنسية الاستعمارية، وما صاحب ذلك من سعي فرنسي اتخذ وادي سوف منطلقا مؤازرا للمناطق الشمالية لاجتياح تونس، وفرض الحماية عليها. كما تعرضت في آخر الفصل إلى الحالة الإدارية وتطوراتها خلال عهدين متباينين، وكذا الشأن بالنسبة للقضاء الشرعي، والمحاكم المتعددة ودورها في حل المشاكل الخاصة بالأحوال الشخصية، وتوجيه السكان إلى السلوك الأفضل.

وقد تناولت في الفصل الثاني النشاط الاقتصادي للمجتمع، بداية من الزراعة، وأولها " النخيل " لأنها تمثل المنتوج الأساسي، وعصب الحياة الاقتصادية عند الأهالي، إضافة إلى زراعة التبغ، والزراعة المعاشية، والصناعات التقليدية التي حققت المتطلبات اليومية للمجتمع، وارتباط الإنتاج الزراعي والصناعي بالتجارة المحلية من جهة، ومساهمتها خارجيا من جهة أخرى، والذي وفر المتطلبات المادية والمالية وحقق نوعا من الثراء الاقتصادي.

أما الفصل الثالث فقد تعمقت فيه بإبراز الأسس والعلاقات الاجتماعية، بداية من البنية السكانية، وعناصرها الرئيسية، ومظاهرها في حياة البدو والحضر، فضلا عن الفئات الاجتماعية، ومستواها المعيشي ممثلا في الغذاء واللباس والمسكن، وحياة المدن والقرى وتنظيمها، والمستوى الصحي وتطوره خصوصا بعد الاحتلال الفرنسي للإقليم. كما تعرضت للعادات والتقاليد السائدة في المجتمع في تلك الحقبة التاريخية، بداية من العائلة السوفية ومظاهرها الاجتماعية، والأعراف المنتشرة عند أفرادها، والمنتديات والألعاب ووسائل الترفيه التي استوعبت جزءا هاما من أوقاتهم، إضافة إلى المعتقدات الغيبية وآثارها السلبية على المجتمع.

أما الفصل الرابع والأخير، فقد ركزت فيه على دراسة الحياة الثقافية والدينية، فكان على رأس المحور الثقافي، تشخيص التعليم بمختلف مستوياته وأشكاله ومناهجه، وطرق تدريسه، وأساسُه

التعليم القرآني، والتعليم ذو الطابع العربي الإسلامي الذي يشرف عليه السكان بأنفسهم، ولحق به في أواخر القرن التاسع عشر التعليم الفرنسي، بتشييد المدارس الأهلية. كما تعرضت إلى الثقافة والآداب الشعبية التي انتشرت أكثر من غيرها، مثل الشعر الملحون بمختلف أغراضه، وكان الشعراء يصفون المجتمع وصفا دقيقا، وكذا القصص والأساطير التي تلقى قبولا جماهيريا كبيرا. كما خصصت جانبا مهما من هذا الفصل لدراسة التراث الفكري المخطوط مبرزا دور النساخين يومذاك وخصائص فنهم، وأشهرهم في مدن وقرى سوف، والمكتبات الأهلية التي احتوت المخطوطات المنسوخة، إضافة إلى المكتبات التي أسسها الفرنسيون بعد استقرارهم. وقد ظهر من خلال ما سبق، التراث الفكري السائد آنذاك، في العلوم والآداب التي اشتغل بها العلماء والمفكرون.

أما الحياة الدينية فقد درست فيها مكانة الأولياء في المجتمع، وارتباط ذلك بالمعتقدات، والمناسبات والأعياد الدينية المتعاقبة، وحاولت تقديم وصف لتلك الظواهر، وتوضيح الصلة مع المراكز الدينية من مساجد وزوايا، والطرق الصوفية التي عمرتها. وأخيرا تم حصر أهم القباب والمزارات، وتصنيفها، وتوضيح آثارها على أفكار المجتمع.

أما خاتمة البحث، فقد جمعت فيها أهم النتائج، والخصائص، التي توصلت إليها في مختلف جوانب الدراسة.

وأتقدم بين يدي هذه الدراسة بأسمى عبارات الشكر والتقدير لأستاذي المشرف الدكتور عمر بن خروف الذي كان له الفضل الأول والأساسي، منذ كان البحث مجرد فكرة وعنوان، فسهر معي على إعداد الخطة، وبلورة عناصرها، ومناقشة المنهجية، وبذل جهودا معتبرة أثناء مراحل الدراسة، فكان مثالا للتسديد والتصويب والتوجيه حتى وصل البحث إلى شكله النهائي.

كما أتقدم بالشكر للدكتور ناصر الدين سعيدوني الذي كان عنوان البحث من اقتراحه، والدكتور أبي القاسم سعدالله الذي شدّ من أزري وشجعني للمضي قدما في إنجاز هذا البحث.

وأخيرا أقول: لا شك أن كل عمل ينجزه صاحبه يعتريه النقصان، ويشوبه الخطأ، ويؤثر عليه التقصير، فإن أخطأت وقصرت فذلك ضعف من نفسي، وإن أصبت فهو توفيق من الله سبحانه الذي أعانني وسدّدني في عملي فله الشكر والثناء الحسن في الأولى والآخرة، إنه نعم المولى ونعم النصير.

علي غنابزية

وادي سوف أوت 2001

المدخل

الإطار الجغرافي والجذور التاريخية لوادي سوف

- الإطار الجغرافي لوادي سوف
- الجذور التاريخية لوادي سوف

الإطار الجغرافي لوادي سوف

إن الدراســة التاريخية لمجتمع يعيش في بقعة محددة المعالم، يقتضــي تحديد المظاهر الجغرافية للمنطقة التـي يتواجد فيها ذلك المجتمع، لأنه يتفاعل مع البـيـئة التـي تتـرك بصماتها وآثارها المنعكسة على المجتمع سـلبا أو إيجابا. و" للمجتمع السـوفي " طبـــيـــعة صحراوية متميـــزة يمكن تتبع مظاهرها الجغرافية ومعالمها الطبيعية في السياق التالي:

1. معاني ودلالات " وادي سوف ":

إن منطقة " وادي سـوف " العريقة في التاريخ يحمل اسـمها المركب من كلمتـــي " وادي " و " سـوف " عدة دلالات تتوافق مع طبيعة المنطقة وخصائصها الاجتماعية والتاريخية.

أ) معنى " سوف ":

- معنـــى النهر المائي فالأساطيـــر القديمة تطلق الكلمة على نهر كان يجري بالمنطقة من الشمال نحو الجنوب ويدعى " **واد ازوف** " (**oued Izouf**)أي النهر الرقراق الذي كان يجري بالمنطقة والذي غار فـــي أعماق الأرض ولم يبق إلا مكانه، فتغير اسمه إلى " **وادي سوف** " [1]

كما أن سوف تعني في لغة زناته البـربـرية " **النهر** " [2] وعندما نقارن هذه الكلمة مع الكلمات البـربـرية القديمة (**Isouf**)و (**Asouf**)والتي تعني في البـربـرية الحديثة " **أسيف** "، نجدها توافق معنى " الواد " أو بمعنى أشمل "النهر " وتلتقي أيضا مع اللهجة التارقية في (**le Souf Mellon**)وتعني النهر الأبيض. [3]

ولما كان البـــربـــر هم سكان سوف القدماء فان أول الكتابات التـــي توصلتُ إليـــها كانت تطلق على المنطقة اسم " **أسوف** " وهذا ما ذكره المؤرخون الإباضيون ومنهم أبو زكريا (**ت 471 هـ**) [4]، وأبو الربـيع الوسياني في القرن السادس الهجري. [5]

ويعتبـر كتاب طبقات المشايخ للدرجينـي الاباضي (**ت 670 هـ**) [6] أقدم مصدر ذكر " سوف " بدون ألف، فيكون ظهور الكلمة في حدود القرن 13 م أي حوالي سنة (**1271 م**) .

---

1 - André Voisin – **le souf Manographie d'une region Saharienne** – Paris. 1985. Manuscrit- P30.

2 - J. Scelles – Millie – **Contes Sahariens du souf** - Maisonneuvre et larose -1964 – Paris – P 17.

3 - André voisin. op cit p 03.

4 - أبو زكرياء يحي بن ابـى بكر – **كتاب سيـر الأئمة وأخبارهم** – تحقيق إسماعيل العربـى، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 2، الجزائر، 1984، ج 2، ص ص244 – 250.

5 - أبو الربـيع الوسياني – **سيـر مشايخ المغرب** – تحقيق إسماعيل العربـي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1985، ج 2 ص ص26 – 83.

6 - أبو العباس احمد الدرجينـــي – **كتـاب طبقـات المشـــايخ بـالمغرب**- تحقيق إبـــراهيم طلاي، مطبعـة البعـث بقسـنطينـة، الجزائر 1974، ج 1، ص ص152 – 153. ج 2، ص ص482 – 500.

والمعنى الجغرافي يفرض نفسه، لارتباطه ببعض الخصائص الطبيعية للمنطقة، ففي اللغة العربية نجد كلمة " السوفة والسائفة " وهي الأرض بين الرمل والجلد، قال أبو زياد: السائفة جانب من الرمل أليين ما يكون منه والجمع سوائف، وعندما تثير الريح الرمل تدعى المسفسفة.[1] وهذا جعل أهل سوف يطلقون على الرمل اسم " السافي ".[2]

ومنهم من ينسبها إلى كلمة " السيوف " وأصلها كلمة سيف أي " السيف القاطع " وأطلقت على الكثبان الرملية ذات القمم الحادة التي تشبه السيف.[3]

والرحالة المغربي العياشي لما مر بالمنطقة في حدود عام 1662 م تحدث عن المنطقة في رحلته " ماء الموائد" بعبارة " **سف**".[4]

ويربط بعض الباحثين بين سوف وقبيلة مسوفة **(MASSOUFA)** التارقية البربرية، وما ذكره ابن خلدون، يفيد أنها مرت بهذه الأرض فلعلها سكنت زمنا أو فعلت فيها شيئا فسميت بها، وتوجد بعض المواقع القريبة من بلاد التوارق تحمل اسم سوف أو أسوف ومنها: إقليم " أدرار سوف توت "، [5] و"وادي اسوف " [6]

ب) معنى الوادي:

ويعني " وادي الماء " الذي كان يجري قديما في شمال شرق سوف، ويدعى منبعه " وادي الجبل " الواقع في نواحي بودخان، وعقلة الطرودي، والميتة. وله عدة روافد، وفروع منها: عيون النازية على مسافة 60 كلم شمال شرقي الوادي، وسمي هذا القسم وادي النازية، ووادي الجردانية.[7] وعندما يصل إلى منطقة الشط الشرقي يتفرع إلى ثلاثة فروع: يتجه أحدها شرقا نحو الطريفاوي، وينعطف آخر نحو الجنوب الشرقي ويدعى "واد وراغ"، حيث تغور مياهه بسبب كثرة الرمل، ويتجه فرع ثالث نحو الجهة الجنوبية الغربية ويدعى "واد زيتن".[8]

---

1 - ابن منظور – **لسان العرب** – الدار المصرية للتأليف والترجمة. بدون تاريخ. ج 11. ص66.

2 - الشيخ الطاهر اتليلي – **الفوائد المنثورة من المطالعات المبتورة** – مخ. توجد نسخة في النادي السياحي بقمار. ص128.

3 - ابراهيم العوامر – **الصروف في تاريخ الصحراء و سوف** – تعليق الجيلاني العوامر. الدار التونسية للنشر. تونس. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر. 1977. ص39.

4 - مولاي بالحميسي – **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني** – الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. ط 2. الجزائر 1981. ص92.

5 - تقع جنوب الصحراء الغربية ووادي الذهب.

6 - تقع جنوب عين صالح. انظر - **الأطلس العالمي** – المعهد التربوي الوطني الجزائري. الجزائر. 1983. ص31.

7 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق - ص ص48 – 49.

8 - نفسه. ص ص91 – 92.

وقد ورد في القاموس الموسوعي الحديث تعريف لوادي سوف باسم "النيل"، وأنه نهر صحراوي قديم، والذي غُطي مجراه الآن بالرمال، وهو التيرتون الذي ذكره الجغرافيون القدماء، وأن العرب الفاتحين الأوائل عرفوه تحت الاسم المطلق للنيل من نال: صار كريما ".[1] وذكره العدواني في القرن 17م باسم "غديرة النيل" بقوله " قال الراوي: ثم انحدروا إلى سوف وكان فيها يومئذ غديرة النيل ..." [2] والمقصود به " الوادي" لأن العرب قديما كانوا يعتقدون أن نهر النيل بمصر هو سيد الأنهار، أن الله سخر له سائر الأنهار لأن تمده بالماء، فاقتبس القدماء ذلك من الأثر الذي روي عن عمرو بن العاص.[3]

وذكر العوامر أن قبيلة "طرود" العربية لما قدمت للمنطقة في حدود عام 690 هـ/1292م، [4] أطلقوا عليه اسم " الوادي "، [5] والذي استمر في الجريان حتى القرن 8 هـ/ 14م. [6]

كما أطلقت التسمية عندهم على مواطن أخرى في الجهة الجنوبية الغربية مثل "وادي العلندة" [7] و"وادي الترك".[8]

ومما شبهت به طرود الرمال التي تذروها الرياح وتنقلها من طرف إلى آخر قولهم: "إن تراب هذا المحل كالوادي في الجريان لا ينقطع".[9] وفيما بعد صارت كلمة "الوادي" تطلق على عاصمة الإقليم والمركز الإداري لسوف كلها وهي مدينة الوادي.

مما سبق اتضح أن كلمة "سوف" بالبربرية هي نفسها الوادي بالعربية. وقد كان ذلك الوادي جاريا ثم صار جافا وتحولت مياهه إلى جوف الأرض حيث توجد بغزارة في الطبقة المعروفة باسم **(FLEUVE ALBIEN)** والتي استغلت في العصر الحديث. [10]

---

1 - Julles Trousset – **nouveau Dictionnaire Encyclopédique**- Librairie illustrée. Paris v 4. p 321.

2 - محمد العدواني – **تاريخ العدواني** – تحقيق الدكتور ابو القاسم سعد الله. دار الغرب الإسلامي. ط 1. بيروت. 1996. ص82.

3 - ياقوت الحموي – **معجم البلدان** – دار صادر. بيروت. 1977. مج 5. ص ص334 – 335.

4 - الصروف. المرجع السابق. ص149.

5 - المرجع السابق، ص90.

6 - نفسه، ص153.

7 - تبعد عن الوادي بـ 20 كلم في الجهة الجنوبية الغربية وشبهت بالوادي لانخفاضها وينمو بها شجر العلندة.

8 - تبعد عن الوادي بـ 33 كلم في الجهة الغربية.

9 - الصروف. المرجع السابق. ص91.

10 - J. scelles – Millie. Op. cit

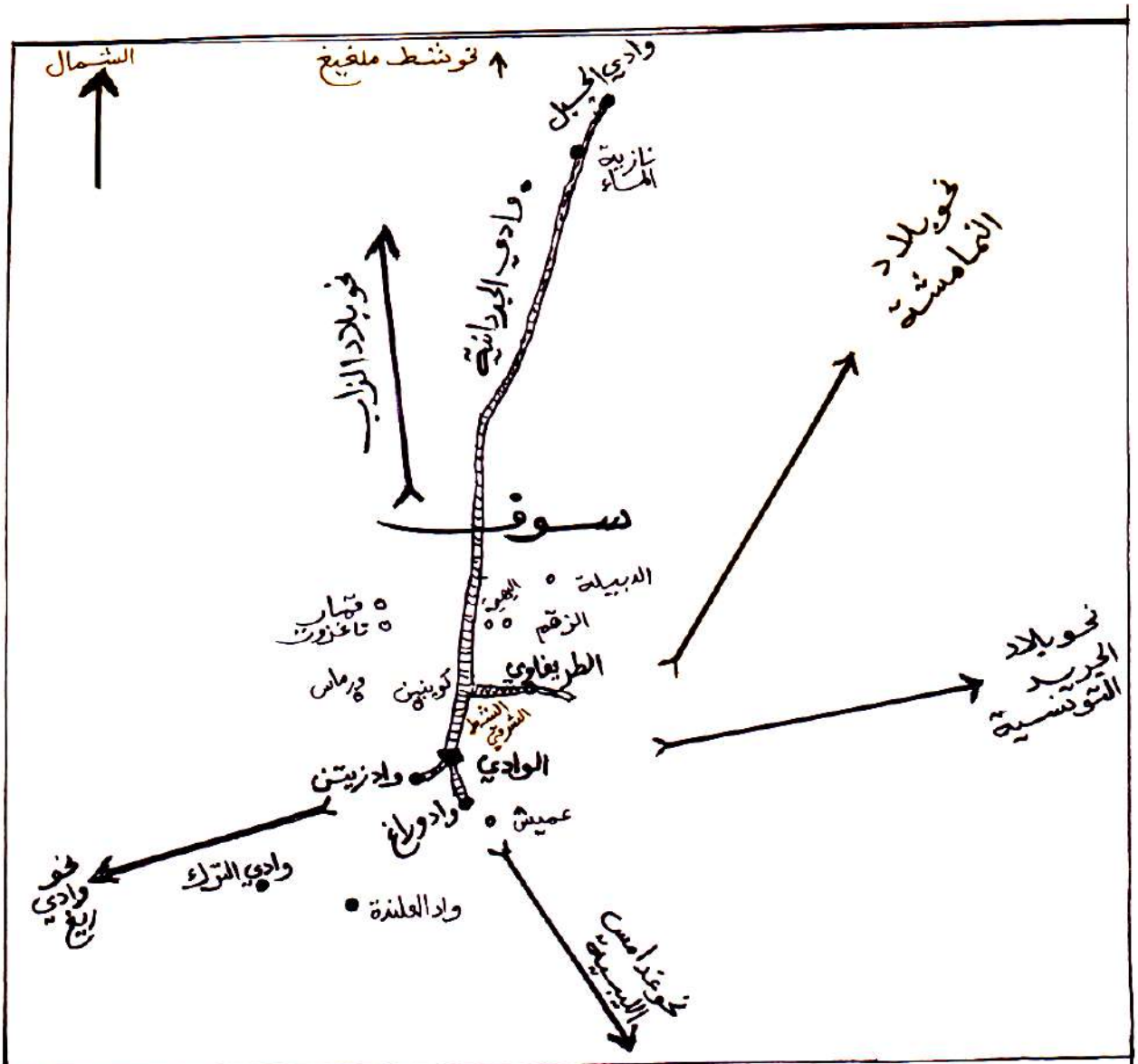

المقياس: 500.000/1

○ موضع القرى
● موطن الوديان
موضع تقريبي لوادي سوف القديم.

رسم تخطيطي يوضح موضع تقريبي للمجرى المائي القديم "وادي سوف"

المراجع المعتمدة في إنجاز الخريطة:

1) Carte Geographique de l'Armée en 1929

2) ابراهيم العوامر- الصروف في تاريخ الصحراء وسوف- الصفحات (48-49) - (91 - 92)

-9-

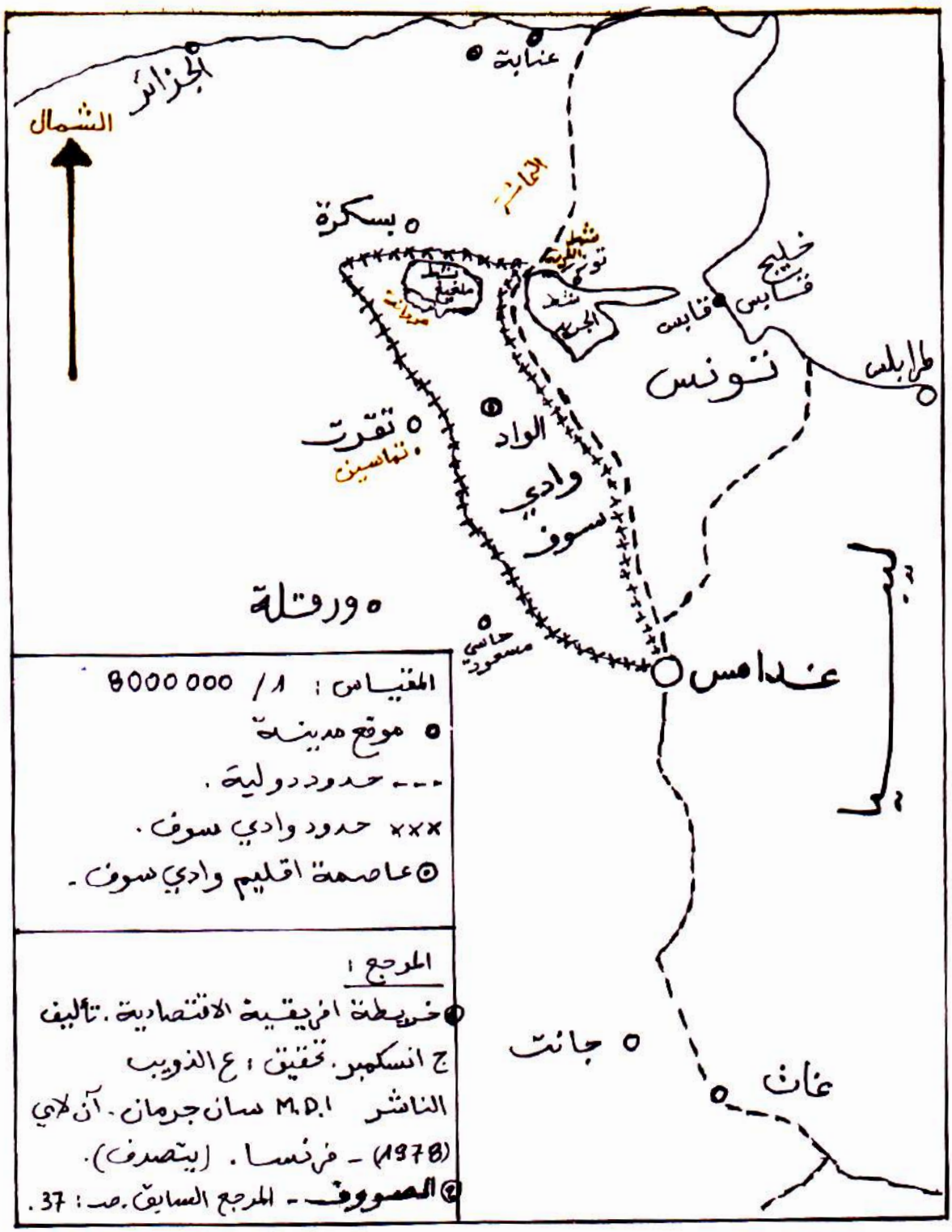

- خريطة موقع وحدود وادي سوف التاريخية -

والجديـــــر بالذكر أن أشـجار النخيل بالمنطقة تتصــل جذورها مباشــرة بالماء الموجود في الطبقة الدوثروية،

وتشير الحالة الجيدة التي تعيش فيها الأشجار إلى وجود نهر جوفي متحرك لأن المياه الراكدة تقتل الأشجار التي تعيش عليها.[1] ولما نضب الماء نهائيا من فوق الأرض صارت الرمال تغطي العرق السوفي مشكلة واديا من الرمال، فأصبح ينطبق على مصطلح " وادي سوف " إذن " وادي الرمال ".

وأول من ذكره بهذا الجمع " وادي سـوف " هو الرحالة الأغواطي في حدود 1829، [2] وانتشـر فيما بعد على يد الفرنسيين إثر دخولهم للمنطقة، فذكره الدكتور ايسكار في تقريره الطبي سنة 1886.[3]

2. موقع وحدود إقليم وادي سوف:

يقع إقليم وادي سوف جنوب شرق الجزائر، وينتمـي إلى العرق الشرقي الكبـيـر، يحده من الشمال بلاد الزاب " بسكرة والزرائب " ويمتد حتى جبال الاوراس، والنمامشة، وإلى منطقة نقرين.[4]

ومن الشرق، الحدود التونسية من نفطة ونفزاوة، مرورا ببـيـر رومان حتى غدامس، [5] ومن الجنوب واحات غدامس، ومن الغرب وادي ريغ (تقرت وتماسين) وورقلة.[6]

تمتد أراضيـها من الجنوب إلى الشمال بـيـن خطي عرض 31° - 34° شمالا وبـيـن خطي طول 6° - 8° شـرقا، [7] وتبلغ المسـافة من سـطيل في الشـمال إلى غدامس جنوبا حوالي 620 كلم، ومن وادي ريغ بالجهة الغربـيـــة إلى الحدود التونسـية بالشـرق حوالي 160 كلم، وتبلغ مسـاحة وادي سـوف 82,800 كلم2. والإقليم محاط طبـيـــعيا بثلاث شـطوط وهي شـط وادي ريغ بالغرب، وشـطوط مروانة وملغيغ وشـط الغرسة من الشمال وشـط الجريد من الجهة الشرقية.[8]

---

1 - جورج غيرستر – **الصحراء الكبرى** – تعريب خيري حماد. منشورات المكتب التجاري. ط 1. بيروت. 1961. ص101.

2 - أبو القاسم سعد اللّه – **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**- دار الغرب الإسلامي. ط 2. بيروت. 1990. ج 2. ص260.

3 - D. Escard – **Etude medicale et climatologique sur le pays de l'oued - Souf** – publié dans les archives de médecine militaire en 1886. T 7. p 33.

4 - إبـــراهيم مياسي " من تاريخ وادي سوف مدينة الألف قبة " - **في مجلة الثقافة**- الجزائر. 1996. العدد 113. ص194، انظر إبـــراهيم العوامر، المرجع السابق، ص37.

5 - Marc-Robert Tomas: **Sahara et communauté**', presses universitaires de France 1ed. Paris 1960. P 37.

6 - إبـراهيم العوامر، المرجع السابق، ص37.

7 - إبـراهيم مياسي، المرجع السابق، ص149.

Carte de Tozeur – Publié par le service géographique de l'armée Française – en 1929.

8 - André voisin. op. Cit. p 3.

3.مظاهر السطح:

يسود المنطقة عدة مظاهر منها:

العرق: فسطحها ينتمي إلى العرق الشرقي الكبير إذ تغطي الرمال معظم الأراضي (ثلاثة أرباع المساحة الإجمالية) [1] وهي رمال ناعمة تشبه الدقيق ذات ألوان صفراء وبيضاء، [2] تحركها الرياح.

وقد نتج عن ذلك شكلين اثنين:

الأول هو الكثبان الرملية: وتتواجد بصورة كبيرة في جنوب سوف، وتختلف ارتفاعاتها حيث يصل أحدها 127م على بعد 2 كلم جنوب اعميش، وفي أقصى الجنوب بين الوادي وغدامس يصل أحدها إلى 200 م، وتدعى هذه الكثبان بالغرود. [3]

والشكل الثاني هو المنخفضات والأودية: تعتبر سوف أخفض نقطة في العرق الشرقي الكبير. [4] وتوجد منخفضات وأودية متخللة الكثبان الرملية. ومتوسط ارتفاع السطح هو 80 م وينخفض دون مستوى سطح البحر بـ25 م عند شط ملغيغ. [5]

والمظهر الآخر لوادي سوف هو الحمادات الرملية: وتغطي المنطقة الشمالية لسوف، وهي طبقات حجرية متنوعة تحت الرمال، ويختلف سمك الرمال المتراكمة فوقها من جهة إلى أخرى. ومن تلك الطبقات "الترشة " وتستعمل لصنع الجبس، وتوجد بمنطقة البهيمة وسيدي عون، أما " اللوس " فهي حجارة صلبة متشابكة وتستعمل في البناء لصلابتها وتوجد بغمرة والمقرن وشرق الزقم. وأما " الصلصالة أو السميدة " فتوجد في غمرة، والدبيلة، والمقرن. وتستعمل للبناء. [6]

4.الخصائص المناخية:

يسود الإقليم مناخ صحراوي قاري شديد الحرارة صيفا، وقارس البرودة شتاء بسبب جفافه. ويغلب عليه الحر في معظم شهور السنة. ويصل المتوسط الحراري في الفصل الحار إلى 34° م، ويتعدى في فصل الصيف 50° م، وحينئذ تكون الرمال شبه ملتهبة. وفي فصل الشتاء يكون المتوسط الحراري 10°م، [7] وعندما تشتد البرودة وخاصة ليلا تنخفض إلى ما دون الصفر. [8]

---

1 - Ibid. P 12.

2 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق – ص41.

3 - André voisin. op. Cit. p 12.

4 - Gouvernement Générale de l'Algérie – **le Territoire du sud de l'Algérie** – Imprimerie Algérienne. Alger. 1929. P 82.

5 - Ahmed Nadjah – **le Souf des Oasis** – Edition la maison des livres. Alger. 1971. P 10.

6 - Ibid. p 14.

7 - André voisin. op. Cit p 25.

8 - CH – lutaud – **Expose de la situation generale de Territoire du Sud**- Typographie Adolphe- Jordan 1908. P 158.

أما الرياح: فهي تهب بصفة دائمة وفي معظم شهور السنة بنسب متفاوتة ومنها الشهيلي أو (القبلي) وهو شديد الحرارة ويهب جنوبا ويدوم من يوم إلى اسبوع، ويهب 15 يوما في السنة، وأكثره يكون بالنهار فتزيده أشعة الشمس حدة.[1]

أما البحري أو (الشرقي) فيهب على الإقليم آتيا من خليج قابس، ويكون هبوبه غالبا في المساء بهواء رطب منعش ويستمر إلى الليل إذ يساعد على النوم فيمكّن السكان من الراحة استعدادا لمشاق اليوم الموالي.[2] إضافة إلى أنواع أخرى من الرياح منها الظهراوي و الغربي[3] وهذه الرياح تثير الأتربة غالبا فتزعج السكان و تشل الحركة إذا تحول إلى زوابع قوية .

أما الأمطار فهي نادرة وقليلة بسبب بعد المنطقة عن البحار، فمن جهة عنابة تبعد عن سوف بحوالي 390 كلم، وعن خليج قابس تبعد بحوالي 305 كلم.[4] و ينحصر سقوط هذه الأمطار فيما بين نوفمبر وفيفري. وعندما تكون غزيرة تتسبب في فيضانات تخلف أضرار مادية على المساكن وغابات النخيل. ويصل المتوسط السنوي للتساقط بالمنطقة الى80,3 ملم.[5]

5.الغطاء النباتي:

يتميز الغطاء النباتي في وادي سوف بالفقر بسبب الجفاف وكثرة الرمال. ومع ذلك توجد نباتات طبيعية متنوعة ذات جذور طويلة تنمو في الأودية، وأطراف الكثبان الرملية، ويعتمد عليها البدو الرحل لرعي حيواناتهم، وأهمها في " وادي سوف " الحلفاء، والبشنة، والعضيد، والسعد، والحارة، واللافة، والشيح، إضافة إلى أشجار من الحطب كالازال والعلندى والزيتاء والمرخ والرتم والطرفاء.[6]

6.أنواع الحيوانات:

تعيش بسوف حيوانات برية عديدة منها: الغزال، والفنك، والقنفذ، والذئب، والجربوع، وكثير من الطيور والعصافير وتدعى " الزاوش "، والحشرات السامّة كالأفاعي والعقارب، والزواحف مثل الشرشمان أو "سمك الرمل " والزرزومية، والورن.[7]

---

1 - André voisin. op. Cit p 25.

2 - Ahmed Nadjah op. Cit. p 23.

3 - André voisin. op. Cit p 25.

4 - Ibid, p 25.

5 - Ahmed Nadjah op. Cit. p 23.

6 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق – ص ص52 – 54.

7 - المرجع السابق – ص ص52 – 54.

الجذور التاريخية لوادي سوف

إن دراسة الفترة التاريخية السابقة للقرن التاسع عشر في وادي سوف تحدد لنا الملامح الرئيسية للمجتمع.

- العهد العثماني بسوف:

منذ 1518 م خضعت الجزائر للحكم العثماني الذي أرسى دعائمه الأخوان عروج وخير الدين بربروس، وفي عهد خلفائهما قسمت الجزائر إلى مقاطعات تدعى " البايلك ". وكانت مناطق الجنوب الشرقي الصحراوية خاضعة لبايلك الشرق الجزائري وعاصمته قسنطينة وتضم منطقة الزاب ووادي ريغ وورقلة ووادي سوف.

وكانت العلاقة بين الباي في عاصمته وهذه المناطق تدار بواسطة " شيخ العرب" الذي يشرف على عملية جمع الضرائب، والتي ازدادت خصوصا في أواسط القرن 18 عندما تناقصت غنائم الجهاد البحري، [1] وفي حالة العصيان يرسل البايلك حملات عسكرية تأديبية إلى تلك الجهات، فتأخذ الضرائب منها عنوة، ويتكرر ذلك كلما حدث عصيان جديد.

ويمكن تحديد ثلاثة أطراف أثرت على المناطق الجنوبية سياسيا في هذا العهد وهي:

أ) شيخ العرب: وهو لقب أطلقه العثمانيون بالجزائر على رؤساء القبائل التي أسندت لها مهمة التعامل معهم، إذ لما دخل الأتراك إلى الجزائر وجه خير الدين نداء إلى كافة القبائل يدعوها إلى طاعة ولي الأمر وخليفة المسلمين باسطنبول، فاستجابت القبائل، لما تعهد لها بالمحافظة على حقوقها وامتيازاتها التي كانت تحضى بها من قبل الحكومات السابقة، وأن تختار الرؤساء والأمراء في قبائلهم. [2]

ومن العائلات التي تولت هذا المنصب في الجنوب:

- عائلة بوعكاز: [3]

أصدر خير الدين مرسوما عين بموجبه أمير قبيلة الذواودة شيخا للعرب بدل لقب الأمير الذي كانت تعرف به في العهد الحفصي، ويعتبر علي بن السخري أول شيخ عرب عين على قبيلة الذواودة من قبل باي قسنطينة سنة 1541 م، وكان من أوائل أعماله حماية المحلات التركية داخل البلاد، ومنها إلى

---

1 - ناصر الدين سعيدوني – **العهد العثماني في الجزائر** – وزارة الثقافة والسياحة. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. 1984. الجزائر في التاريخ. ج 4. ص31.

2 - محمد خير الدين – **مذكرات** – المؤسسة الوطنية للكتاب. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر ج 1. ص41.

3 - سميت بهذا الاسم لأن شيخها الأول علي بن السخري كان يحمل عكازا فاشتهرت العائلة به.

بسكرة سنة 1550م، وإلى تقرت وورقلة سنة 1552م، وبعد وفاته خلفه ابنه أحمد سنة 1581م، وكانت إمارته تعتمد على جيش متفوق من الفرسان والمشاة، وكانت قبيلة الذواودة تشرف على اقليم قسنطينة كله شماله وجنوبه على حد قول شارل فيـــرو، [1] وتوالت السلطة في يد الأحفاد حتـــى وصلت إلى الشيخ أحمد بن محمد السخري الذي توفي سنة 1790م، وتـرك زوجتيـن ومجموعة من الأبناء، ومضت فتـرة عجز فيها كبار العائلة عن تـــرشيح أحدهم ليشـغل هذا المنصب الذي بقي شـاغرا حتـــى بداية القرن التاسـع عشـر، والذي تولاه ابن الشـيخ أحمد وهو فرحات بن سـعيد، [2] الذي لعب دورا هاما وكانت له علاقة بأهل سوف، وكذلك ابنه من بعده " علي باي".

- عائلة بن قانة: [3]

أصـــل هذه العائلة من جبل جرجرة، وأحد أبنائها يدعى محمود الذي هاجر إلى قرية رج- - اس ق- رب "ميلة"، ويعتبـــــر محمود الجد الأعلى لأولاد بن قانة، وكان يتعاطى مهنة الحدادة، وأنجب ولدا ســـماه "سليمان" الذي توطدت علاقته بأحد الجنود الأتـــراك ويدعى " أحمد القلي"، وتطورت هذه العلاقة إلى رابطة مصـاهرة بين الرجلين، حيث زوج سـليمان ابنته مباركة إلى أحمد القلي، والتـــي ولدت له محمد الشريف بن أحمد القلي[4] وهذا الأخيـــر تزوج من رقية بنت الحاج بن قانة شيخ العرب، [5] وأنجب منها الحاج أحمد باي آخر بـــايات بايلك الشـرق الجزائري. ومن جهة أخرى زوج " أحمد القلي " أخت زوجته لابن شيخ العرب من أسرة بوعكاز بن عاشور، [6] فصار الحاج بن قانة صهرا لبوعكاز. [7]

فلما عين أحمد القلي بايا على قسـنطينة (1756 – 1771) التفت إلى صهره محمد الحاج بن علي بن سليمان بن قانة فعينه شيخا للعرب عام 1762 م، [8] وتسبب ذلك في ظهور الصراع بـــيـــن الصهرين بوعكاز وبن قانة، [9] وامتد ذلك الصـراع إلى ما بعد الاحتلال الفرنسـي للجنوب الجزائري. ولم يكن أهل سوف خارج هذا الصراع وإنما توزع ولاؤهم إلى قسمين:

---

1 - محمد خير الدين، المرجع السابق، ص ص41 – 43.

2 - نفسه، ص52.

3 - نسبة إلى امرأة تدعى قانة -، وهي جدة هذه العائلة.

4 - المرجع السابق، ص ص64.

5 - أبو القاسم سعد اللّه – **الحركة الوطنية الجزائرية** – دار الغرب الإسلامي. ط 1. بيـروت. 1992. ج 1. ص139.

6 - أحميدة عميـراوي – " **مقاومة الشريف محمد بن عبد اللّه في الجنوب من خلال وثائق نادرة** " مدونة أشغال ملتقى مقاومة الشريف محمد بن عبد اللّه بورقلة. جمعية الانتفاضة الشعبيـة التاريخية بورقلة. فبـراير 1998. ص36.

7 - يحي بوعزيز – **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين** – دار البعث. ط 1. قسنطينة. 1980. ص182.

8 - أحميدة عميـراوي – المرجع السابق. ص36.

9 - د. يحي بوعزيز – المرجع السابق. ص182.

القسم الأول ويضم طرود ممثليـــن في أهل الوادي وقمار والدبـــيلة ويوالون بوعكاز ويـــرتبطون مع تماسيـــن، ويعملون على التقريب وربط الوشائج بـيـــن قبائل سعيد ولد عامر، وأولاد السايح والشعانبة والمخادمة بورقلة.

والقسم الثاني المكون من أولاد سعود ويضم سكان الزقم وتاغزوت وكوينين ويوالون عائلة بن قانة ويرتبطون مع بني جلاب في تقرت.[1]

ب) إمارة بني جلاب:

حكمت أسرة بنـــي جلاب[2] تقرت ونواحيـــها وكونت إمارة أو"مشيخة" في وادي ريغ وعاصمتها تقرت، ووصل نفوذها إلى بلاد الجريد بما فيه منطقة وادي سوف، [3] وكان يعتـــري هذه الرقعة المد والانحصار حسب الظروف والتغيرات السياسية المختلفة.

وكان تأسيس هذه الإمارة على يد الحاج سليمان بن رجب بن جلاب المريني الزناتي سنة 854هـ/1450م وتوارث أبناؤه من بعده هذه الإمارة.[4]

وكانت منطقة سوف حينئذ تابعة صوريا لسلطان تقرت، فبعض قراها تدفع ضرائب سنوية رمزية بسيطة جدا، بـــينما امتنعت بعض القرى الأخرى عن الدفع ورفضت نفوذ بنـــي جلاب، مما دفع هؤلاء السلاطين إلى إعداد حملات عسكرية تأديبـــية لهذه القرى الرافضة لسلطتهم، والعمل على إخضاعها وإجبارها على دفع الضرائب المنتظمة.[5] ومن تلك الحملات:

- **حملة الشيخ أحمد بن عمر بن محمد الجلابي (1766-1778):**[6]

جرد هذا الشيخ محلة توجه بها نحو الوادي، لكن أهلها تلقوا خبـــرا من أهل تماسيـــن يحذرهم من هذه المحلة، فتأهبوا له وهزموه وغنموا بعض أســلحته وثيابه ودوابه، ولكن الشـــيخ أحمد توجه نحو قمار وعاث فيها فسـادا بقطع النخيل أو إحراقه، وإتلاف الفواكه، وكان ذلك سـببا للاشـتباك في معركة

---

1 - André Voisin – OP Cit. P44.

2 - أصلهم من بنـــي مرين، قدم جدهم من المغرب الأقصى وسمي جلاب لامتلاكه الجلب الغنم- وقيل لأنه كان يجلب الناس بفضل ما يقدم لهم من خيرات.

3 - احمد توفيق المدنـي – **محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766 – 1791** – المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر 1986. ص139.

4 - عبد الرحمان الجيلالي **--ـ تاريخ الجزائر العام** - ديوان المطبوعات الجامعية. ط 7. الجزائر. 1994. ج 3. ص264.

5 - إبـراهيم العوامر – المرجع السابق – ص212.

6 - محمد الطاهر عبد الجواد– **عاصمة وادي ريغ تقرت أيام بنـي جلاب** – مدونة الملتقى التاريخي الثالث في فتـرة حكم بنـى جلاب في منطقة وادي ريغ 1898. الجمعية التاريخية الوفاء للشهيد بتقرت. الآمال للطباعة الوادي. 1999. ص50.

حامية الوطيس مع أهل قمار دامت يومين، ولم يتخلص أهل قمار من هذا الخطر إلا بنجدة أهل الوادي لهم، الأمر الذي دفع الشيخ أحمد إلى الرحيل نحو إمارته بتقرت في اليوم الموالي للقتال.[1]

- حملة الشيخ فرحات بن عمر بن محمد الجلابي(1782-1792):[2]

دخل الشيخ فرحات إلى سوف حوالي سنة 1787، وقام بقطع الجريد في الرقوبة، ولما عارضه سكان تاغزوت كلف قائد محلته إبـــراهيم بن الحاج بن قانة فقام بتجميـــر[3] حوالي 300 نخلة من نخيل العرش، ثم توجه نحو الدبيلة فتصدى له أهلها ولكنه استطاع هزيمتهم ودخل البلدة وخرب مساكنها في نصفها الغربي ونهب الأمتعة وشرد أهلها، وإثر ذلك ارتحل الشيخ فرحات إلى إمارته بغنائم كثيرة.[4]

وكان فرحات في عام 1788 يعانـــي من المرض فأرسل إلى سوف الشيخ إبـــراهيم بن عبد القادر بن جلاب، فحدثت مفاوضات مع أهل قمار كانت نتائجها مصالحته بدفع غرامة إجبارية قدرها ثلاث ريالات عن كل مائة ريال يملكونها، فقبلوا ذلك، وبعد تســلمه الأموال رجع إلى الإمارة، ولكنه في الســنة الموالية (1789) قدم بنفســه يقود جيشــه محمد بن الحاج بن قانة فنزل بقمار وأمر أهلها بدفع 25 ألف ريال سوفي وما يكفي المحلة من قمح وسمن وزيت وما يكفي الدواب من شعيـــر وحلفاء، ومكث 15 يوما ثم ارتحل، ليعود في عام 1790 في جيش قليل فجمع من قمار مقدار 4 آلاف درهم (ألفي فرنك) وجمع أموالا أخرى من تاغزوت وبعض القرى الأخرى ثم كر راجعا نحو إمارته تقرت.[5]

ج) علاقة سوف ببايلك الشرق في أواخر القرن الثامن عشر:

كانت وادي سوف تتمتع بنوع من الاستقلال مثلما هو الشأن في منطقة تقرت، وشيخ العرب في الزاب لم يكن له سوى سلطة اسمية على أهل سوف، الذين كانوا يدفعون بانتظام إلى سلاطين بنـــي جلاب ضرائــب خفيفة، ماعدا عاصمة سوف، مدينة الوادي التــي اعتبــرت من بلاد المخزن فأعفيت من دفع الضرائب.[6]

وكان موقف أهل سوف حرجا أمام تلك الظروف، فبـــينما كان سلطان تقرت يطالبهم بالإعتـــراف بسلطته عليهم وتسليم الأتوات له، كان شيخ العرب ببسكرة الذي يمثل السلطة التـــركية يبعث إلى منطقة سوف وكذا تقرت بين الحين والآخر محلات من الجنود الأتراك لجمع الضرائب فنتج عن ذلك

---

1 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق- ص ص212 – 213.

2 - محمد الطاهر عبد الجواد – المرجع السابق ـ ص50.

3 - **التجمير:** هو استئصال قلب النخلة وإتلافها.

4 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق – ص ص215 – 216.

5 - نفسه. ص217.

6 - André Voisin – OP Cit. P 44.

خلاف وانقسام بين قرى سوف[1] في ولائها في تقرت وشيخ العرب وتسبب ذلك في حدوث الحروب والصراعات.

وإذا استثنينا الضرائب التي يأخذها سلطان تقرت فإن سوف لم تدفع ضرائب منتظمة للأتراك، الا في حالة قدوم محلات لجمع الضرائب من الصحراء عموما، فكان السكان يدفعون ضرائب نقدية تقدر بـ(50000 بوجو)، وهذه الحالات لا تحدث الا نادرا.[2] مثل محلة صالح باي، [3] الذي عرف عهده ازدهارا في النشاط التجاري فأصبحت قسنطينة ملتقى للقوافل التجارية التي تجوب أنحاء الشرق الجزائري وتربط قسنطينة بكل من الجزائر وتونس وغدامس. وكانت سوف معبرا لهذه التجارة. وقد قرر صالح باي سنة 1788 تنظيم حملة عسكرية تأديبية ضد وادي ريغ وسوف وساعدته عدة عوامل منها:

1) الهدنة التي تمت بين صالح باي وحاكم تونس في مطلع سنة 1788.[4]

2) خروج الشيخ أحمد بن جلاب على ابن عمه فرحات ورغبته في تولي حكم تقرت.[5] واستفحل الخلاف ووصل إلى درجة الاقتتال، وفي الأخير التجأ أحمد بن جلاب إلى صالح باي قسنطينة وطلب منه تجهيز حملة ضد ابن عمه فرحات، ليعزله ويوليه مكانه مقابل 1000 بوجو.[6]

3) إن أهم الحوافز التي دفعت صالح باي إلى التوجه بحملته نحو تقرت هو عدم رضاه على مقدار الغرامة المالية المترتبة على الشيخ فرحات، الذي خلف أباه في حكم تقرت، [7] وأصبح يرفض الدخول تحت نفوذ وطاعة صالح باي.[8] وقد انطلق صالح باي بحملته العسكرية من قسنطينة نحو امارة بني جلاب بتقرت في شهر أكتوبر 1788 وأحاط الحملة بالسرية التامة، [9] وكانت حملة ضخمة تتكون من 6 آلاف فارس انتقاهم من العرب المشهورين بالشجاعة وألف من الترك.[10]

وتمكن صالح باي من الوصول إلى تقرت بعد ثمانية عشر يوما، فاعتصم حاكمها فرحات بن جلاب بداخلها، فضرب عليها حصارا دام عدة شهور، واضطر في الأخير إلى ضرب أسوار المدينة بالمدفعية وأمر

---

1 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق – ص215.

2 - André Voisin – OP Cit. P 44.

3 - **صالح باي:** ولد بمدينة أزمير بالأناضول سنة 1725، ولي بايا على قسنطينة سنة 1771، واستمر في الحكم إلى 1792.

4 - ناصر الدين سعيدوني – **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني** – المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر 1984. ص69.

5 - محمد بن معمر "**علاقة بني جلاب سلاطين تقرت بالسلطة العثمانية في الجزائر**" مدونة الملتقى التاريخي الثالث. 1998. المرجع السابق. ص110.

6 - عبد الحميد ابراهيم قادري – **التعريف بوادي ريغ** – منشورات جمعية الوفاء للشهيد بتقرت. الآمال للطباعة بالوادي. 1999. ص16.

7 - ناصر الدين سعيدوني – المرجع السابق – ص62.

8 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق – ص218.

9 - محمد بن معمر – المرجع السابق. ص110.

10 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق – ص218.

جنوده بقطع أشجـــار النخيل المحيطة بها، [1] ثم قرر رفع الحصار وتــرك بعض جنوده وبعض العرب والرواغة مع الشـيخ محمد بن الشـيخ الحاج أحمد بجهة وادي المغيـــر، وأذن له في الغارات ومحاصـرة الشيخ فرحات ويأتـيـهم المدد في كل حين، ومن ناحية أخرى عمد صالح باي إلى الحيلة، فأثار أهل سوف ضـد فرحات بن جلاب، وأشـعل ثورات اضـطرت فرحات إلى التنقل إليهم ومحاربتهم ولكن ذلك لم يؤثر كثيـــرا على سلطان تقرت، [2] فعاد صالح باي سنة 1789 واستدعى رؤساء تقرت إلى قرية زريبة الوادي للتفاوض معهم، [3] وانتهى ذلك بالصلح بين الطرفين، وتضمن ما يلي:

1 - أن يدفع سلطان تقرت جميع نفقات حملة صالح باي وخسائره أثناء الحرب.

2 - تقديم غرامة مالية قدرها 30.000 ريال (بسيطة) .

3 - تقديم غرامة إضافية من الدواب والخيول والعبيد. [4]

وفرض على قرى سـوف دفع الضـرائب إلى السـلطات التـــركية، وذلك أدى إلى اضـطراب أمر الناس وطلبوا من صـالح باي أن يخفف عنهم تلك الاتوات، [5] وخصـوصـا طبقة الأشـراف، وقد راجع الشـيخ عون بن مهلهل البليلـي في ذلك صالح باي فقبل أعذاره وأصدر في ذلك مرسوما بتاريخ أوئل شعبان سنة 1206 (1791) يعفيه من جميع المطالب المخزنية والوقائف السلطانية لا يطالبهم احد من مشايخ تقرت ولا من مشايخ سوف ولا من مشايخ العرب ومثل هذا الحق أعطي للسيد محمد الشريف الحسنـــي من أهل البهيمة سنة 1207 (1792) من الباي السيد حسين. [6]

وفي أواخر عهد صـالح باي بقيت بعض مناطق سـوف متمردة عن الحكم الجلابـــي فاسـتنجد حاكم تقرت بصـــالح باي الذي وافاه بمحلة بقيادة أبا عزيز بن نصـــر الحناشـي الذي قدم إلى قمار ووقعت له مناوشات مع أهلها، ولكن اضطرت المحلة الصغيـرة في الأخيـر إلى الرجوع في الحين عندما استنجد أهل قمار بأحلافـهم من أهل الوادي إذ كلهم ينتمون إلى قبـيـلة طرود. [7] وبعد مقتل صالح باي سنة 1792 دخل الشرق الجزائري في فوضى عارمة لا مثيل لها بسبب التطاحن والتنافس والصراع الذي حدث بين

---

1 - محمد بن معمر – المرجع السابق. ص110.

2 - إبـراهيم العوامر – المرجع السابق – ص218.

3 - أحمد توفيق المدنـي – المرجع السابق. ص139.

4 - محمد بن معمر – المرجع السابق. ص ص110 – 111.

5 - تقاييد أحمد مفتاح القماري – توجد في مكتبة ابنه عبد الباقي بقمار.

6 - نسخة من نص التحريـر المرسل من صالح باي إلى عون بن مهلهل. وتوجد نسخة منه في حوزتـي.

7 - إبـراهيم العوامر – المرجع السابق- ص220.

صفوف متعددة وخاصة بـين أسرتي بن قانة وبوعكاز وأنصارهما على منصب شيخ العرب، وصراع آخر بين أسرة بن قانة وبن جلاب من جهة أخرى على حكم تقرت.[1]

وكانت قرى سوف في أواخر القرن الثامن عشر في تجاذب بـيـن هذه الصفوف تؤازر طرفا ضد الآخر بحسب الولاء الذي اختارته تلك القرى والمصالح التي تنتظرها قبائلها.

لقد كان الأتـــراك يظنون بعد كل محلة أنهم تمكنوا من بســط نفوذهم النهائي على مناطق وادي ريغ وسوف، ولكن بمجرد رجوعهم يظهر لهم تخلخل ذلك الولاء وتراجعه بسبب:

1 - بُعد إقليم سوف عن البايلك، وعدم اهتمام السلطة التركية بتطوير هذه المناطق.

2 - إرهاق السكان بالضرائب، ومحاربتهم عند رفض تقديمها.

3 - وجود خلافات وسيادة الطابع القبلي الذي يفضل التحرر والاستقلالية.

1 - محمد العربـى الزبـيـري – **التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفتـرة ما بين 1792 - 1830** - المؤسسة الوطنية للكتاب ط 2. الجزائر. 1984. ص32.

الفصل الأول

الأوضاع السياسية والإدارية في منطقة وادي سوف في القرن التاسع عشر

1- الوضع السياسي لوادي سوف في النصف الأول من القرن التاسع عشر

أ) أواخر العهد العثماني في الجنوب الصحراوي 1800 - 1830

ب) واقع الجنوب الشرقي أثناء التوغل الفرنسي 1830 - 1853

2- ظروف الاحتلال الفرنسي لوادي سوف ومراحله

- المرحلة الأولى: 1832 – 1852 الدراسات التاريخية والرحلات الاستطلاعية الفرنسية.

- المرحلة الثانية: 1852 – 1854 الغزو الفرنسي لتقرت ووادي سوف

- المرحلة الثالثة: 1854 – 1872 المقاومات الشعبية بسوف وردود الفعل الفرنسية

- المرحلة الرابعة: 1872 – 1887 الاستقرار النهائي للفرنسيين بوادي سوف

3. الوضع الإداري لمنطقة وادي سوف خلال القرن التاسع عشر

4. النظام القضائي في منطقة وادي سوف خلال القرن التاسع عشر

الأوضاع السياسية والإدارية في منطقة وادي سوف
في القرن التاسع عشر

1.الوضع السياسي لوادي سوف في النصف الأول من القرن التاسع عشر:

إن تطور الأحداث التاريخية وتفاعلاتها السياسية في النصف الأول من القرن التاسع عشر اكتست أهمية بالغة في تاريخ الجزائر عموما، وفي المنطقة الجنوبية الشرقية بصفة خاصة، وتميزت في العقود الثلاثة الأولى بنهاية الحكم العثماني، ثم بتغلغل الاستعمار الفرنسي في العقود التالية لها.

أ) أواخر العهد العثماني في الجنوب الصحراوي (1800 – 1830):

ركّز الأتراك في بداية حكمهم على حركة الجهاد البحري لتأديب الغزاة الطامعين وجلب الأموال، وتنظيم المدن والاهتمام بها، بينما أهملت الأرياف، ولم يلتفت إليها الحكام إلا عند احتياجهم للأموال عندما ضعفت حركة الجهاد البحري، فأرسلوا محلات وجردوا حملات عسكرية تنقلت في المناطق الجنوبية فقهرت الرعية وأخذت منهم أموالهم عنوة وأرهقت كواهلهم بالغرامات القسرية، وكان ذلك سببا في حدوث الفوضى والاضطرابات الداخلية وقيام الثورات والتمردات ضد هذا الحكم في تلك الجهات، إضافة إلى محلات كان يرسلها بين الحين والآخر سلاطين بني جلاب إلى سوف، نذكر منها على الخصوص الحملات التي جردوها في العقود الثلاثة الأولى من القرن التاسع عشر بإيعاز من باي قسنطينة، أو بمبادرة منه، وفي مقدمتها:

- حملة سلطان تقرت (1801):

وجَّه باي قسنطينة (الحاج مصطفى) في أوائل عام 1215 هـ(1801 م)، محلة نحو سوف وجعل قيادتها للشيخ إبراهيم سلطان تقرت من اجل إخضاع سكان منطقة قمار المتمردين ضد سلطة الباي وقد حاصرها السلطان الجلابي مدة شهرين وثلاثة أيام ولكنه هزم في آخر الأمر بسبب التعاون بين أهل الوادي الذين أمدوهم بالمؤونة الكافية والأسلحة والمقاتلين. وقد استعمل السلطان الجلابي حيلة عسكرية، فشرع في حفر دهليز طويل لأجل مباغتة المحاصرين، لكن تفطن له أهل قمار وانتظروا الحافرين عند الطرف الموالي للمنطقة وقتلوا كثيرا من جنود المحلة، ثم دفنوا الدهليز وبنوا في مكانه مساكنهم.

وبعد هذه الهزيمة النكراء شرع السلطان في بناء قرية قريبة من قمار في مكان يدعى "الدبدابة" وجعل لها أسوارا والغرض هو التضييق على قمار، فكان بمثابة برج للمراقبة يمكن به رصد تحركات أهل قمار

وإخضاعهم بسهولة إذا تمردوا مرة أخرى، ولكن التآزر بين طرود وقمار والوادي أجبر سلطان تقرت على مغادرة المنطقة نحو إمارته تاركا ذلك البناء وراءه، فاستولى عليه أهل قمار وغنموه.[1]

واستمر حكم إبراهيم الجلابي بعد هذه الواقعة ثلاث سنوات، كانت تقرت تنعم بحالة من الهدوء والاطمئنان بفضل صهره إبراهيم[2] من قبيلة رياح التي كانت تتولى مشيخة العرب في صف بوعكاز.[3]

ولكن اشتعلت نيران الفتنة في الأسرة الجلابية في سنة 1804، بسبب قيام الخازن بن فرحات بن عمر على ابن عمه إبراهيم واستعان في ذلك بقبيلة " طرود " السوفية ونجح في الاستيلاء على الحكم، ولكن محمد بن أحمد بن عمر استطاع الاحتيال عليه والاستيلاء على الرئاسة في نفس السنة بعد أن قتله وقتل معه إبراهيم، ودامت ولاية محمد الجلابي ثماني عشرة سنة عرف كيف يستميل فيها سلطات البايلك بتقديم الخدمات تارة والهدايا في مرات أخر، وحينما توفي سنة 1822 ترك الحكم لأكبر أبنائه (عمر بن محمد بن أحمد) وظل في منصبه إلى سنة 1830.[4]

- حملة الباي أحمد المملوك (1821):[5]

تقلد فرحات بن سعيد منصب مشيخة العرب في سنة 1821، وهو آخر من تقلد مشيخة العرب من الذواودة الرياحيين الهلاليين الذين عرفوا بصف بوعكاز، [6]وقد عينه الباي أحمد المملوك وجعل له السلطة على تقرت وسوف.[7]

وكانت رغبة فرحات بن سعيد كبيرة في بسط نفوذه على كامل المنطقة، [8]فأظهر للباي أن الصداقة التي تربطه بأهل سوف تؤهله لتوسيع نفوذه ليشمل كل المنطقة. ووعده إذا أرسل حملة عسكرية لهذا الشأن فسوف يجعله يستفيد 50 ألف بسيطة (ريال)، فوافق الباي، واتجه فرحات بن سعيد إلى أصدقائه من طرود في سوف.[9] وبعد أشهر قليلة التقى عبد الله خوجة وفرحات بن سعيد بالباي أحمد المملوك تحت أسوار تقرت، [10] فحاصرها لمدة شهرين كاملين، لكنه عجز عن اقتحامها فلجأ إلى تجويع

---

1 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق – ص ص224 - 225.

2 - كان زوجا لابنته فاطمة.

3 - محمد بن معمر – المرجع السابق – ص111.

4 - محمد العربى الزبيري – المرجع السابق – ص33.

5 - **الباي أحمد المملوك:** تولى على بايلك الشرق بقسنطينة مرتين العهدة الأولى 1818- والعهدة الثالثة كانت 1820 –1822-.

6 - محمد خير الدين – المرجع السابق – ص61.

7 - انظر تقرير: Mohammed Elkebir Miadi – **Tableau chronologique de l'histoire des Rois de touggourt et Oued Righ.** Alger. Miadi correspondent du C. N. E. H. octobre. 1986. P3

8 - عبد الرحمان الجيلالي – المرجع السابق- ج 3. ص330.

9 - André Voisin – op. cit. pp 44 – 45.

10 - Mohammed Elkebir Miadi op. cit. p3

أهلها باقتلاع النخيل ودفن منابع المياه حتى خرجت له مجموعة من أعيان المدينة للتفاوض معه بقيادة الشيخ ابن جاري وفاوضوه على نصيب من المال قدره 100 ألف قطعة ذهبية.[1]

وهذا النجاح الذي حققه سلطان تقرت جعل فرحات بن سعيد يصاب بخيبة أمل لأنه فشل في تحقيق طموحه، فرجع مسرعا إلى سوف مملوءا حسرة ورغبة في الانتقام، وأعلن الحرب على الباي أحمد وسلطان تقرت الجلابي وعلى عمه الشيخ الذباح، ورغم جمعه لقوات معتبرة ومقاومته للباي إلا أنه فشل في آخر الأمر ودخل باي قسنطينة منتصرا إلى الوادي، وكان ذلك في نفس العام 1821، أما فرحات بن سعيد فإنه التجأ إلى منطقة بير " بر الصف "[2] متخليا عن أهل سوف الذين تعرضوا للسلب والنهب من طرف جنود الباي الاتراك.[3] وقد سجل الأدب الشعبي موقف فرحات بن سعيد الانتقامي وتخليه عن أهل سوف في مثل شعبي ظل سائدا دهرا وهو قولهم: " خر عليهم خرة فرحات بن سعيد ".[4]

وكانت الأموال التي أخذها الباي أحمد المملوك والغنائم التي استحوذ عليها وجمعها من سوف وتقرت عظيمة جدا، وهذا ما ذكره " محمد بن أحمد البابوري " في تاريخه بقوله:

" وأما قدومه إلى سوف قد استخلص منهم المال العظيم، ذهب (كذا) وفضة وكسوة الجريدي وكسوة سوف وكسوة الزيبان وخلص الابل من العرب وأما التمر لا حساب لها وحين طلع حمل ذلك كله على الابل وأتى بالخيل الملاح ودفع له شيخ تقرت اللزمة الكاملة وزيادة على عادة البايات قبله ودفع له الذهب والفضة أيضا مع الكسوة والتبر ودراهم سكة تونس حمل ذلك كله على الابل وأتى من الصحراء بمال لا عدد له ولا نظير لذلك كله وأتى معه بالنعام والغزلان والوحوش والفشتال حتى فرخ الطاوص (كذا) والقرنون وأتى بريش النعام الأسود وأتى بزوج من الابل يسموهم (كذا) العرب المهاره والواحد يسمونه مهري وقد جعل عليهم زوج سروج من الصنعة التي تليق بهم بالملف الأحمر والقطيفة وهذا المهارة (كذا) المذكورين لهم خصلة عظيمة القدر والشأن الواحد منهم يمشي مسافة العشر أيام في يوم واحد ولما دخل من الصحـــــراء وسوف ركب على واحد منهم والآخر يمشي قدامه مع جملة خيل القادة الذين عليهم القربصون وهم السروج المحليـــن بالذهب والفضة وجعل البغال حامليـــن سكة الذهب

---

1 - الحاج محمد الصغير دبابي – "**حقائق من تاريخ بني جلاب بوادي ريغ**" – مدونة الملتقى التاريخي الثالث لفترة حكم بنى جلاب بوادي ريغ. 1998. المرجع السابق. ص42.

2 - **بر الصف:** موقع في الجنوب الشرقي من وادي سوف بالقرب من الحدود التونسية.

3 - André Voisin – op. cit. p 45.

4 - رواها لنا الأستاذ أحمد زغب بتاريخ 2000/08/12 نقلا عن السيد صالح بن علي بن حامد الربعي المولود في 1914.

والفضة والمصوغ أنواع لا تنحصر ولا تنضبط وقد ضاقت منهم الأزقة متاع البلد وذلك من سيدي سعيد الصفراوي إلى دار الباي كلها متصلة..." [1]

وقد توفي سلطان تقرت محمد بن أحمد الجلابي في عام 1822، وترك الحكم لأكبر أبنائه ويدعى" عمر" وكان سكيرا بخيلا شهوانيا، [2] فقام بعملية سلب ونهب ضد بلدة تماسين التي كانت تابعة للفرع الجلابي الثاني، لكن مقاومة تماسين له نجحت، إذ تلقوا مساعدة من أصدقائهم أهل قمار مما زاد في غضبه فتوجه بجيشه إلى قمار لينتقم من أهلها لكنها استعصت عليه فرجع منهزما إلى تقرت. [3]

والجدير بالذكر في هذا المقام أن " عمر بن محمد الجلابي " خلف والده .بعد وفاته .على إمارة تقرت، وقام بسجن إخوته الثلاثة تجنبا للصراع بينه وبينهم واستطاع أحدهم ويدعى " أحمد " من الفرار إلى تماسين ومنها اتصل بفرحات بن سعيد بالزيبان، الذي كان يومئذ شيخا للعرب هناك، واتفق الاثنان على محاربة "عمر". ودارت بين الطرفين معارك دامية ولم يتمكن فرحات وحليفه " أحمد " من الانتصار على السلطان "عمر" وعاد كل طرف إلى منطقته في انتظار الفرصة المواتية لإعادة الهجوم على تقرت، لأن الظروف لم تكن ملائمة وخاصة بعد وصول الحاج أحمد باي إلى الحكم سنة 1826 وأخذه مشيخة العرب من فرحات بن سعيد مما جعل حروب فرحات تتحول ضد الباي أحمد وحليفه بن قانه.[4]

واستمر حكم عمر إلى أن أصابته دملة في رقبته فتوفي بسببها سنة 1830. [5] وترك من بعده زوجة تدعى "لله عيشوش " بنت قانة، وابنا يدعى " بوليفة ".[6]

وفي تلك الأثناء تولى السلطة في تقرت " إبراهيم بن محمد بن أحمد " [7] خلفا لأخيه عمر الجلابي. [8]

ب) واقع الجنوب الشرقي أثناء التوغل الفرنسي (1830 – 1853):

كان وقع احتلال مدينة الجزائر واستسلامها للفرنسيين في 5 جويلية كبيرا على أهل وادي ريغ وسوف إذ تـــرك في نفوسهم الاضطراب والهلع، وعاشت المنطقة بأكملها في حروب واضطرابات دامت ثلاث

---

1 - – **مخطوط حول بايات قسنطينة** – مجهول العنوان والتاريخ. مكتبة سالمي مصباح المنزلية بحي لعشاش. مدينة الوادي.

2 - محمد العربى الزبيري – المرجع السابق – ص33.

3 - André Voisin – op. cit. P 33.

4 - محمد الطاهر عبد الجواد – المرجع السابق – ص ص52 – 53.

5 - محمد العربى الزبيري – المرجع السابق – ص33.

6 - Mohammed Elkebir Miadi. op – cit. p 3.

7 - وتولى الحكم بعد وفاة أخيه " عمر " عام 1830، ولم يدم في الحكم سوى سنة واحدة إذ قتل من طرف أخيه " علي " سنة 1831.

8 - محمد الطاهر عبد الجواد – المرجع السابق – ص50.

سـنوات، إذ تغلبت لغة الصـراع على السـلطة على الأوضـاع السـائدة يومئذ، ودب الخلاف والتنافس في نفوس رؤساء القبائل وأبناء البيت الجلأبي بتقرت [1]

وشرعت فرنسا مباشرة في عملية " الاستـيـطان الحر"، إذ قام المستثمرون الأثرياء بابتـياع المقاطعات وهاجر الفلاحون من اسبانـــيا إلى الغرب الجزائري، ومن مالطا وإيطاليا وكورسيكا إلى الشرق الجزائري، لأن الجزائر صـــارت من الممتلكات الفرنســـية كما أعلن الملك لويس فيليب ســـنة 1834. وتقرر في عام 1840 احتلال البلاد كلها، وعيّن الجنـرال بيجو حاكما عاما (1841) فاستهل حكمه بتطبيـق الاستـيطان الرسمي في مختلف أنحاء البلاد بما فيها الجنوب وبدأ هذا الاستيطان يتضخم بسرعة بين عامي 1848-1852. [2]

وبدأت القوات الفرنسية في الزحف شرقا وغربا وجنوبا واصطدمت قواتها بمقاومة شـعبـــية أخرتها عن الوصول إلى الجنوب حوالي عشرين سنة وأهمها:

- مقاومة الحاج أحمد باي (1830-1848):

وُلّي الحاج أحمد بن محمد الشـريف بايا على قسـنطينة سـنة 1826، [3] وكانت عائلة "بوعكاز" التـــي يتزعمها فرحات بن سعيد تتولّى منصب شيخ العرب في الصحراء وتحضى بنفوذ واسع هناك، لكن الباي أحمد عزل هذه العائلة من ذلك المنصب، [4] واسـنده إلى خاله بوعزيز بن قانة، [5] ومنذ ذلك الوقت بدأ الصراع على أشده بين العائلتين الكبيرتين من أجل قيادة الصحراء، واستمر الصراع مدة طويلة حتى بعد الاستعمار الفرنسي، حيث اتخذ فرحات بن سعيد موقفا معاديا لسياسة الباي أحمد، فلم يعتـرف بسلطته عليه وظل يعمل للإطاحة بحكمه. [6]

ولما هاجم الفرنســيون مدينة الجزائر كان أحمد باي حاضــرا وشــارك في معركة اســطوالي وفقد فيها 200 من رجاله، ولما اسـتولى الفرنسـيون على المدينة رجع إلى عاصـمة إقليمه " قسـنطينة "، عاقدا العزم على مقاومة الغزاة المعتدين فنظم نفسه وبدأ يخوض معارك ضد الفرنســيــيــن، لكن الجيش الفرنسي استطاع احتلال عنابة، أهم موانئ إقليم قسنطينة سنة 1832. وزاد هذا الحادث التوتــر بــينه وبــيــن الفرنسـيـين، [7] إذ هاجم هؤلاء مدينة قسـنطينة واستولوا عليها في يومي 13 – 14 أكتوبـر 1837، ففكر

---

1 - إبـراهيم العوامر – المرجع السابق – ص229.

2 - جوان غليسبي – **الجزائر الثائرة** – دار الطليعة. ط 1. بـيـروت. . 1961. ص15.

3 - أبو القاسم سعد اللّه - المرجع السابق – ص139.

4 - صالح فركوس – **الحاج أحمد باي قسنطينة 1826 – 1850- -** ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. 1993. ص53.

5 - أبو القاسم سعد اللّه – **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال-** –. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ط 3. الجزائر. 1982. ص134.

6 - صالح فركوس – نفس المرجع – ص53.

7 - أبو القاسم سعد اللّه – نفس المرجع – ص ص135 - 138.

أحمد باي في محو هزيمته، فجمع رفاقه، واقتـــرح عليهم تكوين " زمالة " من عائلاتهم، وأطفالهم، وأموالهم، وتوجيهها إلى الصحراء لتكون في مأمن من الأخطار، ثم قام بمحاصرة قسنطينة وقطع الطريق بينها وبين عنابة لمنع الامدادت الفرنسية عنها وتحريرها بعد ذلك، لكن خاله بوعزيز بن قانة عارضه في ذلك بدعوى أن فرحات بن سعيد يهددهم في الجنوب، ويستعد لمهاجمتهم، واقتـــرح عليه التوجه له أولا لمحاربته والتخلص منه ثم يتم له التفرغ بعد ذلك للفرنسيين، [1] فوافق الحاج أحمد باي على مضض، وندم على ذلك عندما تبـــيـــن له بن قانة على حقيقته واكتشـف مواقفه المعادية. وقال في مذكراته: "...وعليه انضممت إلى رأيه ولو أن الله هداني في ذلك الوقت، لفهمت انه يريد جلبي إلى الصحراء ليأخذ أموالي عن آخرها، ولكن إذا حكم القدر على شخص بالهلاك عمي بصره وبصيرته وصار يعتقد الخير فيما يؤدي إلى الخراب، وأكرر لقد اتبعت رأي بوعزيز وكان ذلك هو مصـابـــي الأعظم."[2] وخلال شـهر ديسمبر 1837 اصطدمت قوات الحاج أحمد وفرحات بن سعيد في معركة ضارية بواحة صحيرا، وقتل لفرحات أكثـر من 600 رجل، ولابن قانة أكثـر من 100 رجل، وحينذاك اضطرت الظروف الحاج أحمد باي إلى الانسـحاب من بسـكرة والالتحاق بوادي سـوف، وكاتب من هناك باي تونس، [3] وطلب منه أن يـــرأف بأتباعه، ورفاقه الذين اضطرتهم الظروف إلى الالتجاء إلى هناك، واعتذر له عن عدم قدرته من الالتجاء إلى تونس، كما كاتب سـلطان اسـطنبول محمود الثانـــي ليذكره بوعوده الســابقة، وبتأخر نجدته.[4] وهي الرسالة المؤرخة في 12 شوال 1253 هالموافق لـ16 جانفي 1838 ومما ورد فيها:

" لقد قبلنا بصـبـــر هذا الحكم الذي أراده الله، وفي انتظار مجيء الدعم للأمة الإسـلامية قصـد التخفيف من آلامها، كان قد انسحب معنا عدد كبـيـــر من المسلمين الذي(كذا) انظم إلينا تاركا وراءه حياته وأملاكه...إن فكرتنا هي الدفاع عن الدين واستكمال واجبنا، ومما يبرر هزيمتنا هي استمرارنا على الإخلاص والطاعة لمولانا (السلطان) " [5] لكن لم يصله أي رد من السلطان.

وبعد هذه المعركة بعث فرحات بن سعيد رسولا إلى الفرنسيين طالبا منهم الدعم والمساعدة لملاحقة

---

1 - يحي بوعزيز –" معارك الحاج أحمد باي في جبال اولاد سلطان من خلال ثلاث وثائق جزائرية " في ــ **مجلة الثقافة**. الجزائر. نوفمبـــر/ ديسمبـــر 1985. العدد90. ص ص125 – 126.

2 - محمد العربـى الزبـيري – **مذكرات احمد باي وحمدان خوجة وبوضربة** –. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. ط 2. الجزائر. 1981. ص77.

3 - هو المشير أحمد باي 1837 – 1855 -.

4 - يحي بو عزيز – معارك الحاج احمد باي – ص ص127 – 129.

5 - صالح فركوس – المرجع السابق – ص84.

الحاج أحمد باي وأولاد بن قانة، فماطلوه ولم يجيبوه لأن ظروفهم في الشـمال لا تسـمح بذلك.[1] فجرب فرحات حظه وحده وهاجم أحمد باي عام 1838 ولكنه انهزم أمامه وقتل له حوالي ثلاثمائة من رجاله، واضطر أن يفر بمن بقي معه إلى بلاد سوف تاركا كل ما عنده غنيمة للحاج أحمد.[2]

واثر هذه الحوادث اتصل بوعزيز بن قانة بالفرنسيين، وعرض عليـهم خدماته ومساعداته فعينوه شيخا للعرب على الجنوب بمقتضى قرار 18 جانفي 1838 ولم يقتنع بذلك فطلب أن يخلعوا عليه لقب " الخليفة " فلم يلبوا رغبته وتوانوا ليجربوا مدى اخلاصه، [3] وفي عام 1839 صار خليفة لهم في الزيبان، فأمدوه بالمؤونة والعتاد ووجهوه لضرب حركة الأميـر عبد القادر والمقاومة الشعبـية في منطقة الزيبان. ولكن ذلك لم يؤثر على الأميـر كثيـرا، فظل نفوذه في المنطقة قويا رغم وجود بن قانة هناك، ولم تـرجح الكفة للفرنسيين، وممثلهم ابن قانة الا ابتداء من سنة 1844 عند احتلال بسكرة.[4]

أما الحاج أحمد باي فاستمر في مقاومته للفرنسيـيـن، وظلت هذه المقاومة بـيـن مد وجزر. وكانت الهزائم المتلاحقة تجبـر الباي المطارد إلى الاعتصـام بإحدى القبائل التـي بقيت تـربطه بهم العلاقة القديمة لكونه باي "بايلك الشرق الجزائري" ومنها بنو جلاب بوادي ريغ، فإليهم انسـحب وقضى عندهم فصل الشتاء، [5] عامي (1838 – 1839) .[6] كما انسحب إليها مرة ثانـية في ربـيع 1840 وأقام بها عاما كاملا.[7] إلا أن المنطقة الجنوبـية صـارت غيـر آمنة لديه بعد احتلال الفرنسـيين للزيبان، فانتقلت مقاومته إلى نواحي الأوراس، وفي الأخيـر استسلم الحاج أحمد باي وانتهت مقاومته للفرنسيـيـن في شهر جوان عام 1848.[8]

- مقاومة الأمير عبد القادر (1832 – 1847):

لما بدأ التوسع الفرنسي يجتاح الغرب الجزائري انتفض السكان وقاوموا الغزاة، ثم فكروا في تنظيم قيادة تتولى شؤون الجهاد، فوقع اختـيارهم على الأميـر عبد القادر بن محي الدين، وبعد مبايعته وجه نداء بتاريخ 22 نوفمبـر 1832 للقبائل والاعراش طالبا منهم مؤازرته في الكفاح المسلح ضد الفرنسيـيـن ومما ورد في البـيان: " ... ولذلك ندعوكم في أن تشاركوا في هذا العهد أو العقد، بـيننا وبـينكم، سارعوا

1 - يحي بو عزيز - المرجع السابق– ص127.

2 - يحي بو عزيز – ثورات الجزائر – ص64.

3 - يحي بوعزيز – معارك الحاج احمد باي – ص129.

4 - أبو القاسم سعد اللّه – الحركة الوطنية – ج 1. ص ص282 – 283.

5 - محمد العربـى الزبـيري – مذكرات – ص87.

6 - يحي بوعزيز – معارك الحاج احمد باي – ص129.

7 - محمد العربـى الزبـيري – مذكرات ص ص89 – 90.

8 - يحي بوعزيز – ثورات الجزائر – ص50.

إذن، لإعلان ولائكم وطاعتكم، والله يجازيكم في الدنـــيا والآخرة، إن هدفي الأســاسـي هو الإصـلاح وفعل الخيـر ما دمت حيا، إن ثقتـي في الله، ومنه هو وحده أرجو الجزاء والنجاح ".[1] كما وجه دعوة للاجتماع في مدينة معسكر في ربيع 1833، وقد رحب بالدعوة عدد كبير من القبائل الهامة في التل والصحراء .[2] " فأتاه من جملتهم في الحين جماعة من تقرت وسوف ".[3]

وقد اقتصـر حكمه في بادئ الأمر على عمالة وهران، لكن بفضـل مجهوداته الحربـــية التـــي بذلها، ونفوذه السـياسـي الاجتماعي تمكن من اكتسـاح معظم بلاد المغرب الأوسـط واضـطر إلى تقسـيمها إلى ثماني مقاطعات منها:

- مقاطعة مجانة ونواحيها، وعاصمتها " سطيف " وتمتد من سطيف إلى وادي سوف، [4] وكانت يومئذ العملة الأميـــرية منتشـرة بمنطقة سـوف[5] ولكن الأميـــر يؤكد في مذكراته أن سـلطته لم تبسـط على المنطقة:

" وليس في الصحراء سوى أربعة مراكز لم تصلها بعد سلطتـي، وهي ميـزاب، وورقلة، وتقرت، ووادي سوف... " .[6]

ولكن المقاطعة الثانـية المجاورة كانت أكثـر تفاعلا مع سوف، وكانت تابعة لسلطة الأميـر، وهي في السابق تمثل الخط الرابط بـيـن بايلك الشرق ووادي سوف، وهي يومئذ تشهد تحركات المقـاومة التـي يقودها "أحمد باي " كما سبق الذكر.

- وهي مقاطعة " الزيبان " والصحراء الشرقية، وعاصمتها " بسكرة " والذين ولاّهم الأميـــر خلفاء كان أغلبهم على صلة وثيقة مع سوف ومنهم: فرحات بن سعيد الذي كان صديق " طرود " السوافة، والذي استنجد بالأمير عبد القادر فلبى نداءه، وأمر خليفته على المدية " ابن البركاني " أن يجمع قواته وان يزحف على بســكرة، وقد اســتقبله فرحات بن ســعيد بصــدر رحب، وهاجما معا أحمد باي الذي فر أمامهما ونجا بنفسه نحو الصحراء.[7]

---

1 - شارل هنري تشرشل – **حياة الأمير عبد القادر الجزائري** – ترجمة وتقديم وتعليق الدكتور أبو القاسم سعد الله. الدار التونسية للنشر. تونس. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر. ماي 1974. ص60.

2 - نفسه. ص62.

3 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق- ص230.

4 - يحي بوعزيز– **بطل الكفاح الأمير عبد القادر الجزائري**– نشر وتوزيع المكتبة الشرقية. ط1. تونس. 1957 ص ص115-116.

5 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق- ص230.

6 - شارل هنري تشرتشل – المرجع السابق – ص136.

7 - نفسه. ص ص163 – 164.

فاستولى بذلك الخليفة " محمد البـــركانـــي " على بسكرة ثم انتقل راجعا إلى حاضرته المدية، فاسند الأميـر أيالة بسكرة وما إليها إلى فرحات بن سعيد فاستلم زمام أمورها، ورتب العمال في أعمالها.[1] وظل فرحات بن سعيد خليفة للأميـر على إقليم الزيبان لكن مدته كانت قصيـرة امتدت من(أواخر 1837 إلى أوائل 1838)، [2] وفي تلك الأثناء اكتشف الأميـر مراسلات بيـن فرحات والفرنسيـيـن، فاعتبـرها خيانة واضحة من عامله فرحات بن سعيد، فأمر باعتقاله وأرسل إلى تاقدامت [3] مكبلا بالقيود.[4]

وعين الأميـر مكانه الكاتب السابق لفرحات " الحسن بن عزوز البـرجـي " فصار خليفة للأميـر منذ 1838، وكلفه بمحاربة الفرنســيـيـــن وأعوانهم بالمنطقة، وخاصـــة بوعزيز بن قانة، الذي خلع عليه الفرنسيون منصب شيخ العرب، وكلفوه بمقاومة الحاج أحمد باي واتباعه رغم أنه كان صهرا له.[5] ولما انهزم بن عزوز في مارس 1840، انسحب إلى المسيلة، وبقي يخطط للعودة إلى الزيبان، واستئناف جهاده، قبل أن يتمكن العدو الفرنسي من القبض عليه سنة 1841، حينئذ عيّن الأمير فرحات بن سعيد خليفة له على الزيبان، [6] واشتـرط عليه ملاحقة أولاد بن قانة. وقد تـرك أفراد عائلته عند الأمير كرهائن حتى يضمن ولاءه، أو عدم استسلامه للفرنسيين مرة أخرى، وفعلا أخلص فرحات بن سعيد هذه المرة، وأبلى البلاء الحســن، واســتطاع مضــايقة القبائل الموالية لأولاد بن قانة، إلا أن البوازيد[7] غدروا به وقتلوه بأولاد جلال في سبتمبـر 1841 ودفن من طرف أنصاره في ضريح (النبـي خالد) في مسجده ببلدة سيدي خالد.[8]

فأسـند الأميـــر مقاطعة الزيبان والصحراء الشـرقية إلى محمد الصـغيـــر بن عبد الرحمان المدعو (أحمد بلحاج)، فقام بنشاط حربـــي واسع بالتصدي للقوات الفرنسية وللحاج أحمد باي وأتباعه، كما قام بدور سـياسـي واهتم بتدعيم سـلطة الأميـــر في الناحية الشـرقية، فراسـل الباي، والرسـمييـــن التونسيـيـن، وبعض الشخصيات الجزائرية، وتحمس لربط الصلات والعلاقات الحسنة بـيـن الأميـر وبايات تونس، [9] لأن مقاطعته متاخمة لتونس، وكانت سوف تمثل الحدود الجنوبية الشرقية مع تونس.

1- الاميـــر محمـد بن عبـد القـادر الجزائري – **تحفـة الزائر في تـاريخ الجزائر والاميـــر عبـد القـادر** – شـرح وتعليق د. ممـدوح حقي. دار اليقضة العربـية. بـيروت. 1964. ج 1. ص300.

2 - أبو القاسم سعد اللّه – الحركة الوطنية – ج 1. ص ص198 – 199.

3 - **تاقدامت:** وهي مدينة تقع جنوب شرق وهران بناها الأمير عبد القادر واتخذها عاصمة لإمارته دولته.

4 - شارل هنري تشرتشل – المرجع السابق – ص164.

5 - يحي بو عزيز – **كفاح الجزائر من خلال الوثائق** – المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. 1986. ص48.

6 - أبو القاسم سعد اللّه – الحركة الوطنية – ج 1. ص283.

7 - **البوازيد:** قبـيلة كانت تقطن المناطق الممتدة بـين فوغالة وبسكرة.

8 - إبـراهيم مياسي – **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر** – ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر 1999. ص ص56 – 57.

9 - يحي بوعزيز – كفاح الجزائر – ص57.

وبالرغم من الجهود الجبارة التـــي بذلها فإنه لم يسـتطع وقف تقدم القوات الفرنسـية، وبمسـاعدة بن قانة دخلت إلى بسـكرة في 4 مارس 1844، [1] وفي 23 ماي 1844 أصـدر الدوق دومال أمرا تنظيميا عاما، تم بمقتضـاه تعيين الرائد توماس قائدا أعلى لدائرة بسـكرة وتحت إدارته أربعة مسـؤوليـــن من الأهالي يعملون في نطاق محدد بمنطقة الزيبان ومنهم شـيخ العرب بوعزيز بن قانة الذي عيّن في منصـب خليفة في الصحراء. [2]

بعد سقوط بسكرة قاتل محمد الصغيـــر بن عبد الرحمان، لكنه اضطر في الأخيـــر أن يغادر البلاد متخذا من منطقة سوف ملجأ له، [3] ولكنه لم يتوقف عن المقاومة تحت لواء الأمير حتى بعد استسلام هذا الأخير عام 1847، حيث كان بالحاج يجوب المناطق المتاخمة للزيبان، وهي سوف والجريد التونسي. وعندما وقعت أحداث واحة الزعاطشـــة أواخر عام 1849، [4] وصـــلت أصـــداؤها إلى وادي ســـوف والجريد، [5] وحينئذ غادرت سـوف مجموعة من المقاوميـــن لنجدة إخوانهم المحاصـرين، [6] ولا يسـتبعد التنسيق بين السوافة وبـين محمد الصغيـر بن عبد الرحمان الذي كان يومها في نفطة التونسية، وقدم لنجدة الشيخ بوزيان شيخ واحة الزعاطشة، والذي كان تابعا فيما سبق لسلطة الأمير عبد القادر. [7]

إلا أن نتائج الأحداث كانت مأساوية وانتهت بإحكام الفرنسيـين قبضتهم على منطقة الزيبان مع نهاية النصف الثانـــي من القرن التاسع عشـر لتواصل توغلها نحو الجنوب في المناطق المتاخمة للزيبان ومنها منطقة وادي ريغ ووادي سوف.

- الواقع السياسي لإمارة بني جلاب ومنطقة سوف (1830 – 1853):

لما غزا الفرنسيون الجزائر تولى إمارة بنـي جلاب خلفا للسلطان " عمر بن جلاب " أخوه " إبـراهيم بن محمد بن أحمد بن جلاب "، وكان رجلا متدينا، دفعه اشـتـــياقه إلى الحج أن يتخلى عن الحكم مؤقتا ويتجه إلى البقاع المقدسة، وتـــرك خلفا عنه أخوه الأصغر " علي بن محمد "، واستمرت رحلته الدينـــية

1 - أبو القاسم سعد اللّه – الحركة الوطنية – ص284.

2 - إبـراهيم مياسي – من قضايا تاريخ الجزائر –ص ص70 – 71.

3 - ابـراهيم العوامر – المرجع السابق. ص247. د. يحي بوعزيز – ثورات الجزائر – ص49.

4 - يحي بوعزيز – كفاح الجزائر – ص56.

5 - ابو القاسم سعد اللّه – الحركة الوطنية – ص357.

6 - ابـراهيم مياسي – المرجع السابق. ص85.

7 - يحي بوعزيز – كفاح الجزائر – المرجع السابق. ص56.

ثمانـــية عشـر شـهرا، وبعد عودته أقيم له احتفال شـعبـــي، ويومها تعرض للقتل من طرف أخيه الذي استحوذ على مقاليد الأمور بدون منازع سنة 1831.[1]

و كانت منطقة سوف حينذاك خاضعة لبنـــي جلاب وتدفع الضرائب لهم بانتظام، والتـــي يعفى منها بعض الأشراف مثلما فعل إبـــراهيم الجلابـــي مع أولاد الولي الصالح سيدي مسلم دفيـــن بلدة تغزوت، مثلما ذكر الطاهر التليلي بقوله: "... ورأيت وثيقة عليها ختم أحد ملوك الجلابية وهو محمد بن إبـراهيم الجلابـي [2] تاريخ الختم والوثيقة سنة 1247 هـ[3] وفحوى هذه الوثيقة أن صاحب الختم المذكور أعفى أولاد مسلم المذكور من دفع المغارم المخزنية..."[4].

ولما تولى " علي بن محمد " وسيطر على الأمور صار يعرف بـــ" علي الكبـــيـــر " والذي وقف إلى جانب "فرحات بن ســـعيد " الذي كان يحارب الحاج أحمد باي قســـنطينة. [5] وفي تلك الأثناء انفجرت الحرب بين الجلابية في كل من إمارتي تقرت وتماسين، فانظم العرب من قبيلة سعيد أولاد عمر إلى تماسين،[6] وكذلك فعل أهل سوف بانضمامهم إلى هذا الطرف، [7] بـــينما انضم العرب من قبـــيلة أولاد مولات إلى صف علي الكبـــيـــر الجلابـي سلطان تقرت وانتهت المعارك سنة 1833 بانتصار جلابـي تماسين والزاوية التـــيجانـــية المؤازرة لهم.[8] وتذكر القصص المحلية أن العناية الإلهيـــة وقفت إلى جانب شيـــخ الـــزاوية التيجانية الحاج علي التماسيني.[9]

---

1 - بن نعمية عبد المجيد **" مواقف شيوخ بنـــي جلاب في تقرت من الاحتلال الفرنسي 1830 – 1854 "** مدونة الملتقى التاريخي الثالث لفتـــرة حكم بنـي جلاب بمنطقة وادي ريغ. المرجع السابق. 1998-. ص ص120 – 121.

2 - الصحيح هو إبـراهيم بن محمد الجلابي، لعل الشيخ وقع له سهو عند النقل.

3 - وهو التاريخ الموافق لعام 1831م.

4 - الفوائد المنثورة – المرجع السابق. ص78.

5 - André Voisin – op. cit. p 45.

6 - الطاهر بن دومة التقرتـي – **نبذة تاريخية عن سكان وادي ريغ** – مخطوط .

7 - André Voisin – op. cit. p 45.

8 - الطاهر بن دومة – المرجع السابق.

9 - هاينـريش فون مالتسان – **ثلاث سنوات في شمال غربـــي إفريقيا** – تعريب د. أبو العيد دودو. . الشركة الوطنيـــة للنشر والتوزيع. الجزائر 1980. ص176.

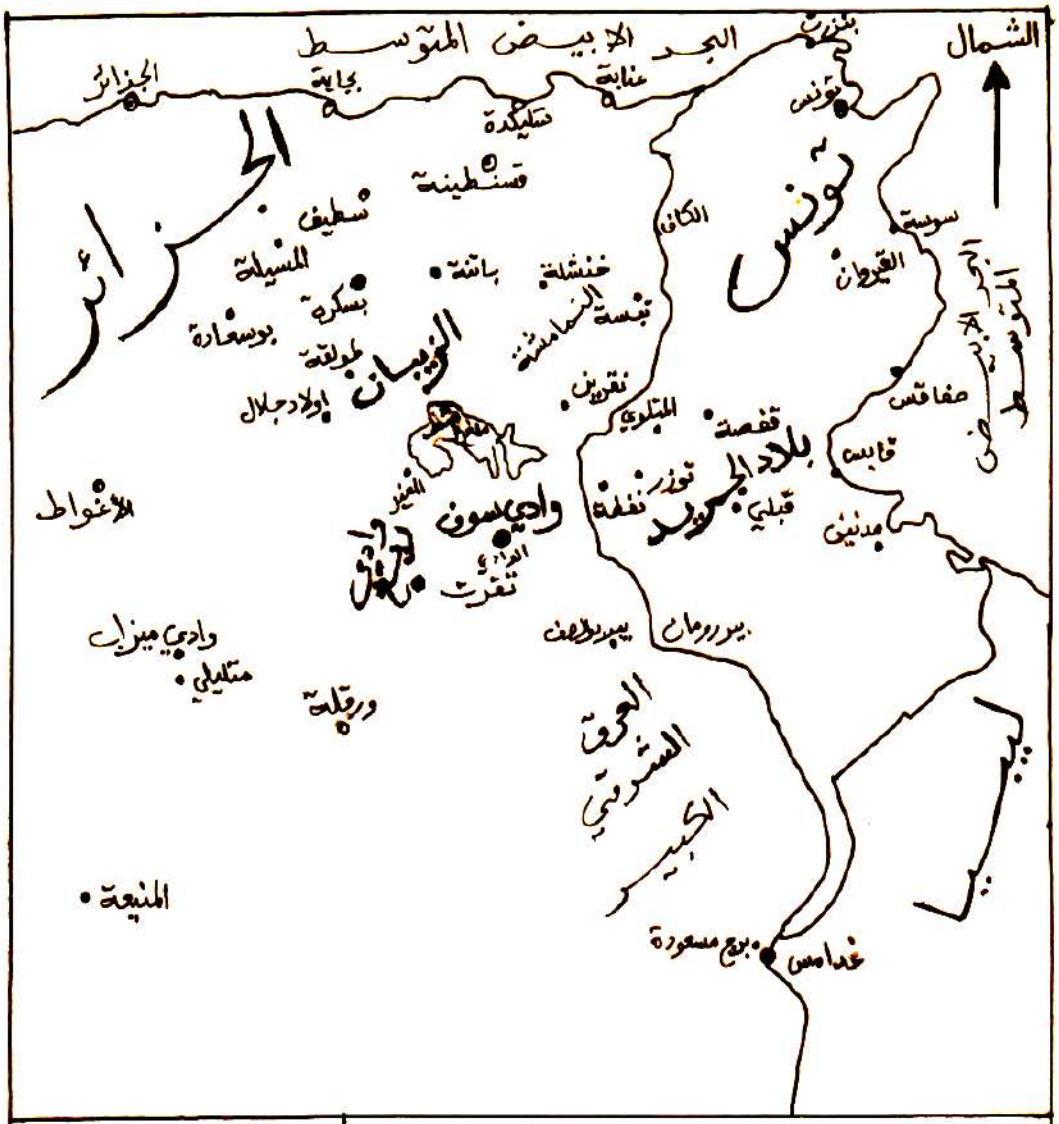

100 50 0 100 200 300 400 500 كلم

- المقياس -

- عاصمة دولة .
- عاصمة اقليم .
- موقع هام .
- الحدود بين الدول .

خريطة وادي سوف والبلدان المتعامل معها.

المراجع :

- Carte de l'Algérie. Service de la Protection des Végétaux. France S.D
- الاطلس العالمي
- المعهد الوطني المتربي الجزائر - ص 30-31

واثر هذه الأحداث توجه الشيخ على الكبير إلى سوف وأثخن فيها قتلا، انتقاما من أهلها لأنهم يأوون خصوم الإمارة الجلابية من جهة، [1] ويؤازرون تماسين ضد تقرت من جهة أخرى، مما مكن تماسين من الانتصار عليهم سنة 1833. ولم ينصرف حاكم تقرت من سوف حتى تركها تنزف نارا و دما، وكر راجعا نحو إمارته.[2]

اختار الشيخ علي الكبير سياسة المهادنة والتعاون مع الفرنسيين، ويعتبر بذلك أول حاكم جلابي يتصل بهم عارضا عليهم التعاون من أجل الاستيلاء على مقاطعة قسنطينة ليحضى بحكم المنطقتين،

فأرسل ابنه إلى الجزائر والتقى بالجنرال (دوروفيقو) قائد القوات المسلحة في جانفي 1833 لكن القائدالفرنسي لم يتحمس للعرض الجلابي، وبعد أشهر أعاد الكرة وأرسل مبعوثا آخر للجزائر وهو سي الحاج محمد أحد أعيان البلد، ولكن فرنسا رفضت ذلك، [3] لأنها مازالت غير قادرة على بسط نفوذها على كل تلك الجهات، إضافة إلى أن اللجنة الإفريقية مازالت تدرس نوع السياسة التي سوف تتبعها فرنسا في الجزائر، ولم تنته تلك اللجنة من تقريرها إلا في نوفمبر 1833. [4] وبناء على توصياتها صدر أول مرسوم فرنسي يوم 02 جويلية 1834 ينص على إلحاق الجزائر بفرنسا. [5]

وقد توفي الشيخ علي الكبير في سنة 1833 بالسم الذي وضعته له أرملة أخيه عمر "لّلة عيشوش" الجلابية، جاعلة من ابنها الشيخ عبد الرحمان بن عمر سلطانا على تقرت، عوضا عن الشيخ سلمان بن علي الذي فر إلى تماسين ناجيا بنفسه من "لّلة عيشوش". ولم يكن ابنها عبد الرحمان[6] المدعو "بوليفة" أهلا للحكم، إذ لم يتجاوز عمره ثماني سنوات فتولت الوصاية عليه أمه "عيشوش" فصارت الحاكم الفعلي للبلاد لمدة سبع سنوات إلى غاية عام 1840. وقد افتتحت حكمها في بداية 1834 بالاتصال بالجنرال الفرنسي فوارول عارضة عليه الإستيلاء على قسنطينة وتنصيب ابنها بايا خلفا للحاج أحمد باي. وقد وافقت فرنسا مبدئيا إلا أن الأمر ظل صعب التطبيق بسبب جهل الفرنسيين للجغرافية الصحراوية، فانقطعت الاتصالات بين الطرفين. [7]

---

1 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق – ص238.

2 - André Voisin – op. cit. p 45.

3 - بن نعمية عبد المجيد – المرجع السابق – ص121.

4 - أبو القاسم سعد اللّه – محاضرات – ص103.

5 - أبو القاسم سعد اللّه – الحركة الوطنية – ص56.

6 - محمد الصغير دبابى – مرجع سابق – ص42.

7 - بن نعمية عبد المجيد – المرجع السابق – ص ص121 – 122.

وانتهى حكم عيشوش شكليا في عام 1840 لما تولى ابنها عبد الرحمان الحكم بصفة رسمية، [1] ولما احتلت فرنسا بسكرة 1844 إتصل الشيخ عبد الرحمان بالفرنسيين معترفا بسيادتهم على المنطقة المحتلة وبدأ يدفع لهم ضرائب سنوية بقيمة 20000 فرنك. [2]

وقد وقعت أزمة بين تماسين وتقرت في 2 ديسمبر 1847، فاقترحت سوف الوساطة لفض النزاع، ولكن الشيخ عبد الرحمان أعلن الحرب على تماسين وبعث ممثليه إلى سوف طالبا منهم العون، فأحرج أهل سوف وتخلوا عن تماسين من أجل المحافظة على السلم حسب تقديرهم للأمر، وأرسلوا 650جنديا لمساعدة تقرت في نزالها الذي دام من 12 إلى 21 فيفري 1848، وانتهى بهزيمة تماسين، ودخل الجيش الجلابي إلى تقرت، ولكن السلطان صرف رجال سوف بدون مراعاة للجهود التي بذلوها من أجله. [3]

والجدير بالذكر أن الفرنسيين رفضوا تقديم المساعدة للشيخ عبد الرحمان لما عزم على مهاجمة سوف بعد ذلك، خوفا من اتساع نفوذه وقوته فيصبح خطرا يقف في وجه توسعهم، ومع ذلك زار الشيخ عبد الرحمان مدينة بسكرة في مارس 1848 واستقبل من قبل الملازم الأول ديبوسكات " Debosquet " وذلك كان ثمن الولاء الجلابي للسلطة الفرنسية. [4]

وقد بدأ في شهر فيفري 1851 ظهور الثائر الشريف محمد بن عبد الله [5] الذي عسكر بالقرب من تقرت وأعلن نفسه سلطانا على ورقلة في أوت 1851 وبدأ يفكر في السيطرة على تقرت فاتجه إليها وانضم إليه سلمان بن جلاب المعارض لأبن عمه عبد الرحمان، فهاجما تقرت وقتلا 85 رجلا وأرغما السلطان على الاعتصام بقصره. [6] لكن فرنسا وقفت إلى جانبه وأدركته بالمساعدة من بسكرة، وخاض معركة حاسمة قرب تماسين في 5 سبتمبر 1851 انتهت بانتصاره. وفي 25 جانفي 1852 توفي الشيخ عبد الرحمان بن جلاب بعد مرض مفاجئ ولم يترك وراءه سوى أطفال صغار، أكبرهم عبد القادر، الذي لم يتجاوز سبع سنوات، [7] فتولت جدته " لله عيشوش " الوصاية عليه، [8] وتخوفت فرنسا يومئذ من

---

1 - Mohamed Elkebir Miadi. op - cit. P3.

2 - بن نعمية عبد المجيد – المرجع السابق – ص122.

3 - André Voisin – op. cit. p 45.

4 - بن نعمية عبد المجيد – المرجع السابق – ص123.

5 - أصله من قبيلة روسل قرب عين تموشنت، انتقل إلى تلمسان واشتغل معلما للقرآن، واعتكف في ضريح أبي مدين وبدأ يجمع الأنصار، فأمرته السلطات الفرنسية بالتوجه إلى الحج للتخلص من مشاغباته فالتقى بمحمد علي السنوسي وأسّسا معا زاوية دينية اتخذاها مركزا لتجميع الجزائريين المضطهدين. وعاد إلى الجزائر عام 1850 واستقر بورقلة ومنها انطلق كفاحه.

6 - يحي بوعزيز – ثورات الجزائر – المرجع السابق. ص125.

7 - بن نعمية عبد المجيد – المرجع السابق – ص ص123- 124.

8 - محمد الطاهر عبد الجواد – المرجع السابق – ص ص50 – 51.

زحف الشيخ سلمان بن جلاب على تقرت، والاستحواذ على عرشها، فسارعت إلى الاعتراف بالصبى عبد القادر سلطانا على وادي ريغ وسوف، وعينت أحمد بن الحاج بن قانة وصيا عليه إلى حين بلوغه سن الرشد.[1] لكن الموت عاجله، وذلك فتح الطريق أمام سلمان بن محمد بن جلاب فاستولى على الحكم سنة 1853، [2] بمساعدة أولاد اسعود من أهل سوف المتواجدين في قرى كوينين وتاغزوت، وبمؤازرتهم تمكن من الانتصار والتحكم في زمام الأمور في البلاد.[3]

وقد عرضت السلطات الفرنسية على الشيخ سلمان بن محمد بن جلاب التعاون معها مقابل تثبيته على حكم تقرت وسوف، لكنه رفض ذلك العرض لأنه كان قد نذر نفسه رفقة مجموعة من المقاومين بالتصدي لجحافل هذا الغزو الاستعماري، ولأن العرض يحمل في ثناياه صفة الاحتلال للمنطقة.[4]

وقد وصل في شهر مارس 1853 طابور فرنسي إلى مدينة بسكرة تحت قيادة العقيد ديفو قائد مقاطعة باتنة، والذي توجه صوب تقرت من أجل غزوها، [5] وقد اكتفت تلك القوات بإجراء مناورات بضواحي المدينة محاولة إثارة الفزع في حياة السكان، وتحذير سلمان من مغبة إصراره وتعنته ورفضه موالاة الفرنسيين.[6] ومن جهته قام سلمان بتحصين مدينته، واستنفر سكان تقرت، وقرى وادي ريغ وأهل سوف، وراسل شريف ورقلة محمد بن عبد الله، [7] وذهب إلى أبعد من ذلك حيث طلب المساعدة والمدد من الباي التونسي، الذي لم يستجب لطلبه، واكتفى بإهدائه ستة بنادق.[8]

وبعد انسحاب القوات الفرنسية عن تقرت بدأت قوات المقاومة الشعبية تتجمع فيها، كما وصلها الثائر محمد بن عبد الله (شريف ورقلة) في صيف 1853. وفي نهاية هذه السنة كان الثائر بن ناصر بن شهرة[9] تحت رعاية الشيخ سلمان بن جلاب بعدما أصيب بجروح بليغة أثناء الدفاع عن مدينة ورقلة[10] التي سقطت في نفس السنة (1853)، وبعد أيام من الاستشفاء غادر بن شهرة المنطقة نحو

---

1 - محمد الصغير دبابي – المرجع السابق. ص43.

2 - محمد الطاهر عبد الجواد – المرجع السابق – ص51.

3 - Souad Selami – **Touggourt Esquisse Historique** –Les imprimeries du sud. Ouargla. 1998. P 65.

4 - محمد الصغير دبابى – المرجع السابق. ص43.

5 - Souad Selami op. Ci t. p 65.

6 - محمد الصغير دبابى – المرجع السابق. ص43 .

7 - Souad Selami op. Ci t. p 65.

8 - محمد الصغير دبابى – المرجع السابق. ص ص43 – 44.

9 - ينتمي إلى قبيلة الارباع ومن أتباع الطريقة القادرية بالأغواط، ولد سنة 1804 وبدأت مقاومته للفرنسيين عام 1851 واتصل بالشريف محمد بن عبد اللّه بورقلة وتعاون معه. واستطاع في سنة 1852 أن يسيطر على بلدة قصر الحيران قرب الأغواط واتخذها مركزا لمقاومته.

10 - بن نعمية عبد المجيد – المرجع السابق – ص125.

الجريد التونسي عبـــر وادي سـوف.[1] وفي تلك الأثناء ازداد الاصرار الفرنسي لاحتلال منطقتـــي تقرت وسوف والذي تم الإعداد له بكل قوة وصرامة.

2. ظروف الاحتلال الفرنسي لوادي سوف ومراحله:

إثر احتلال فرنسـا لقسـنطينة بدأت تفكر في مواصـلة الزحف نحو الجنوب الشـرقي، والتوغل فـــي أطراف الصحراء ومنها منطقة "وادي سـوف" بالخصـوص وذلك راجع لعدة اعتبارات إسـتـــراتـــيجية وسياسية وأمنية وعسكرية منها:

1) اسـتكمال عملية التوسـع وبسـط النفوذ في بقية أجزاء الجزائر، لاسـتغلال ثرواتها، وتوطين أعداد من المستوطنين الأوربيين.

2) تحول المناطق الصـحراوية الجنوبـــية إلى معاقل للثوار، وملجأ للمقاوميـــن الذين يأوون إليها لاسـترجاع أنفاسهم وإعداد قوتهم للإنقضاض مرة أخرى على جحافل الجيش الفرنسي، كما كانت ملاذا آمنا للهاربين من المتابعات الفرنسية في الداخل أو الأجانب الفارين من أنظمة الحكم في ليبيا وتونس.

3) أن مناطق الجنوب وخاصة "وادي سـوف" مثلت مركزا هاما، يقدم الدعم المادي والمعنوي للثائرين بتزويدهم بالمال والسلاح والرجال.

4) أن إقليم "وادي سـوف" كان منطقة عبور إلى تونس وطرابلس، وهو فضـاء مفتوح يسـهل التنقلات بمختلف أشكالها مما يجعل الحدود الجنوبية والشرقية غير آمنة في نظر الاستعمار الفرنسي.

5) استعداء المقاومين الشعبيين، والحكام المحليين في الصحراء، لبايات تونس ضد فرنسا، وطلب الدعم والمؤازرة منهم مثلما فعل الحاج أحمد باي سـنة 1838، وسـلطان تقرت سـلمان الجلابـــي سنة1853 .

6) السعي الفرنسي الحثيث في إطار الصراع مع القوى الأوربـية المتنافسة للهيمنة على تونس وليبيـا، يدفعها إلى التوغل نحو الجنوب الجزائري حتـــى تكون قواتها على مقربة من حدود تلك البلدان، حتـــى تسـتغلها في وقت الحاجة لصـد القوات التونسـية المنهزمة نحو الجنوب، عندما تتمكن من غزو تونس عبر البحر الأبيض المتوسط أو من الجهة الشمالية الشرقية للجزائر.

وقد شرعت فرنسا في تطبـيـق مخططاتها الاستعمارية الاستـيطانـية في الجنوب الصحراوي، وفق سياسة المراحل التي دامت أكثر من أربعين سنة والتي يمكن حصرها في المراحل الهامة التالية:

1 - يحي بوعزيز – ثورات الجزائر – ص178.

المرحلة الأولى (1832 – 1852): الدراسات التاريخية والرحلات الإستطلاعية الفرنسية:

كانت "وادي سوف" تابعة لإمارة بنـــي جلاب مرتبطة بها كثيـــرا في عملية الغزو والاحتلال، وكان أول اتصال قد تم بـيـن الإمارة الجلابـيـة والسلطات الفرنسية الغازية في عهد الشيخ علي الكبـيـر بن محمد الجلابـي الذي عرض خدماته على الفرنسيين عام 1833، لكنه لم يلق منهم التـرحيب، وكانت مبـرراته قوية عند رفضهم التعاون معه في هذه المرحلة، بسبب جهلهم الكبـيـر بالواقع السياسي والطبـيـعي لهذه المناطق الصحراوية النائية، وهذا دفعهم بإلحاح خصوصا بعد احتلالهم مدينة قسنطينة سنة 1837، إلى إرسال بعثات استطلاعية لاكتشاف خبايا هذه المناطق.

والجديـــر بالذكر أن قيام الفرنسييـــن بجمع المعلومات، ومباشرة الدراسات التاريخية عن الجنوب انطلق منذ الأيام الأولى للإحتلال بتـرجمة الرحلات التـي قام بها المسلمون مثل رحلة العياشي والأغواطي والدرعي، ونشرت على أوسع نطاق للإستفادة منها سياسيا وعسكريا.

لقد تـرجم دافيـزاك" **D'AVEZAC** " رحلة الأغواطي من الانكليزية إلى الفرنسية ونشرتها مجلة " أخبار الرحلات الجديدة " في نوفمبـــر 1832، ثم قرأها دافيـــزاك نفسـه أمام أعضـاء الجمعية الجغرافية الفرنسـية في باريس في جوان 1833، ثم نشـرها مدعمة بتعاليق هامة وتذييلات بباريس سـنة 1836 في كتابه " دراســات في الجغرافية النقدية ".[1] وتتعرض هذه الرحلة إلى وصـف دقيق للواحات وطرق المواصلات في الجنوب، واحتوت على معلومات معتبـرة تهم منطقة وادي ريغ وسوف وغدامس وغيـرها من المناطق المجاورة، وارفق دافيـــزاك هذه الدراسـة بخريطة جغرافية هامة توضح المعالم الرئيسـية ممثلة في طرق المواصلات[2] القديمة وكيفية استغلالها من طرف فرنسا في المستقبل.[3]

وتكونت لجنة علمية فرنسية في عام 1839 ضمت عددا من العلماء والضباط العسكريين للبحث في مختلف جوانب الحياة بالجزائر، ومنها العلاقات مع افريقيا، وهكذا درس العقيد كاريت " **CARETTE**" الطرق التجارية التـي سلكها العرب في الصحـــــــراء، [4] وقد أخرجها في مؤلف بعنوان " دراسة حول جغرافية وتجارة افريقية الجنوبية ".[5]

---

1 - أبو القاسم سعد اللّه – أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر – ج 2، ص247.

2 - احميدة عميـراوي – المرجع السابق – ص41.

3 - احميدة عميـراوي – المرجع السابق – ص41.

4 - أبو القاسم سعد اللّه " المتـرجمون الجزائريون وافريقية " في **مجلة الثقافة**، العدد 113، 1996، ص35.

5 - احميدة عميـراوي – المرجع السابق – ص41.

وبعد احتلال بسكرة في مارس 1844 شرعت السلطات الاستعمارية في استغلال تلك المعلومات، ودعمتها ببعثات ذات طابع تجاري في ظاهره، وذلك عندما انطلقت قافلتان من بسكرة يوم 13 جويلية 1844 بهدف التعرف على أسواق المدن الداخلية فاتجهت واحدة إلى تقرت والثانية إلى عين صالح.[1]

ويتضح أن فرنسا بعد احتلالها لبسكرة توقفت عن التغلغل وتمهلت ريثما تتعرف أكثر عن تقرت وسوف وتحاول رصد قوة هذه المناطق وتحديد إمكانياتها ومدى صمودها أمام القوات الفرنسية الغازية، واعتبرت عملية الاستطلاع وجمع المعلومات أحد الأسلحة الفعالة التي رسمت على منوالها خططها وتحركات جيوشها.

ومن الرحلات الاستكشافية الأولية في وادي ريغ تلك الزيارة التي قام بها كل من دي شوفارييه " **DECHEVARRIER**" وماريوس قارن" **MARIOS GAREIN**" عام 1847، [2] وبعدها بعام (1848) كلف براكس" **PRAX**" [3] من قبل وزارة الحربية والتجارة [4] للقيام برحلة سرية نحو الجنوب الجزائري فزار وادي ريغ، [5] وأصدر دراسة عام 1848 بعنوان " تقرت وسوف " نشرها في مجلة " الشرق والجزائر " في الجزء الرابع، وفي نفس السنة قام برحلة أخرى انطلاقا من تونس نحو سوف، مرورا بتقرت وبسكرة، ونشر خلاصة رحلته في دراسة نشرها بباريس عام 1849 بعنوان " تجارة الجزائر مع مكة والسودان " وقد ضمّن كتابه المنشور معلومات هامة اعتمدتها الجيوش الفرنسية في تحركاتها نحو وادي ريغ وسوف وغيرها.[6]

أما الباحث الفرنسي بيربروجر" **Berbrugger** " المختص في الدراسات التاريخية، ويشغل مناصب هامة في هذا المجال فهو محافظ مكتبة ومتحف الجزائر ورئيس المؤسسة التاريخية الجزائرية، فقد باشر عمله بترجمة مخطوط العياشي ونشره بباريس سنة 1846، وقد استفاد منه في رحلته التي قام بها سنة 1850 لاكتشاف الواحات التونسية الجزائرية، فقد عبر المنطقة من سوق أهراس إلى تونس وتجول في بلاد الجريد ثم توجه منها إلى وادي سوف، [7] و قد ذكر فيرو، أن أدريان بيربروجر هو أحد الجواسيس الفرنسيين الذين نزلوا سوف قبل احتلالها وكان قادما من نفطة على ظهر حصان، وقد كتب أنه حصل من احد شيوخ طرود بكوينين على نسخة من تاريخ العدواني بتاريخ 28 نوفمبر 1850،

---

1 - نفسه. ص42.

2 - بن نعمية عبد المجيد – المرجع السابق – ص ص122 – 123.

3 - هو ضابط قديم في البحرية الفرنسية.

4 - André Voisin – op. Cit. p 52.

5 - بن نعمية عبد المجيد – المرجع السابق – ص123.

6 - André Voisin – op. Cit. p 52.

7 - André Voisin – op. Cit. p 52.

وعلق على ذلك بأنه مخطوط يتحدث عن تاريخ المنطقة.[1] ويتضح من تحركات بيربروجر أن الرحالة الفرنسيين كانوا يبذلون جهودا مضنية من أجل الحصول على الوثائق التاريخية النادرة في زمنهم مثل العدواني الذي اقتبسوا منه معلومات هامة عن أصول السكان وطبائعهم وطريقة عيشهم والمستوى الثقافي والاجتماعي فضلا عن الجانب العسكري.[2]

وقد واصل هذا الرحالة طريقه نحو وادي ريغ وورقلة وميزاب، واستفاد من حصيلة تلك الرحلة الاستطلاعية الجيش الفرنسي في وضع الخطط لاحتلال المناطق المذكورة، والتي ما زالت يومئذ خارج نطاق الاستعمار الفرنسي.

وتواصلت الرحلات ذات الطابع العسكري الاستطلاعي قبيل الانقضاض على سوف، إذ قدم إليها الملازم) (Roseروز[3] من الفيض[4] واتجه نحو قمار رفقة مجموعة من " القوم " في سنة 1852، [5] وكانت هذه المعلومات وغيرها في متناول يد الجيش الفرنسي حينما توغل في منطقة وادي ريغ وسوف ما بين سنتي 1854 – 1855 بقيادة العقيد ديفو " **Desvaux** ".[6]

المرحلة الثانية (1852 – 1854): الغزو الفرنسي لتقرت وسوف:

كانت مناطق الجنوب الصحراوي الجزائري حلبة للصراع وميدانا ملائما للثائرين وخاصة الشريف محمد بن عبد الله الذي لقي في وقت مبكر مؤازرة من الثوار المحليين، وذلك مكنه من الهيمنة على خط يشمل عدة مدن وقرى ابتداء من الاغواط إلى ورقلة وأخيرا تقرت وسوف، ولم تستطع القوات الفرنسية أن تواصل توغلها نحو الحدود الجنوبية الشرقية المتاخمة لتونس عبر " وادي سوف " إلا بعد تطويق المنطقة المجاورة والهيمنة على الاغواط وورقلة وتحييد وادي ميزاب واحتلال تقرت.

أما الاغواط فقد بدأت مهاج- مة الشريف محمد بن عبد الله لها في أوائل عام 1852 وذلك دفع الفرنسيين إلى إرسال جيش بقيادة بيليسيه بداية من شهر اكتوبر، إلا أن الشريف استطاع الدخول إلى الاغواط في شهر نوفمبر بمساعدة بن ناصر بن شهرة، واستمر القتال على أشده وانتهى بمعركة عنيفة

---

1 - L. Feraud – **le Sahara de constantine et de Tunis** –1868 - p 6.

- محمد العدواني – **تاريخ العدواني**– المرجع السابق، مقدمة الكتاب – ص39.

2 - **مخطوط محمد العدواني** – نسخة الشيخ احمد خراز -.

3 - **الملازم روز:** ضابط في الجيش الفرنسي ونائب رئيس المكتب العربي بالزيبان.

4 - **الفيض:** موضع بالزاب جنوب زريبة الوادي وشمال شط ملغيغ أي شمال سوف -.

5 - André Voisin – op. Cit. p 52.

6 - احميدة عميراوي – المرجع السابق- ص ص43 - 45.

بين الطرفين في 4 ديسمبر 1852 أجبرت الشريف وأعوانه على الانسحاب، واستولى الفرنسيون على الاغواط، [1] ووضعوا بها حامية عسكرية دائمة واتخذوها قاعدة حربية لتوسعاتهم نحو الجنوب.[2]

كما أبـــرموا اتفاقا مع أهل ميـــزاب في 19 أفريل 1853 يتعهدون فيه بدفع ضريبة سنوية قدرها 45 فرنك والاعتـــراف بحمايتهم وعدم التدخل في شـؤونهم الداخلية، بشـرط أن يتعهدوا بعدم فتح أبوابهم لأعداء الفرنســيين والغرض من ذلك تحييد أهل ميزاب وإبعادهم عن مســاعدة الثوار أمثال الشــريف محمد بن عبد الله وابن ناصر بن شهرة. [3]

أما ورقلة التـــي كانت موقعا هاما للشــريف محمد بن عبد الله وصــديقه بن شــهرة، فقد جند لها الفرنسيون قوات كبـيـرة قدمت من البـيـض في 3 نوفمبـر 1853 والتحمت بقوات المقاومين في نقوسة والرويسات وانتهت بهزيمة الشريف ورفاقه، وسيطر الفرنسيون على ورقلة في أواخر عام 1853. [4]

ولم يبق للفرنســيين يومئذ الا احتلال القلعة الحصـينة والدرع الواقي الذي تحتمـــي خلفه " وادي سوف " وهي إمارة بني جلاب " تقرت " التي وضع الفرنسيون أمامها كل ثقلهم العسكري.

أ) احتلال تقرت (5 / 12 / 1854):

كان حاكم تقرت عام 1854 هو الشيخ سلمان الجلابـــي الذي رفض التعاون مع الفرنسيـــن و فتح باب مدينته للمقاومين خاصة الشريف محمد بن عبد الله و بن ناصر بن شهرة، وكان تصرفه هذا عاملا قويا حفز الفرنسيين ودفعهم بقوة إلى احتلال تقرت، التي توجهت إليها قوات ضخمة آتية من بوسعادة بقيادة العقيد ديفـو والقائد جيـري قادما بقواته من الأغواط، [5] كما تعززت القوات الفرنسية بكتائب وطوابـيـر عسكرية أحدها بقيادة بان " **Pein** " والثانـي بقيادة باراي " **Barail** " والثالث بقيادة مـرمـي " **Marmier** " [6] والتحمت هذه القوات مع جيش ســلمان والشــريف محمد بن عبد الله، وجيش النجدة الذي قدم من "وادي سـوف" تلبـيـــة لنداء سـلمان لهم، وكانت المعركة في نواحي المقاريـــن في المكان المعروف[7] ببورخيص، [8] في يوم 29 نوفمبـــر 1854، ويذكر صـاحب الصـروف أن سـبب الهزيمة هو تسرع أحد السـوافة فقام باستنفار أصحابه قبل أن يستعد الجيش، فأعطى ذلك فرصة للفرنسيـــن

---

1 - أبو القاسم سعد اللّه – الحركة الوطنية – ص ص358 – 359.

2 - ج . ايفر – الأغـواط – في - **دائرة المعارف الإسلامية** – دار الشروق. 1933 القاهرة. المجلد الثالث. ص576.

3 - أبو القاسم سعد اللّه – الحركة الوطنية – ص ص359 – 360.

4 - يحي بوعزيز – ثورات الجزائر- ص127.

5 - نفسه. ص128.

6 - أبو القاسم سعد اللّه – الحركة الوطنية – ص361. Mohammed Miadi – op. cit. p 3.

7 - عبد الحميد ابـراهيم قادري – المرجع السابق. ص19. Souad Selami – op. cit. p 66.

8 - **بورخيص:** تقع شمال تقرت وتبعد عنها بحوالي 15 كلم.

للفتك بقوات سلمان بـــيسر وسهولة، وممّا ذكره صاحب الصروف بهذا الصدد: "حكي أن من جملة جماعة سوف رجلا يقال له كرباع صال في القوم وكانوا في وقت الاستراحة قائلا لهم: كيف تصبرون على القتال إلى الآن، فقام الناس من غير استعداد ولا انتظام وهاجموا المحلة وكانوا ينتظرونهم واقفين على قدم وساق وتحاربوا زمنا طويلا وفي آخره انهزم جند سلمان ولحق في أثرهم أقوام المحلة تقتل وتسلب. فتفرق الناس في الشطوط والشعاب والنخيل..."[1]

وهكذا انتهت المعركة بانتصار الفرنسيين والتجاء سلمان الجلابي والشريف محمد بن عبد الله إلى تقرت والاعتصام بها، وخضعت المدينة لحصار فرنسي شديد، بينما انسحب المقاومون من أهل سوف إلى الوادي، وفي يوم 2 ديسمبر 1854 غادر الشيخ سلمان والشريف محمد بن عبد الله تقرت، التي سقطت في يد الفرنسيين يوم 5 ديسمبر 1854، لما دخلها العقيد ديفو قائد ناحية باتنة، [2] معلنا عن سقوط "مشيخة بني جلاب" التي حكمت تقرت أكثر من أربعة قرون، وبسقوطها سَهُل على الفرنسيين مواصلة زحفهم نحو" وادي سوف".

ب) احتلال وادي سوف:

إثر احتلال الجيش الفرنسي لإمارة بني جلاب " تقرت" ترك العقيد "ديفو" بعض قواته بالمدينة للمحافظة على الأمن، وقاد بقية القوات القادمة من باتنة والأغواط وبوسعادة وإتجه نحو وادي سوف،[3] في 10 ديسمبر 1854 وكان مضطرا لسلوك طريق رملي صعب، كثير المنحدرات متعدد المسالك، تنتشر في كل جهاته الكثبان الرملية العالية، كما أن الرمال الرخوة تجعل عملية السير بطيئة عند الفرنسيين الذين اعتادوا على الأراضي الصلبة والطرق المعبدة، إضافة إلى خلو هذا الفضاء من السكان والأشجار وقلة المياه التي تتطلبها دوابهم بكثرة.

ورغم أن المسافة بين تقرت وسوف عبر الطريق الصحراوية غير المعبدة لا تتجاوز 85 كلم تقريبا، فإن القوات الفرنسية استغرقت رحلتها ثلاثة أيام، متخذة طريق الطيبات القبلية وهي موطن أولاد السايح الذين يشبهون أهل سوف، [4] في طبيعة أرضهم وعاداتهم وتقاليدهم، وبعد استقرار خفيف واصلت الطوابير الفرنسية طريقها حتى وصلت إلى مشارف أول بلدة من قرى سوف تدعى تاغزوت[5] وتوقفت، ودخل ديفو في مفاوضات شديدة أمام الطابور العسكري مع وجهاء المنطقة، وانتهت

1 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق. ص ص247 – 248.

2 - André Voisin – op. cit. p 47.

3 - Ibid – p 47.

4 - Commandant Couvet – Notes sur le souf et les souafa – **Bulletin de la société de géographie d'Alger**. 1934. P49.

5 - **تاغزوت:** قرية تقع في الجهة الشمالية من عاصمة سوف وتبعد عنها بحوالي 14 كلم.

المفاوضات بالاتفاق على عدة أمور، حينئذ دخلت القوات الفرنسية إلى تاغزوت في 13 ديسمبر 1854 وتم استقبالهم من طرف الأهالي باطمئنان ورضى، [1] وهذا ما صرحت به الكتابات الفرنسية مشيرة بذلك إلى استسلام سكان المنطقة بسهولة للقوات الغازية والرضى بشروطهم بيسر، ولكن الرأي الوطني المحلي له وجهة نظر أخرى تفيد أن الصدام كان عنيفا بين الطرفين، فقد استمات سكان سوف وبذلوا أقصى ما عندهم من جهد وهذا ما أشار إليه صاحب الصروف بقوله: " ثم بعد أن نزلت تلك المحلة بتقرت وأخضعت أهلها ارتحلت متوجهة إلى سوف لتخبر أهلها وبعد قتال بين الطرفين أياما عديدة في النخيل والسيوف[2] تغلبت المحلة على سوف." [3] وحسب المصادر الفرنسية، فإن العقيد ديفو قضى مدة سبعة أيام بسوف. [4] قضاها في الصراع مع المقاومين، لكن الجدير بالتنويه في هذا المجال هو عدم تكافؤ القوة بين الطرفين، فالقوات الفرنسية امتازت بضخامتها وقوة تنظيمها، وقد ضمت قوات هائلة قدمت من باتنة والاغواط وبوسعادة، إضافة إلى وحدة صفوفها، وحنكة قيادتها، وامتلاكها أسلحة متطورة وكافية، مع اتقانها أساليب الحرب الحديثة. وفي مقابل ذلك كان المجتمع السوفي يعيش حياة قبلية بدوية، وهذا ما جعل جهوده مبعثرة في القرى والبوادي من جهة والافتقار لقائد يجمع أطراف البلاد ويقودها في الحرب والسلم، فضلا عن قلة الأسلحة وفقدان خطة عسكرية محكمة لمواجهة عدو عنيد، ومن جهة أخرى فإن الانكسار والهزيمة التي لقيها الجند السوفي مع اخوانهم أهل وادي ريغ في موقعة المقارين وانسحابهم نحو منطقتهم، جعلت عملية الدفاع التي قاموا بها مجرد استجابة للواجب ودفاع عن الشرف والعرض وإرضاء للضمير ولو بأضعف مظاهر القوة التي يملكونها.

ولما عجزت القوات الأهلية في رد الزحف الفرنسي استجابت للمفاوضات التي مكنت هذه القوات من التقدم نحو " كوينين " [5] ومنها انتقلت إلى عاصمة سوف، مدينة الوادي، في حدود 14 ديسمبر 1854، ثم رجعت إلى تقرت يوم 22 ديسمبر 1854، لتقوم بتنظيم الإقليم وضبط شؤونه الإدارية بالاشتراك مع منطقة وادي سوف، فبادر العقيد ديفو بتعيين "علي باي " بن فرحات بن سعيد " قايد " على تقرت وسوف باسم فرنسا منذ 26 ديسمبر 1854. [6]

---

1 - André Voisin – op. cit. p 47.

2 - **السيوف:** هي الكثبان الرملية.

3 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق. ص24.

4 - Commandant Couvet. op. cit. p 50.

5 - **كوينين:** قرية تقع شمال الوادي، وتبعد عنه بحوالي 6 كلم انظر الخريطة-.

6 - André Voisin – op. cit. p 47.

وعند رجوع القوات الفرنسية لم تترك في سوف أي اثر لها من القوات العسكرية لتحافظ على احتلالها، وذلك جعل المنطقة محل صراع مرير ومقاومة متواصلة دامت قرابة 30 سنة، ولم تتمكن السلطات الفرنسية من الاستقرار النهائي بسوف إلا في منتصف الثمانينات عندما طوقت تلك المقاومات، وقضت على زعمائها.

المرحلة الثالثة (1854 – 1872): المقاومات الشعبية بسوف وردود الفعل الفرنسية:

عندما كان الاستعمار الفرنسي يزحف بقواته الجرارة نحو الجنوب لبسط سيطرته وإحكام قبضته، بعد عملية الاحتلال الأولية في الفترة الممتدة ما بين الثلاثينيات إلى السبعينيات من القرن التاسع عشر، كانت منطقة سوف تلعب دورا هاما ممثلا في احتضان المقاومات الشعبية وتدعيمها ماديا ومعنويا.

أ) مقاومة وادي سوف ورد الفعل الاستعماري:

بعد انتهاء معركة المقارين 1854، بهيمنة العقيد ديفو على تقرت وسوف، أقام حفلا في قصبة تقرت حضره كل أعيان البلد يوم 26 ديسمبر 1854 وقدم فيه برنوس تولية علي باي بن فرحات بن سعيد

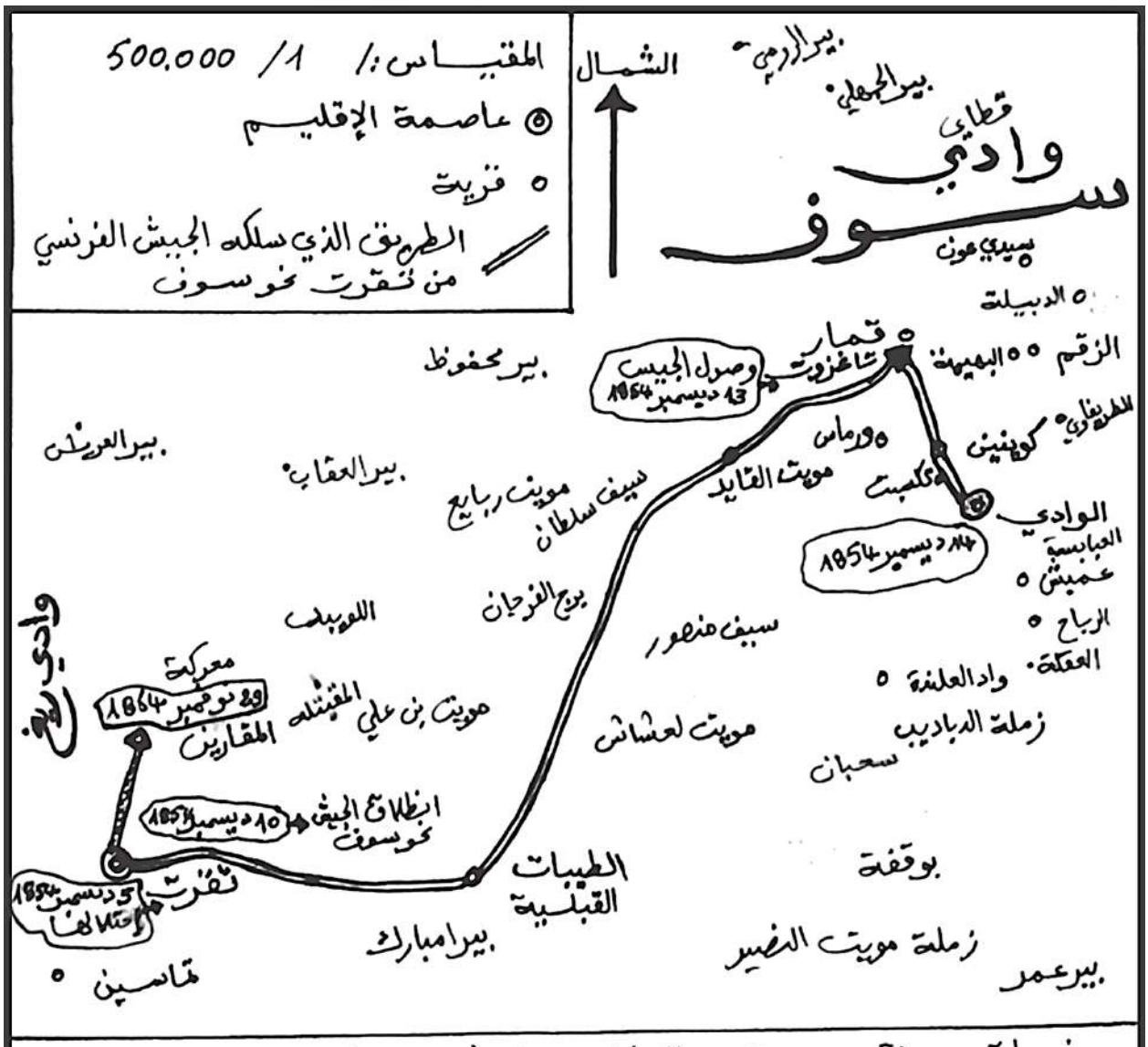

خريطة مواقع ومسالك تحركات الجيش الفرنسي بالجنوب ومعارك إحتلال تقرت ووادي سوف

المراجع المعتمدة في إنجاز الخريطة:

1)- Carte Geogaaphique de l'Armée en 1929
2)- Commandant Cauvet - Op cit - PP: 49,50
3)- Andre Voisin - Op cit - P: 47
4)- C. Nesson - les oasis de l'oued Righ - P: 01

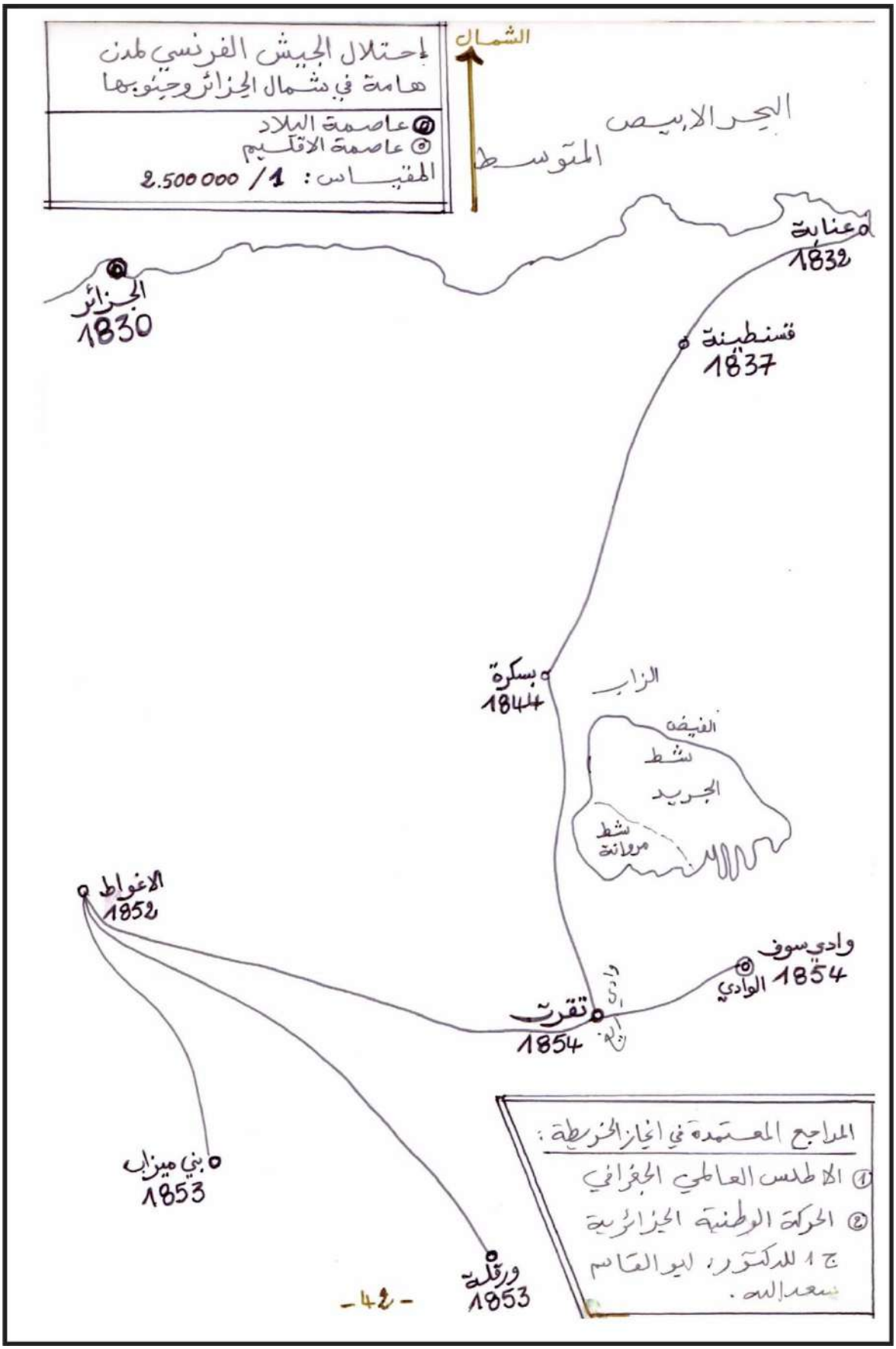
إحتلال الجيش الفرنسي لمدن هامة في شمال الجزائر وجنوبها
عاصمة البلاد
عاصمة الاقليم
المقياس : 1 / 2.500.000
الشمال
البحر الابيض المتوسط
عنابة 1832
الجزائر 1830
قسنطينة 1837
بسكرة 1844
الزاب
الفيضة
شط الجريد
شط مروانة
الاغواط 1852
وادي سوف 1854
الوادي
تقرت 1854
بني ميزاب 1853
ورقلة 1853
المراجع المعتمدة في انجاز الخريطة :
① الاطلس العالمي الجغرافي
② الحركة الوطنية الجزائرية ج 1 للدكتور ابو القاسم سعد الله .
- 42 -

حاكما على وادي ريغ وسوف.[1] ويومئذ التجأ الثوار إلى تونس وهم سلمان الجلابي والشريف محمد بن عبد الله وبن ناصر بن شهرة، بينما استفرغ العقيد "ديفو" جهده لإحكام السيطرة على وادي سوف خوفا من تحركات المقاومين المستقرين قريبا من الجهة، وذلك دفعه إلى القدوم إليها في خريف 1855 بطابور عسكري استقرت قواته يوم 6 ديسمبر بالدبيلة القريبة من حدود تونس، وبدأ في جمع المعلومات عن السكان والثوار، فتأكد أن الثوار استقروا في نفزاوة التونسية، وبعد استكماله جمع المعلومات العسكرية اتجه نحو تقرت في حدود 11 ديسمبر 1855.[2]

وقد وجه العقيد ديفو رسالة بتاريخ 12 ديسمبر 1855 إلى كافة سكان وادي سوف ووادي ريغ يحذرهم ممن يحاول أخذ أموالهم باسم حاكم بسكرة وينبههم إلى التأكد من ختم الحاكم، وأعقب ذلك برسالة أخرى يوم 25 ديسمبر 1855 على شكل أمر عين بموجبه علي بن عمر بن سعيد خليفة[3] على كافة وادي سوف تحت إشراف القائد علي باي، واستمر "ديفو" في مراقبته للمنطقة ومحاولة إضفاء نوع من الاستقرار عليها عن طريق المراسيم والأوامر، مثل التنديد الذي أرسله إلى السكان في 10 مارس 1858 حول مقتل الشيخ عون بن صنان، وفرض على عرش أولاد أحمد ضريبة قدرها 20 ألف فرنك وأمر بأخذ 20 رجلا رهينة ونصح السكان بالعمل تحت أوامر علي باي.[4]

وكانت المنطقة تعاني الاضطرابات وبدأت تحركات المقاومين،[5] وخاصة سي النعيمي،[6] ومحمد بوعلاق اليعقوبي،[7] وبن ناصر بن شهرة ومحمد بن عبد الله.

وقد تجددت المقاومة عندما قدم محمد بن عبد الله وبن ناصر بن شهرة من تونس وشاركا في ثورة أولاد سيدي الشيخ في 1864، ولكن بسبب الاختلاف في وجهات النظر اعتزلهم محمد بن عبد الله وانسحب إلى تونس لعدة سنوات.[8] بينما استمر بن شهرة في المقاومة،[9] بعدة جهات في وسط الصحراء وفي أطرافها

---

1 - Ibid – p 47.

2 - إبراهيم مياسي – " الاحتلال الفرنسي لوادي سوف " – في **جريدة الشعب**. الجزائر. الخميس 15 جانفي 1998. ص19.

3 - **الخليفة:** هو حاكم على إقليم يكون نائبا للقايد الذي يشرف على مقاطعة كبيرة وهو نظام يختلف عما كان سائدا في العهد العثماني وفي دولة الأمير عبد القادر.

4 - عميراوي احميدة – مرجع سابق – ص49.

5 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق – ص250.

6 - **سي النعيمي:** من اولاد سيدي الشيخ، اختلف مع اخيه سي حمزة الموالي للفرنسيين، فانظم سي النعيمي إلى الشريف محمد بن عبد اللّه وبن شهرة عام 1853، وشارك معهم في المقاومة.

7 - **محمد بوعلاق:** ثائر تونسي وهو رئيس اولاد يعقوب المتمردين على السلطة التونسية.

8 - يحي بوعزيز – ثورات – ص128.

9 - نفسه. ص179.

المتاخمة للحدود الجنوبية والشرقية. وكانت تربطه علاقة مع الطيب بن عمران الشعنبي، [1] الذي كان مشهورا بجرأته وقوته، وقد جمع 264 من المحاربين من طرود سوف وشعانبة الوادي وعسكر بهم في جنوب ورقلة في فيفري 1864 لغزو تلك الجهات ثم التجأ كغيره من المقاومين إلى تونس. [2]

أراد الجنرال "راندون" [3] في أواخر الخمسينات ضبط الحدود الشرقية للمنطقة، فتم إنجاز خريطة سنة 1857 ولكن الحدود النهائية للعرق الشرقي الكبير لم تحدد لها معالم ثابتة، وإنما خضعت للتغير باستمرار خصوصا ما بين 1867 – 1870، إذ بقيت الحدود غير واضحة ما بين سوف وجنوب شط الجريد.

ولكي يتحقق نوع من الهدوء في وادي سوف، شيد الفرنسيون عدة أبراج للمراقبة في الجهات الأربع لسوف لتأمين القوافل والمحافظة على الأمن، وهذه الابراج هي: برج الحاج قدور في الجهة الشرقية، وبرج بوشحمة في الشمال، بينما شيد في الجهة الغربية برجان، برج الفرجان، وبرج مولى القايد[4] لحماية الطريق الرئيسي بين تقرت وسوف.

ورغم كل الاجاراءات السابقة، فإن المقاومة اشتعلت مرة أخرى بوادي سوف وما جاورها، ممتدة من عين صالح إلى ورقلة وتقرت وسوف وتبسة ونقرين بالشرق، وبلاد الجريد ونفطة بتونس، وقاد هذه المقاومة بوشوشة ومحي الدين بن الأمير عبد القادر.

- مقاومة محمد التومي بوشوشة:

بدأ حركته الثورية سنة 1869 عندما اتصل به بن ناصر بن شهرة، وشرعا في تنسيق الجهود، واستطاعا ما بين سنتي 1870 – 1871 أن يهيمنا على عدة مناطق في الصحراء بعد هزيمة الحكام المحليين الموالين للاستعمار، وتم تنصيب آغوات (قياد) من الثوار أنفسهم. ففي مارس 1870 استولى بوشوشة على المنيعة وألقى القبض على القايد جعفر وسجنه، واستولى على عين صالح في ماي 1870، وتواصلت تحركاته في ضواحي متليلي الميزابية وورقلة، [5] وتقرت وسوف، وخاصة بعد انطلاق ثورة المقراني التي ارتبطت بمقاومة الجنوب ارتباطا وثيقا، وأهم العمليات التي أنجزها بوشوشة:

---

1 - **الطيب بن عمران:** ثائر كان يسكن وادي سوف، وهاجر إلى تونس عام 1868، وارتبط بالثوار في زاوية نفطة العزوزية.

2 - André Voisin – op. cit. p 48.

3 - **راندون:** هو الحاكم العام للجزائر 1851 – 1858- ويعرف عهده " بعهد استكمال الاحتلال ". انظر: أبو القاسم سعد الله – الحركة الوطنية – ج 1. ص371.

4 - André Voisin – op. cit. p 48- 49.

5 - يحي بوعزيز – ثورات – ص185.

1 - الاستـــيـــلاء على ورقلة في 5 مارس 1871 وعيـــن عليها بن ناصر بن شهرة آغا، [1] وكانت ورقلة قبل ذلك تابعة لآغوية علي باي الذي كان آنذاك في حاســـــي الناقة، [2] فاتصـل جماعة من شـعانبة الوادي ببشـوشـة يومئذ وذكروا له أفعال علي باي وظلمه وطلبوا منه أن يغتنم الفرصـة ليسـتولي على أموال علي باي وعياله وكل زمالته التي أودعها ببلدة "قمار" بوادي سوف. [3]

2 - هجوم بوشـــوشـــة على قمار يوم 8 مارس 1871، [4] بجيش قوامه 900 مقاتل، [5] إلا أن عائلة علي باي وجدت المساندة والحماية من زاوية قمار التجانـــيـــة، وبعد مفاوضات مع أعيان الوادي رجع بشوشة وسلمت زمالة علي باي، [6] ولكن آغويته لم تسلم من سطوة بوشوشة.

3 - فاستولى بوشوشة على تقرت في 13 ماي 1871، وتعينه بوشمال بن قوبى آغا، [7] ويعتبـر سقوطها نهاية حتمية لحكم "علي باي" ودخول منطقة سوف التابعة لتقرت تحت حكم بشوشة.

ولما علم علي باي بأحداث تقرت اتجه إلى بسكرة وحاول الاحتجاج لدى الحاكم الفرنسي ضد أولاد بن قانة الذين اتهمهم بكونهم المســاعدين والمحرضـيـــــن لبوشـــوشـــة على غزو ورقلة وتقرت، لكن الحاكم الفرنسي اتهمه بالإهمال والتقصيـــــر، وتوعده بتقديمه للعدالة، حينئذ اتجه علي باي في أوائل 1871 إلى تقرت وفرض عليها حصـاراً ثم هاجمها يوم 8 جويلية، ودخل في معارك مع بوشـوشـة انتهت بانسحاب علي باي منهزما إلى بسكرة يوم 13 جويلية، [8] حيث سلم في وادي ريغ وكل المنطقة الجنوبـيـة لوادي جدي، (أي وادي سوف)، ولكن بوشوشة قام بتأديب قبـيلة أولاد زكري التـي كانت أكبـر عون لعلي باي، فأرسل إليهم قائدا من جيشه وهو بن ناصر بن شهرة يقود جيشا من الشعانبة فاستولوا على قطعانهم في جنوب أولاد جلال . ولم يكد يوم 13 جويلية 1871 ينقضي حتـى صار بوشوشة المتحكم في الصحراء الجنوبـيـــة من نفطة إلى تقرت بمؤازرة القوى الشعبية المختلفة. [9]

---

1 - بقي بن شهرة آغا على ورقلة إلى شهر سبتمبـر 1871 حين عين بوشوشة خلفا له، صهره سي الزبـيـر ولد بو بكر من أولاد سيدي الشيخ. أنظر د. يحي بوعزيز – ثورات – ص180.

2 - يحي بوعزيز – ثورات – ص185.

3 - إبـراهيم العوامر – المرجع السابق – ص253.

4 - Luis Rinn – **Histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie** –Alger. 1891. p 486.

5 - André Voisin – op. cit. p 43.

6 - إبـراهيم العوامر – المرجع السابق – ص253.

7 - Luis Rinn. op. cit P 488.

8 - يحي بوعزيز – ثورات – ص187.

9 - Luis Rinn. op. cit P 612.

- مقاومة محي الدين بن الأمير عبد القادر:

ظهر في الجبهة الشرقية الأمير محي الدين[1] بن الأمير عبد القادر الذي قدم من بلاد الشام إلى تونس في شهر أكتوبر 1870، واستقبل بحفاوة من طرف السلطات التونسية، وكرم يوم 18 نوفمبر 1870، فاغتنم ذلك الوضع ووجه مئتي رسالة إلى زعماء الجزائر يدعوهم فيها إلى الاستعداد لمحاربة فرنسا معه عند قدومه إليهم من تونس، [2] ولكنه غادر تونس إلى مالطة ومنها إلى طرابلس التي انطلق منها عائدا إلى الجنوب الجزائري فاتصل بالمقاومين ومنهم بن ناصر بن شهرة وإبراهيم بن عبد الله واتجهوا جميعا إلى وادي سوف. [3] وشرع محي الدين في تنظيم كفاحه إذ التف حوله عدد من اللاجئين الجزائريين والمنفيين الذين كانت زاوية نفطة الرحمانية مركزا لهم، ومنهم سلطان تقرت السابق سلمان بن جلاب، وإبراهيم بن عبد الله مقدم القادرية بورقلة، ومحمد العشابي البسكري الذي التجأ إلى نفزاوة منذ مدة طويلة، ومحمد بن أحمد الصغير بن الخليفة السابق للأمير عبد القادر بالزيبان، ومحمد بوعلاق رئيس أولاد يعقوب الثائرين التونسيين، والشيخ الميزوني مقدم زاوية الكاف الذي وضع تحت تصرف محي الدين كاتبا يساعده في تحرير الرسائل والنداءات، [4] وأولاد البطل الشعانبي السوفي بوطيب بن عمران. [5]

وقد كتب محي الدين عددا كبيرا من الرسائل خلال شهر ديسمبر 1870 إلى زعماء جزائريين يدعوهم إلى الجهاد وتدبير المؤن والذخائر وتجنيد الناس للكفاح، وبعض هذه الرسائل كان بإمضائه والبعض الآخر بإمضاء بن ناصر بن شهرة أو آخرين. [6]

ولقد شعرت حكومة محمد الصادق باي بخطر حركة محي الدين على البلاد التونسية، وتأثير ذلك على العلاقات التونسية الفرنسية، فطلبت من كل ولاتها توقيف محي الدين وجماعته وسجنهم وإرسالهم إلى تونس، غير أن محي الدين أدرك ذلك فالتجأ إلى جنوب الجزائر، [7] ودخل في صراع مع أعوان فرنسا وخاصة حاكم تقرت وسوف علي باي في بداية عام 1871. [8]

---

1 - **الأمير محي الدين:** ولد سنة 1837 وعاشمع والده في الجزائر والشام، وفي عام 1870 قدم إلى تونس ومنها إلى الجزائر لمقاومة الاستعمار الفرنسي وتجديد الجهاد الذي بدأه والده.

2 - يحي بوعزيز – كفاح الجزائر – ص250.

3 - عبد الجليل التميمي – **بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، الجزائر وتونس وليبيا 1816 – 1871** – ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني. تونس. ط 2. الجزائر. 1985. ص253.

4 - يحي بوعزيز. المرجع السابق. ص252.

5 - يحي بوعزيز – **ثورة ابن ناصر بن شهرة 1850 – 1875** – في - من أبطال المقاومة الشعبية بالجنوب - مدونة الملتقى الوطني الثالث للمقاومة الشعبية للاحتلال الفرنسي بالجنوب. الاغواط 23 إلى 25 ماي 1998. وزارة المجاهدين. ولاية الاغواط. ص33.

6 - يحي بوعزيز – كفاح الجزائر – المرجع السابق. ص253.

7 - عبد الجليل التميمي – المرجع السابق – ص ص30 – 31.

8 - نفسه – ص31.

ولما انطلقت ثورة المقراني حاول محي الدين التعاون والتنسيق مع الثورة، فلم يتمكن من ذلك بسبب صعوبة التوغل نحو الداخل فاتجه إلى الجهة الشرقية فنـــزل بنقرين في 9 مارس 1871، لكنه لم يتمكن من الاستيلاء على تبسة، وحينئذ انتهت الحرب بين المانيا وفرنسا فرجعت القوات الفرنسية إلى الجزائر لقمع المقاومات الشعبيـة التي عمت البلاد فأدرك محي الدين أن المقاومة صارت غيـر مجدية،[1] فغادر البلاد إلى سورية في شهر جويلية 1871.[2]

- المواجهة الفرنسية للمقاومة بالجنوب الشرقي:

عندما بدأت المقاومة الشعبـيـــة تجتاح الجنوب الشرقي في بداية 1871 عهد الفرنسيون إلى حكامهم المحلييـن أمر مواجهتها في 12 أفريل 1871، إذ أوكلت ذلك إلى علي باي ومحمد الصغيـر بن قانة[3]. لكنهم أبدوا عجزهم، فتأكد الاستعمار أن هؤلاء الأعوان لا يحققون للجيش الاستعماري التوسع ولا الاستقرار، فتم إعداد جيش فرنسي لهذه المهمة بقيادة الجنـــرال – لاكروا فوبوا – " **LACROIS VAUBOIS** " الذي أعد خطة لمواجهة المقاومة الضارية، [4] وبدأت عملية الاجتياح الاستعمارية من ورقلة التي انتزعها من أنصار بوشـوشـة يوم 2 جانفي 1872، ثم زحف على تقرت وسـيطر عليها، ثم لاحق قوات الثوار والتحم جيشـه معها يوم 9 جانفي 1872 واسـتولى على معظم زمالة بوشـوشـة بما فيها من حيوانات وأمتعة.[5] ثم اتجه نحو وادي سوف وأخضعها للسلطة الفرنسية.[6] وعيّـن عليها حاكما من جنود الصبايحية يدعى العربي المملوك.[7]

ب) وادي سوف الملجأ الآمن للمقاومين:

لقد ساعد الموقع الجغرافي لوادي سوف والامتداد الرملي الشاسع والمناخ القاسي الذي تميـــزت به، على عزل هذه المنطقة مؤقتا، وجعلها الملاذ الآمن الذي يأوي إليه المقاومون الشـعبـــيـــــون بعد انتهاء معاركهم، فيستقرون من أجل استرجاع الأنفاس وتجديد روح المقاومة والإعداد للمعركة الجديدة.

---

1 - يحي بوعزيز – كفاح الجزائر – ص275.

2 - أبو القاسم سعد اللّه – **تاريخ الجزائر الثقافي** – دار الغرب الإسلامي. ط1. بـيروت 1998. ج 5. ص560.

3 - عبد الحميد القادري – المرجع السابق – ص20.

4 - C. Couvet. op. cit. P 50.

5 - يحي بوعزيز – ثورات الجزائر – ص180.

6 - إبـراهيم العوامر – المرجع السابق. ص257.

7 - C. Couvet. op. cit. P 50.

وأخذت المنطقة هذه الصفة منذ القدم، وقد أشار إلى ذلك العدوانى في تاريخه بالقرن السابع عشر، في قصـــة العش عندما عزم على الهروب من تونس إلى ســـوف قال لأبنائه: " عليكم بســـوف فهـــي أم الهارب".[1]

وقد التجأ إليها في القرن التاسع عشر الحاج أحمد باي قسنطينة خلال شهر ديسمبـــر 1837 أثناء صراعه مع فرحات بن سعيد، [2] وانسحب هذا الأخير مرة أخرى إلى سوف بعد هزيمته في معركة ضارية مع الحاج أحمد باي عام 1838. [3]

أما خليفة الأميـر عبد القادر محمد الصغيـر بن عبد الرحمان الذي أبدى مقاومة باسلة في مواجهة الفرنسيين فإنه اضطر إلى الانسحاب نحو سوف بعد احتلال الفرنسيين لبسكرة سنة 1844، [4] وبعد الاحتلال الفرنسي للأغواط وورقلة سنة 1853 التجأ ابن ناصر بن شهرة إلى الجريد التونسي عبـــر سوف. [5]

وبعد احتلال تقرت سنة 1854 لاذ حاكمها الشيخ سلمان بالفرار إلى تماسيـــن فاختفى بها أياما ثم انتقل إلى سوف، فنـــزل بالوادي ومكث مدة ثم التجأ إلى تونس، [6] وكذلك فعل الشريف محمد بن عبد الله الذي التجأ إلى الوادي، [7] ومنها واصل رحلته إلى الجريد التونسي وبقي بها إلى سنة 1858. [8]

وبعد انكسار مقاومة المقرانـي انسحب أخوه بومزراق نحو الجنوب يـريد التوجه نحو تونس، عبـر تقرت وسوف ونفطة وتوزر، لكن خبـراً وصلهم من تقرت أثار مخاوفهم وحذرهم من الذهاب إلى سوف، حتـــى لا يتعرضوا لمحاربة علي باي لهم، فاتجهوا إلى ورقلة وحلوا بها يوم 20 أكتوبـــر 1871 واستقبلهم بحفاوة بوشوشة وابن شهرة والزبير ولد سيدي الشيخ، واتفق رأيهم على الهجرة إلى تونس حسب اقتراح بومزراق. وقد شارك المقرانـيون هناك في بعض المناوشات، [9] وأخيـراً قادهم بومزراق نحو تونس، [10]

---

1 - محمد العدوانـى – المصدر السابق ص117.

2 - يحي بوعزيز – معارك الحاج أحمد باي – ص ص127 – 129

3 - يحي بوعزيز – ثورات الجزائر – ص46.

4 - إبـراهيم العوامر – المرجع السابق. ص247.

5 - يحي بوعزيز – ثورات الجزائر- ص178.

6 - إبـراهيم العوامر – المرجع السابق – ص248.

7 - André Voisin – op. cit. p 47.

8 - يحي بوعزيز – ثورات الجزائر – ص178.

9 - يحي بوعزيز– **ثورة 1871 – دور عائلتي المقرانـى والحداد** –الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر. ص ص303 –304.

10 - الطاهر اوصديق – **ثورة 1871** – ترجمة جباح مسعود. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. 1989. ص146.

أبو القاسم سعد اللّه – أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر – ج 3. ص103.

بمعية ابن ناصر بن شهرة في شهر جانفي 1872، [1] وكان عددهم حوالي 150 شخصا، واتخذوا طريقهم عبـــر تقرت ووادي سوف ودخلوا إلى الجريد التونسي واستقروا هناك، بـــيـــنما رجع بومزراق إلى ورقلة لمواصلة المقاومة فالقي عليه القبض في 20 جوان1872. [2]

كما لجأ إليها الثائر الليبـــــي غومة المحمودي [3] الذي كان في صـــراع مع حكام طرابلس وتونس، وقد أفضى صراعه مع الوالي علي باشا عام 1841 إلى الانهزام والتـــراجع نحو الجنوب، [4] فاحتضنته وادي سوف ما بين عامي 1841 – 1842 إذ وجد المؤازرة من سكانها وخاصة قبيلة طرود ومكث بينهم معززا مكرما إلى عام 1842، لكن حدوث وباء بالمنطقة اضطر غومة إلى مغادرة سوف نحو بلاده، بعدما طلب الأمان من حاكمها لكنه اعتقله وأرسله إلى اسطنبول سجينا، [5] وقضى بها مدة طويلة، وفي عام 1855 لاذ بالفرار من سجنه ورجع إلى بلاده واستقر به المقام أولا في تونس حيث استجمع قواته، وقاد معركة ضد والي طرابلس في سنة 1856 لكنه هزم والتجأ إلى تونس بعد حصوله على عهد الأمان من حاكمها، ولكن حاشية الباي التونسي أثارت مخاوفه وشكوكه حول هذا الثائر العنيد والقائد الخطير الذي يهدد الحكم التونسي، فدخل الباي مع غومة في صراع في جنوب تونس أفضى إلى الصدام العسكري[6] وانتهى إلى اعتقال غومة والحكم عليه بالإعدام، إذ تذكر القصص الشعبية المتداولة في سوف أن الباي طلب منه أن يتمنى كل ما يريده قبل أن ينفذ فيه حكم الإعدام فكانت أمنية غومة هي الاعتراف بالجميل لأهل سوف، وتمنى أن يموت بأرضهم، وبعد أن يستعين على قتال الباي، الذي أوصله إلى هذه الغاية السيئة، ويكون موته كريما في المعركة وذلك أفضل عنده من موتة الغدر الذي ينتظرها بعد لحظات، وجسد موقفه هذا في أبيات من الشعر الملحون قال فيها غومة:

أتمنيت مماتي في الـــــــواد وفي صحـــن بحـــذا مـــراد

وتخرج يا باي تتفرج على ضرب الزناد

أتمنيت مماتي جات بين النزالي وتخرج تونس بعساكرها تشالي

---

1 - يحي بوعزيز – ثورة 1871 – المرجع السابق. ص308.

2 - الزبير سيف الإسلام – **ثورة المقراني** – المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. 1985. ص55.

3 - **غومة المحمودي:** ولد عام 1795 م وينتمي إلى قبيلة المحاميد، وموطنهم الزاوية وصرمان بليبيا، وكان والده خليفة بن عون شيخ المحاميد، وبعد وفاة والده بمدة آلت المشيخة إلى غومة عام 1831. وقد حارب حكام الأسرة القرمانلية ببلاده، كما حارب بايات تونس من الأسرة الحسينية، ودامت مقاومته لهم قرابة ثلاث وعشرين سنة بداية من عام 1835، وبقي مقاوما لهم وهو شيخ صاحب الثالثة والستـــيـــن حين أدركته قوات مصطفى باشا وحاصرته بـــيـــن افراد أسرته في واحة وان، فتصدى لهم وقامت معركة صغيـــرة مات خلالها في يونـــيـــو 1858. راجع التفاصيل في كتاب غومة المحمودي فارس الصحراء.

4 - مجموعة من المؤلفين – **غومة المحمودي فارس الصحراء** –دار العودة. بيروت. 1975. ص ص65 – 66.

5 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق. ص240.

6 - مجموعة من المؤلفين – غومة المحمودي – ص103.

حتى يولي الدم على البدالي

أتمنيت مماتي جات في سوف وتخرج يا باي يا سفسوف

واندوقك كاس الحتوف[1]

عندئذ تأثر الباي بهذا الموقف النبيل، والقول الشجاع الصادر من بطل لا يخشى لومة لائم، فعفا عنه وأطلق سراحه، [2] فالتجأ إلى وادي سوف في خريف عام 1856، [3] وكانت سوف حبيبة إلى قلبه، ومن فرط حبه لها سمى ابنه المولود عام 1857[4] بأرضها بجهة (عميش)، باسم " محمد السوفي " [5] أو"محمد سوف [6] ".[7]

وقد أزعج استقرار الشيخ غومة بأرض سوف السلطات الفرنسية، لأنه يحيي في نفوس السكان روح المقاومة، وحينذاك كانت السلطات الفرنسية تسعى لتوطيد أقدامها في المنطقة ففاوضت غومة[8] سنة 1857 بوادي سوف، وعرضت عليه تسليم سلاحه، ولكن نفسه العزيزة أبت ذلك وفضل العودة إلى بلاده[9] ليواصل مسيرته في المقاومة التي نذر نفسه لها منذ أمد طويل.

ج) دعم وادي سوف للمقاومين:

ساهمت " وادي سوف " مساهمة فعالة في دعم المقاومين بشتى أنواع الدعم المادية والبشرية، ساعدها في ذلك مجاورتها لأسواق السلاح المجاورة لها في تونس وطرابلس.[10] وقد نشط المقاومون في عملية جلب الأسلحة والذخائر من هذه الأسواق ومنهم بوشوشة ومحمد بن عبد الله وابن ناصر بن شهرة ومحي الدين بن الأمير عبد القادر، وكانت يومئذ منطقة سوف وبلاد الجريد من أهم معابر قوافل السلاح إلى المقاومين، مثلما فعل بوشوشة عام 1871.

---

1 - J. Scelles Millie – op. cit. p p 55 – 56.

2 - Ibid. p 56.

3 - إبراهيم مياسي " الاحتلال الفرنسي لوادي سوف " ص19.

4 - أبو القاسم سعد اللّه – تاريخ الجزائر الثقافي – ج 5. ص579.

5 - ابراهيم العوامر – المرجع السابق. ص242.

6 - **محمد سوف المحمودي:** حارب الايطاليين منذ احتلالهم ليبيا سنة 1911، واصبح من قادة الحركة الوطنية الليبية، وعين رئيسا لمجلس شورى الجمهورية الطرابلسية سنة 1918، واشترك في المقاومة مع سليمان الباروني، وظل " محمد سوف"محاربا للإيطاليين حتى هاجر إلى مصر وتوفي بها 1930. انظر. سعد اللّه. تاريخ الجزائر الثقافي. ج 5. المرجع السابق. ص579.

7 - مجموعة من المؤلفين – **سليمان الباروني المعلم المقاتل** – دار العودة. بيروت. ص68.

8 - André Voisin – op. cit. p 48.

9 - إبراهيم مياسي – المرجع السابق. ص19.

10 - يحي بوعزيز " **تهريب الأسلحة عبر الحدود للمقاومة الجزائرية لمحاربة جيش الاحتلال**" محاضرة مخطوطة. قدمت في الملتقى الوطني الأول حول قوافل التسليح لثورة أول نوفمبر. 1954 بالوادي من 19 – 20 مارس 1999. ص02.

وقد أزعـــج هذا الفعل السـلطات الفرنسـية التـــي عرفت بهذا الأمر عن طريق الجالية اليهودية في تونس، والتي تم إقناعها فامتنعت عن بيع الأسلحة للثوار.[1]

وأثناء حركة المقاومة التي قادها محي الدين بن الأمير عبد القادر بالمنطقة الجنوبية في الخط الممتد من طرابلس مرورا بسوف إلى نفطة التونسية، أشارت تقاريـــر الأيالة التونسية عن تنقل قوافل السلاح في هذه المنطقة. ففي إحدى الرسائل الموجهة بتاريخ 14 جانفي 1871 من محمد قعيد إلى الوزيـــر خيـــر الدين التونسي حول حروب محي الدين بتبسة، يذكر له فيها ما يلي: "وكما نعلم جنابكم السامي أن لزام محصولات نفطة عثر على قفل (كذا) من أهل سوف متوجهيـــن نواحي الغرب حامليـــن من البارود وزنه بضرفه (كذا) ثلاثة وستون رطلا، وقد وضعنا البارود المذكور تحت يد محبنا البينباش بتوزر..." [2]

وقد عثـــر الفرنسيون على بطاقات صادرة من زاوية نفطة للمقدم إبـــراهيم بن عبد الله يحث فيها الناس على جمع الأسلحة ومحاربة الفرنسيين. ووصلت هذه البطاقات والرسائل إلى مدينة تقرت ووادي سوف. وكانت قبيلة الشعانبة بسوف ذات نشاط واسع في عملية شراء الأسلحة وتوفير الذخائر وجلبها من الجريد التونسي عبـر سوف لتكون وقوداً للمعارك.[3] وإلى جانب السلاح كانـت المقاومة في حاجة إلى التموين المالي والمادي بفرض الضـــرائب والإتاوات أو الإغارة على الإبل والأغنام وأخذها عنوة من طرف المقاوميـن وخاصة من الحكام المحلييـن وأعوان الإدارة الفرنسية. ففي عام 1850 قدم الشريف محمد بن عبد الله من الحج إلى طرابلس ومنها اتجه عبـــر غدامس إلى ســوف، [4] واســتقر في ورقلة وقاد منها حركة المقاومة التـــي احتاجت إلى الأموال، فرجع إلى ســوف قبل معركة المقارين لجمع الإعانات من السكان.[5]

أما أخذ الأموال عنوة فله صور عديدة منها ما حدث " ...سـنة 1865 عندما أغار أولاد يعقوب بمعية الثائر بن ناصر بن شهرة على أناس طرود في بـــيـــر الدحداح وأخذوا لهم عدد 80 ابل(كذا)، ولحقوا في اثرهم اناس طرود ولم رجعوا (كذا) شيئ من الابل ومات من طرود رجلين".[6]

---

1 - Luis Rinn –op. cit. P 612.

2 - يحي بوعزيز – كفاح الجزائر من خلال الوثائق – ص270.

3 - يحي بوعزيز – تهريب الأسلحة عبر الحدود – ص04.

4 - يحي بوعزيز – ثورات الجزائر – ص124.

5 - أبو القاسم سعد اللّه – الحركة الوطنية الجزائرية - ج 1. ص361.

6 - " **بـيـان بعض الغارات الواقعة من اناس الشرق على اناس طرود**. " وثيقة أهلية توجد في مديـرية المجاهدين. الوادي.

ولما كان بوشـــوشـــة يلاحق زمالة " علي باي " قدم إلى ســـوف في 8 مارس 1871 واتجه إلى قمار وقد فاوضه أهلها على الرجوع مقابل مبلغ من المال قدمه له شيخ الزاوية التجانـية محمد الصغيـر من أجل حقن الدماء وحفظ الأموال.[1]

ولم يتخلف وادي سوف أيضا عن دعم المقاومين بالرجال سواء في جيش غومة المحمودي الذي شكل السـوافة جزءاً هاما من جيشـه، واسـتمرت مناصـرتهم له في قتاله إلى معركته النهائية، أو ضـمن جيش بوشـوشـة الذي انضـم إليه العديد من أهل سـوف سـنة 1871 عندما غادر مدينة قمار أثناء صـراعه مع أتباع علي باي.[2]

واستمر جيش بوشوشة يقاتل أعوان علي باي في الزاب تحت قيادة بن ناصر بن شهرة بمؤازرة قبائل طرود والشعانبة من سكان وادي سوف.[3]

وإذا كانت وادي سوف محطة للتزود، ومعبرا للسلاح ورجال المقاومة الشعبية، فإن زاوية "مصطفى بن عزوز"[4] بنفطة كانت على صـــلة وثيقة بأهل ســـوف ورجال المقاومة الذين يمرون بالمنطقة ويستقرون بهذه الزاوية التـي صارت مركزا للراحة، وقاعدة عسكرية ينطلق منها الثوار نحو الجنوب،[5] لمقاومة أعوان الاســـتعمار في وادي ريغ والزاب وورقلة والاغواط،، أو نحو تبســـة ونقرين من الجهة الشرقية.

وقد دفع هذا العمل السـلطات الاسـتعمارية الفرنسـية إلى تكثيف متابعاتها للثوار في هذه المنطقة، وكان لها سعي حثيث وعمل جاد، من أجل إحكام السيطرة على وادي سوف تمهيدا لاحتلال تونس.

المرحلة الرابعة(1872 – 1887): الاستقرار النهائي للفرنسيين بوادي سوف:

انتهت فتـرة السبعينات من القرن التاسع عشر بتصفية فلول المقاومة الشعبـية المسلحة بالجنوب، والاسـتمرار في تهيئة الظروف للاسـتقرار في الجنوب الجزائري قريبا من الحدود التونسـية التـــي كانت فرنسا بصدد التخطيط لاحتلالها، وتعتبر منطقة سوف المتاخمة لتونس والمحاذية للجريد التونسي من أهم المواقع التي يمكن استغلالها لتأمين ظهر الفرنسيين في شمال تونس.

---

1 - إبـراهيم العوامر – المرجع السابق – ص254.

2 - المرجع السابق – ص ص242 – 254.

3 - يحي بوعزيز " ثورة بن ناصر بن شهرة 1850 – 1875 " ص35.

4 - **مصطفى بن عزوز:** ولد بالبـــرج قرب طولقة بالزاب، وهو ابن مؤسس الطريقة العزوزية محمد بن عزوز - وهي فرع من الرحمانية. وقد هاجر إلى تونس أثناء احتلال فرنسا لبسكرة، واستقر في نفطة حيث أسس بها زاويته المذكورة، وكانت له مكانة دينية وسياسية لدى السلطات التونسية. وقد فتح زاويته للمقاومين الجزائريين، وتوفي سنة 1866. انظر: محمد محفوظ – **تـــراجم المؤلفين التونسيين**– دار الغرب الإسلامي. ط1. بـــيروت. 1984. ج 3. ص ص379 – 381. أبو القاسم سعد اللّه – **تاريخ الجزائر الثقافي** – ج 4. ص ص146 – 153.

5 - عبد الرحمان الجيلالي **" ابن ناصر بن شهرة 1804 – 1884- "** في ـ من أبطال المقاومات الشعبـية بالجنوب - المرجع السابق. ص21.

وتمكنت فرنسا من اختلاق ذريعة للتدخل في شؤون تونس، باستغلال الصراع الذي حدث بين قبائل الخمير في الشمال الغربي لتونس مع بعض الجزائريين فتدخلت فرنسا لردع المعتدين، بجيش قوامه ثلاثين ألف جندي، [1] عَبرَ الحدود يوم 24 أفريل 1881 واحتل مدينة الكاف، [2] ثم تقدم داخل التراب التونسي نحو الوسط والجنوب، وأنزل ثمانية ألاف جندي في بنزرت، واتجهوا كذلك نحو العاصمة، وتم فرض الحماية على تونس يوم 12 ماي 1881. [3]

وإثناء الإعداد للحملة العسكرية لغزو تونس، كلف طابور عسكري لمراقبة تحركات القبائل البدوية في الصحراء التي تشكل خطرا في الحدود، وقد تعترض العمليات المزمع تنفيذها في ناحية قفصة وقابس، ومهمة هذا الطابور مراقبة كل المنطقة الممتدة ما بين تقرت والجنوب التونسي، [4] وكان الطابور بقيادة العقيد لنوبل " **Lenoble** " الذي استقر بالوادي لمدة قصيرة ثم اتجه إلى داخل تونس نحو نفطة وتوزر وقفصة بالجريد التونسي. ولما أتم المراقبة رجع إلى الجزائر عبر طريق قفصة نقرين وخنشلة. [5]

وفي شهر جوان 1881 اندلعت الثورة الشعبية في شرق البلاد التونسية وجنوبها بقيادة علي بن خليفة، [6] وامتدت من القيروان إلى صفاقس، وتمكن الثوار بسهولة من السيطرة على كل الإقليم الجنوبي بما يشتمل عليه من سواحل تمتد حتى حدود طرابلس. فرد الفرنسيون بقوة، عن طريق الأسطول الفرنسي الذي ضرب صفاقس وقابس بقوة، كما تم إعداد ثلاث طوابير فرنسية اتخذت من سوسة قاعدة لها ثم أخذت في الزحف نحو الجنوب وتمكنت من إخماد المقاومة وأخضعت الإقليم لحكمها العسكري. [7]

وقد شارك الضابط ديبورتر " **Deporter** " [8] في احتلال تونس سنة 1881، [9] ثم انتدب لسوف فقام بوضع أسس أول مكتب عربي بالمنطقة، وتم اختيار منطقة الدبيلة، [10] القريبة من الحدود التونسية، فكانت المركز الاول للاستقرار الفرنسي بوادي سوف. ومن أجل حماية المنطقة ومراقبتها، أخذ عدد

---

1 - حسن حسني عبد الوهاب – **خلاصة تاريخ تونس** – الدار التونسية للنشر. . ط 4. تونس. 1968. ص213.

2 - جلال يحي – **المغرب الكبير** – دار النهضة العربية. بيروت. 1981. ج 3. ص320.

3 - حسن حسني عبد الوهاب - المرجع السابق. ص ص213 – 214.

4 - D. Escard. op. Cit. p 33.

5 - André Voisin. op. cit. p 49.

6 - جلال يحي – المرجع السابق. ص321.

7 - جلال يحي – المرجع السابق. ص331.

8 - كان هذا الضابط ينتمي للمكتب العربى ببسكرة، وتقدم نحو تونس بقدر الحاجة، وكان على اتصال بمصلحة الاستخبارات بالجريد.

9 - أبو القاسم سعد اللّه – تاريخ الجزائر الثقافي – ج 4. المرجع السابق. ص50.

10 - **الدبيلة:** بلدة تقع في الناحية الشمالية الشرقية لوادي سوف، وتبعد عن الحدود التونسية بحوالي 62 كلم، وعن سوف بحوالي 20 كلم.

القوات الفرنسية في التـــزايد، فقدم طابور عسكري آخر سنة 1882 بقيادة الضابط " **Fontebride**" واستقر أيضا بالدبيلة، وتشكل مركز بهذه المنطقة وكانت له اتصالات وروابط وثيقة مع مركز نقرين.[1]

وتم تأسيس برج صغير للحراسة بقي ثابتا بالدبيلة، واستمر إلى سنة 1887 رغم تناقص عدد أفراده يومئذ.[2] والجديـــر بالذكر أن الإدارة الفرنسية بدأت عملية استقرارها بقوة في مدينة الوادي عاصمة الإقليم خلال سنة 1882.[3]

ويعتبر النقيب " **Forges** " (1886 – 1887) ثاني حاكم عسكري لملحقة الوادي والذي خلف الضابط "**Janin** "، وقام باستقدام المجموعات العسكرية الصغيرة من حامية الدبيلة، وجعلها تستقر بالمحلات التي أعدت لها بالوادي قرب البناء الخاص بمكتب الشؤون الأهلية، ومثلت تلك المحلات أول ثكنة عسكرية بوسط مدينة الوادي.[4]

3.الوضع الإداري لمنطقة وادي سوف خلال القرن التاسع عشر:

كانت منطقة وادي سوف في أواخر العهد العثمانـــي كغيـــرها من المناطق الصحراوية النائية تابعة لبايلك الشـرق الجزائري، لكنها في حقيقة الأمر مستقلة وغيـــر خاضعة لسلطان مباشـر مثلما ذكر الاغواطي في رحلته: " ولا يخضع سكان وادي سوف إلى حاكم ...وأهل سوف يتمتعـون باستقـلال كامل، ولم يطيعوا أبدا أي سـلطان..."[5]، إلا في فتـــرات قصيـــرة عندما تجتاح المنطقة قوات قبائل المخزن لاستخلاص الضرائب، أو الهجومات التـي يقوم بها سلطان تقرت الجلابـي لجباية الضرائب من طرفه. ورغم ذلك فان شؤون سوف كانت منظمة من طرف " الجماعة " التي يتم اختيـار أفرادها من الشيوخ الأكثر حضوة ومكانة لدى قبائلهم،[6]

وكل قرية كانت تدار من طرف كبـيـــر من الوجهاء،[7] وعند بـــروز قضايا هامة يجتمعون في مدينة الوادي عاصـمة الإقليم.[8] يضـمهم " مجلس الوجهاء " الذي يفصـل في مختلف القضـايا السـياسـية كإعلان الحرب، أو القضائية كالخصومات بـيـن القبائل.[9] واستمر هذا النظام إلى زمن الغزو الفرنسي

---

1 - **نقرين:** تقع في شمال شرق سوف وتبعد عن المنطقة بنحو 163 كلم.

2 - C. Cauvet. op. cit. p 51.

3 - Gaid Zobeidi Si Hocine – **Histoire succinct de l'Administration du Souf dans les deux dernières siècles avant l'Arrivée des français-**1952. Direction de Moudjahidine – EL-OUED.

4 - C. Cauvet. op. cit. p 51.

5 - أبو القاسم سعد اللّه – ابحاث وآراء في تاريخ الجزائر – ج 2. ص260.

6 - Gaid Zobeidi Si Hocine. Op. cit.

7 - le Colonel Noellat – **l'Algérie en 1882** – librairie Militaire. Paris. 1882. P 70.

8 - André Voisin. op. cit. p 44.

9 - le Colonel Noellat. Op. Cit. p 70.

للمنطقة، فظهر نظام " القياد " و "الخلفاء " وهو يشبه ما كان معمولا به في العهد العثمانـي[1] في بعض الجوانب ويختلف عليه كثيرا في بعض الجوانب الأخرى.

ويمكن تقسيم النظام الإداري أثناء الاحتلال الفرنسي إلى ما يلي:

أ) نظام القياد (1854 – 1875):

إثر غزو الفرنسيـــن لوادي سـوف وضعوها في بادئ الأمر تحت نظام القياد وهو نظام يعتبـــر فيه القايد حاكما عاما لتقرت ووادي ســوف معا ويكون مقره غالبا في تقرت، وله نواب (خلفاء) يســتقرون بوادي سوف ومنهم:

ـ القـايد علي بـاي بن فرحات بن سعيد (1854 – 1871): وينتمي إلى صف بوعكاز، تولى قايدا على تقرت وسوف منذ ديسمبر 1854، وكان مقر حكمه متنقلا بين تقرت وسوف، وله خلفاء في وادي سوف يعينون بموافقة السلطات الفرنسية.[2] وأهمهم خلال فتـرة حكمه سي الصغيـر بن ابـراهيم وبعده ابن عمه علي بن عمر وبعدهما محمد خوجه، وأحمد خوجه، [3] واتسـم عهد علي باي بالظلم. [4] واسـتمر إلى سنة 1871.[5] ويومذاك انقسمت سوف إلى ثلاث مشيخات تحت سلطة قايد واحد وهي:

1. مشيخة العزازلة والشبابطة والقرافين كلف بها الشيخ أحمد بن تواتي.
2. مشيخة الاعشاش وأولاد احمد والربايع والفرجان وكلف بها الشيخ حم موسى.
3. مشيخة أولاد اسعود وكلف بها الشيخ علي بن احمد.[6]

- القايد العربـــي المملوك (1872 – 1873): وهو ايطالي الأصـل اعتنق الإسـلام وتسـمى بالعربـــي المملوك، وكان ضـابطا في الجيش الفرنسي بفرقة الصـبايحية ويحسـن اللغة العربـيـــة فعين قايد على سوف سنة 1872.[7] واستقر بالمنطقة واشتهر عهده بالظلم والعدوان حتى حقد عليه السكان، وعندما كان مســافرا إلى بســكرة حاملا مال الإتاوات ليبلغه إلى قيادته تـــرصّــد له أحد أعدائه ويدعى حميد

---

1 - شـارل اندري جوليان – **تاريخ إفريقيا الـشمالية** – تعريب محمد مزالي. الشـركة الوطنية للنشـر والتوزيع. الجزائر. الدار التونسـية للنشـر. تونس. 1978. ص338.

2 - إبـراهيم العوامر – المرجع السابق. ص248.

3 - **تقاييد الشيخ سالمي مصطفى** مخطوط - محفوظ بمكتبته المنزلية بالوادي.

4 - إبـراهيم العوامر – المرجع السابق. ص249.

5 - تم تعيين " علي باي " بعد ذلك على رأس قيادة جديدة في باتنة يوم 2 فيفري 1872.

6 - André Voisin. Op. cit. P 05.

7 - أبو القاسم سعد اللّه – المتـرجمون الجزائريون – ص62.

الجامعي وقتله، [1] في بـيـــت ملو[2] سنة 1873، [3] فتولى خليفة من بعده محمد بن موسى في 24 فيفري 1874 لمدة تسعة أشهر. [4]

- **القايد محمد بن ادريس (1874 – 1876):** وكان آغا على ورقلة منذ 1872 ولما نجح في القبض على بوشوشة كافأته فرنسا بتوليته أمر تقرت وسوف [5] سنة 1874 بـرتبة قايد وخليفته هو محمد بن تواتي ودامت مدة ولايته سنتين وأربعة أشهر. [6]

ونتـيـجة لكثـرة الاحتجاجات ضده عزل وأبطل نظام القياد، وتحول الخلفاء إلى الاستقلال واستمر ذلك إلى ســنة 1884 وهو تاريخ تحول الخلفاء إلى قياد. [7] والخلفاء الذين تولوا قبل 1884 هم ســي مسعود بن محمد من عرش المصاعبة وبلقاسم بعرة. [8]

ب) نظام الخلفاء والشيوخ (1854 – 1885):

إن الخليفة هو الذي يخلف القايد على حكم وادي ســوف أثناء غيابه في تقرت أو بعد وفاة القايد مثلما حدث للعربي المملوك أو إثر عزله مثلما وقع للقايد محمد بن ادريس. ومنذ 1871 كان هناك نظام الشــيوخ الذين يمثلون القبائل ويتبعون مباشــرة للقياد والخلفاء واســتمر ذلك إلى عام 1877 عندما تحول الشيوخ الثلاثة إلى خلفاء مستقليــن مرتبطيــن مباشرة ببسكرة ولكن في جانفي 1885 لما أنشئت ملحقة الوادي، صاروا يتعاملون مباشرة مع السلطات الفرنسية بالملحقة وهؤلاء القياد هم:

1. قايد قمار وغمرة.
2. قايد أولاد اسعود في كوينين وتحت إشرافه سكان ورماس وتاغزوت وسيدي عون والزقم.
3. قايد الدبيلة والبهيمة. 4. قايد لعشاش 5. قايد المصاعبة. [9]

ج) تأسيس ملحقة الوادي:

منذ احتلال فرنسا لتونس وضعت النواة الأولى للمكتب العربي بالوادي في الدبيلة أولا، ثم نقل لاحقا إلى الوادي. [10]

---

1 - إبـراهيم العوامر – المرجع السابق – ص259.

2 - مكان يقع شمال سوف قرب الفولية يبعد عن سوف بأكثر من 40 كلم.

3 - Gaid Zobeidi Si Hocine. Op. cit.

4 - تقاييد الشيخ سالمي مصطفى. مخ. المرجع السابق.

5 - إبـراهيم العوامر – المرجع السابق – ص260.

6 - تقاييد الشيخ سالمي مصطفى. مخ. المرجع السابق.

7 - Gaid Zobeidi Si Hocine. Op. cit.

8 - تقاييد الشيخ سالمي مصطفى. مخطوط. المرجع السابق.

9 - André Voisin. Op. cit. P 05.

10 - D. Escard. op. Cit. p 33.

ويعتبر الضابط بلاشير " **Blachére** "[1] أول حاكم لمركز الوادي.[2] ويشرف عادة على المكتب العربي ضباط يحسنون لغة الأهالي، ويعرفون خفايا القبيلة ومتطلباتها، ويعرفون الأشخاص الذين تعتمد عليهم السلطة على رأس القبائل، كما يراقبون القياد والشيوخ ويجمعون الضرائب ويراقبون المجرمين ويقدمونهم للمحاكم العسكرية، ويجمعون المعلومات الهامة حول القبائل، ويجمعون القومية والحلاس الذين يساعدون الطوابير العسكرية، كما يسيرون الشرطة العسكرية ورجال المخابرات والإداريين في كامل المنطقة.[3]

وبموجب القرار الحكومي الصادر في 17 جانفي 1885 أنشئت ملحقة الوادي وكانت تابعة لبسكرة، ولكن إنشاء دائرة في تقرت بموجب القرار الإداري في 1 جانفي 1893 حول ملحقة الوادي وصارت تابعة نهائيا لدائرة تقرت وتحت إشرافها.[4]

وكانت الملحقة خلال السنوات السبع الأخيرة من القرن التاسع عشر، قد شهدت تغيرات مستمرة في حكامها العسكريين الفرنسيين، وبلغ عددهم خمسة حكام آخرهم " **Commandant Cauvet** " الذي تولى شؤون الملحقة سنة 1900. وقد سهر هؤلاء الحكام على ترسيخ أقدام الفرنسيين، وتنظيم أمور السكان، وضبط شؤونهم الإدارية، وانجاز المنشآت العمرانية والمرافق التي تساعدهم على التحكم في سكان الملحقة. ولكن قانون 24 ديسمبر 1902 أحدث تغييرا في التقسيم الإداري بالجنوب، وبموجبه صارت وادي سوف تابعة لإقليم الصحراء.[5]

4. النظام القضائي في منطقة وادي سوف خلال القرن التاسع عشر:

كان النظام القضائي في العهد العثماني يخضع للشريعة الإسلامية وفي المناطق النائية والصحراوية، يتمتع ببعض الحرية والاستقلالية، إذ يرجع هذا النظام إلى نفوذ شيوخ القبائل والمرابطين وأهل الرأي.[6] وهذا الذي برز في المجتمع السوفي في أواخر العهد العثماني فكان الفقهاء وأهل العلم يفصلون في القضايا الهامة والخصومات المختلفة، [7] وعند الاختلاف يستفتي في الأمر علماء من خارج المنطقة، مثلما وقع سنة 1839 في خصومة بيع " الحبس " التي وقعت بين رجلين احدهما من قمار والأخر من

---

1 - ضابط في الجيش الفرنسي برتبة ملازم، كان رئيسا للمكتب العربى بالدبيلة خلال 1883.

2 - C. Cauvet. op. cit. p 51.

3 - le Colonel Noellat. Op. Cit. p 50.

4 - C. Cauvet. op. cit. p 51.

5 - André Voisin. Op. cit. P 06.

6 - ناصر الدين سعيدوني– العهد العثماني - ص23.

7 - الطاهر اتليلي – الفوائد المنثورة – ص127.

تاغزوت، [1] فأفتى في هذه المسألة الشيخ الأخضر بن حمانة القماري بالبيع فلم يقبل التاغزوتي بذلك الحكم، [2] وأرسل إلى تونس مستفتيا الشيخ إبراهيم الرياحي فأفتى ببيع الحبس. [3]

أما المسائل العظمى الخاصة بالجنايات والدماء فيحكم فيها " الميعاد " وهو عبارة عن مجلس قضائي يختار أفراده من بين أعيان وكبراء القرى والقبائل، ويصدرون الأحكام المختلفة من دفع دية الميت أو المقتول إلى تنفيذ حكم الإعدام. [4]

أما تشكيل المحاكم بصفة رسمية نظامية فبدأ منذ أوائل الخمسينات حسب تاريخ سجلات المحاكم الشرعية بسوف، وأقدمها محكمة الوادي منذ 1851. [5] أما محكمة قمار الأولى وهي شبه رسمية فظهرت على عهد الشيخ القاضي أحمد دغمان 1281هـ(1864م) بعد الاحتلال الفرنسي للمنطقة، [6] كما تم إنشاء محكمة في كوينين خاصة بأولاد اسعود في حدود عام 1873 حسب السجلات التي تم الاطلاع عليها. [7]

وتتكون المحكمة الشرعية من قاضي ونائبه (باش عدل) ويشترط فيهما المستوى الثقافي ويعينون بعد إجراء امتحان خاص. [8] أما (العدول) وعددهم اثنان فوظيفتهم بمثابة الشهود على إجراءات وأعمال القاضي سواء في الأحكام أو توثيق العقود بين الناس، [9] ولا يشترط فيهم إلا معرفة القراءة والكتابة وحسن السيرة. [10] ويساعد القاضي في أثناء أعماله كاتب يقوم بتسجيل كل ما يدور في الجلسة بين الأطراف، كما يحضر مع القاضي في الجلسة (شاوش) يسهر على الانضباط في قاعة المحكمة ويستدعي المتحاكمين للجلسات. [11]

وقضاة المحكمة الشرعية يتميزون بالتضلع في الأحكام الشرعية الإسلامية الفقهية الخاصة بالأحوال الشخصية من قضايا الزواج والطلاق والنفقة والحضانة والمواريث، والقضايا المالية من

---

1 - ابراهيم العوامر – المرجع السابق – ص232.

2 - الطاهر اتليلي – **من تاريخ وادي سوف** – مخ. مكتبة الشيخ المنزلية. قمار. الوادي. ص97.

3 - عمر بن محمد الرياحي – **تعطير النواحي بترجمة الشيخ إبراهيم الرياحي** – مطبعة بكار تونس. ط 1. 1320هـ. ص154.

4 - مثلما وقع لرجل يدعى " **لخوص**" تواطأ في إخفاء جريمة قتل سيده التاجر الكبير " لخضر بن جرمون " فحكم عليه " الميعاد " بالرجم بالحجارة، ونفذ الحكم بسوق مدينة الوادي حتى مات، وصار أمره مثلا يتناقله الناس، ويضربونه في مثل حاله فيقولون: " كي لخوص حاجروه حكم عليه الميعاد " نقلته عن السيد أحمد خراز يوم 1999/12/04.

5 - **سجل المحكمة الشرعية بالوادي 1851-** – مكتب التوثيق للسيد عبد المالك رزاق بعرة. موثق بالوادي.

6 - الشيخ الطاهر اتليلي – الفوائد المنثورة – ص127.

7 - أحمد توفيق المدني – **كتاب الجزائر** – نشر دار الكتاب ط 2. . البليدة. الجزائر. 1963. ص323.

8 - **سجل المحكمة الشرعية بكوينين 1873-** – مكتب التوثيق للسيد عبد المالك رزاق بعرة. موثق بالوادي.

9 - مولاي ملياني بغدادي – **المحاماة في الجزائر** – المطبعة الجزائرية دحلب -. الجزائر. 1993. ج 1. ص42.

10 - أحمد توفيق المدني – المرجع السابق. ص323.

11 - ملياني بغدادي – المرجع السابق. ص ص42 – 43.

صدقات وعقود بـــيـــع وشـراء وهبة وقروض، ويتم تسجيل كل ذلك في عقود شـرعية تمنح لأصحابها ويحتفظ بنسخة في سجلات المحكمة.

ومن خلال اسـتعراض قائمة القضـاة الطويلة منذ 1854 بالخصـوص، وحتـــى آخر القرن التاسـع عشر، ظهر أن اغلب رجال القضاء وخاصة القاضي والباش عدل يتم تعيينهم من خارج سـوف سواء من بلاد الزاب أو النمامشة، ويـــرجع ذلك لطبـــيـــعة القياد الذين ينتمون لتلك المناطق من جهة، ومن جهة أخرى فان السلطات الفرنسية تحبذ هذا الصنف حتى يكون الاعتماد عليهم كبيـرا من طرف السلطات العسكرية.[1]

ويعتبـــر " رئيس الملحقة " بمثابة القاضـي الذي يـــرتبط أسـاسـا بمحكمة باتنة بمقتضـى قرار(30 جويلية 1887)، وكذلك الشـأن بالنسـبة لضـباط الشـؤون الأهلية بالملحقة الذين لهم دور المسـاعدين لوكيل الجمهورية بباتنة.

وتـرفع القضايا الهامة والخطيـرة إلى محكمة باتنة، ولكن تذكر الكتابات الفرنسية أن الجرائم كانت قليلة جدا في سوف، وتقتصر عموما على قضايا النـزاعات حول الأراضي بـيـن الأهالي، وفي هذا الصدد يستعين القضاة والحكام العسكريون على ذلك بخبراء بهذه القضايا التي لا يفقهها إلا أهل الميدان وهم " الفلاحة " من أبناء الجهة.[2] وكذلك الشأن في قضايا السرقة التي يعتمد في كشف مرتكبها على فراسة الخبـراء في معرفة (الجرة)، [3] وقد اعتمد الفرنسيون بقوة على هؤلاء الخبـراء بعد تأكدهم من خبـرتهم وفعاليتها في هذا الميدان.[4]

ويظهر مما سبق، أن الحياة السياسية للمجتمع السـوفي خلال القرن التاسع عشـر كانت بسيطة في مظهرها الداخلي، بسبب استقلالها، ولكنها ذات ارتباطات مع أطراف خارجية خاصة مشيخة بني جلاب التـــي دخلت في صراع مريـــر مع السكان، وحاولت بسط نفوذها السياسي على إقليم وادي سـوف عن طريق الحملات العسكرية لإخضاع السكان، وأخذ الضرائب منهم عنوة.

---

1 - **Classe Dirigante** – Rapport de l'Annexe d'El-oued – Direction de Moudjahidine D'El-oued.

2 - C. Cauvet. op. cit. p 53.

3 - **الجرة:** هي معرفة آثار الأقدام على الرمال، ويستطيع الخبـــيـــر تحديد الشخص وبعض أوصافه مثل طول قامته، وإن كان أعرجا أو بدينا، وزمن حدوث السرقة بالليل أو النهار قبل الزوال أو بعده. . الخ.

4 - إبـراهيم العوامر – المرجع السابق. ص143.

كما تفاعلت المنطقة في الفترة ما بين 1830 – 1848 مع الأحداث السياسية بإقليم الجنوب الشرقي الجزائري، سواء ذلك الصراع الذي دار بين الحاج أحمد باي قسنطينة، مع شيوخ العرب، فرحات بن سعيد، وبن قانة من جهة، ومع الفرنسيين من جهة أخرى، والتجاء أحمد باي إلى سوف عدة مرات.

إضافة إلى مواكبة وادي سوف لكفاح الأمير عبد القادر، وربط علاقات مع خلفائه في إقليم الزيبان وامتداد سلطة الأمير إلى مشارف وادي سوف الشمالية، والتجاء خليفته على الزيبان بلحاج إليها، للإقامة المؤقتة واسترجاع الأنفاس، والانطلاق مرة أخرى لمقاومة الاحتلال الفرنسي، الذي كابد كثيرا قبل تمكنه من احتلال وادي سوف، فقد استغرق أكثر من عشرين سنة في جمع المعلومات وإرسال البعثات الاستكشافية وتنظيم الرحلات الجغرافية والعلمية قبل اقتحامه لأطراف المنطقة. وقد نجح في احتلال إمارة بني جلاب سنة 1854، وحينئذ فُسح له المجال للتقدم بجيوشه نحو وادي سوف، ولكن الاستقرار النهائي تطلب منه أكثر من ثلاثين سنة، بسبب اتساع الصحراء الجزائرية وارتباط وادي سوف بكثير من المدن ابتداء من الزيبان وحتى عين صالح والتي كانت مجالا واسعا لتنقل أبطال المقاومة الشعبية المسلحة، التي لقيت بوادي سوف الدعم المادي والمعنوي واتخذتها ملجأ للراحة واسترجاع عناصر القوة، ومعبرا نحو تونس وليبيا، للإقامة المؤقتة وجمع السلاح، والانطلاق مرة أخرى إلى ميدان المعركة.

أما الوضع الإداري في بداية القرن التاسع عشر فكان تحت إشراف شيوخ القبائل، وإثر الغزو الفرنسي للمنطقة عينوا عليها قيادا وخلفاء يعملون مباشرة مع السلطات الفرنسية المتواجدة خارج المنطقة واستمر ذلك إلى سنة 1885 عندما أنشئت ملحقة الوادي واستقرت بها الإدارة الفرنسية وبدأت في تنظيم شؤون السكان الإدارية، والقضائية التي كانت يومئذ تحت إشراف المحكمة الشرعية التي تختص بالنظر في قضايا الأحوال الشخصية، بينما ترفع القضايا الهامة والخطيرة إلى محكمة باتنة المدنية، إلاّ أن الجرائم كانت قليلة جدا في وادي سوف بشهادة الكتابات الفرنسية الرسمية.

ورغم ذلك كان للوضع السياسي آثارا إيجابية، انعكست على النشاط الاقتصادي ودفعت السكان للاشتغال الحثيث بالزراعة والصناعة والتجارة الخارجية، لتنمية المجتمع وترقيته إلى مستوى التطور والازدهار.

الفصل الثاني

النشاط الاقتصادي للمجتمع السوفي
خلال القرن التاسع عشر

1. دور الزراعة في تنمية المجتمع السوفي

أ) زراعة النخيل ومتطلباتها

ب) زراعة التبغ بسوف وأهميته الاقتصادية

ج) الزراعة المعاشية بوادي سوف

2. دور الصناعة التقليدية في المجتمع السوفي

أ) الصناعات المعتمدة على أجزاء النخلة

ب) الصناعات النسيجية بوادي سوف

ج) الصناعات الجلدية

د) صناعة الجبس

3. النشاطات التجارية للمجتمع السوفي في القرن التاسع عشر

أ) التجارة المحلية

ب) طرق المواصلات التجارية بين وادي سوف والأسواق المحلية والخارجية

ج) المظاهر العامة للتجارة الخارجية

د) المبادلات التجارية الخارجية

4. قطاع الخدمات في وادي سوف خلال القرن التاسع عشر

النشاط الاقتصادي للمجتمع السوفي خلال القرن التاسع عشر

إن الحياة الاقتصادية في المجتمع السوفي خلال القرن التاسع عشر اتسمت بالبساطة، وارتبطت كلية بالطبيعة، ومتطلبات الفرد، وضرورات معيشته من غذاء وكساء، وعمل متواصل يشغل حياته لتحقيق هذه المتطلبات، وتوفير الضروريات، والهدف في الأخير تحقيق الاكتفاء الذاتي حسب الإمكانيات المتاحة وفي حدود الجهود المبذولة والطاقة المستفرغة لتنمية المجتمع اقتصاديا .

وقد عبر البعض عن هذه الحياة الاقتصادية بأنها مرتكزة على ثلاث "خشبات": هي "خشبة النخلة" وتمثل الثروة الهامة و الأساسية وهي رمز للنخلة التي تعد مصدر العطاء والغذاء الأساسي بالمنطقة و"خشبة الخطارة " وترمز إلى الحرث، والزراعة المعاشية الضرورية للسكان، لأنها تمد المجتمع بالخضر والفواكه والبقول الضرورية، و" خشبة المنسج " وهي رمز للصناعة النسيجية التي تنتشر على نطاق واسع في كل البيوت، ونادرا ما يوجد بيت في سوف لا تمارس فيه هذه الصناعة، لأنها أساس الألبسة والأدوات المختلفة التي يحتاجها الفرد خلال حياته اليومية .

وإذا كانت العناصر السابقة تمثل الزراعة والصناعة الأساسية، فان التجارة الخارجية لها دور هام مع الخارج، إذ تساهم في جلب المواد الغذائية الأساسية من حبوب، وكمالية من توابل وعطور وأقمشة تتطلب جهدا كبيرا، وقد تمرس في ذلك تجار كبار، وكانوا يمولون المنطقة بكل ما تحتاجه، ويصدرون نحو الخارج مختلف أنواع المزروعات والمصنوعات. وإن حركة التبادل التجاري بعثت في المنطقة طابع الحيوية والنشاط الاقتصادي المتوازن.

1. دور الزراعة في تنمية المجتمع السوفي:

تكتسي الزراعة في المجتمع السوفي في القرن التاسع عشر أهمية معتبرة، وخصوصا زراعة النخيل التي تعتبر الدعامة الأساسية للاقتصاد المحلي، لأن هذه الزراعة تستوعب أوقات الأفراد وجهودهم، وتستولي على اهتماماتهم اليومية، إذ يقدم الفرد للنخلة الخدمات والأعمال، والرعاية والصيانة، ويبدأ هذا الجهد وينطلق منذ بداية إنجاز البساتين، ويستمر أثناء رفع الرمال حولها، وقبل الشروع في الزراعة وبعد الانتهاء من ذلك، ويكلف هذا العمل المستثمرين والملاك عدة سنوات حتى تثمر النخلة رطبا جنيا، يوفر لهم الإنتاج الغذائي والثروة المالية. أما الزراعات الأخرى مثل التبغ أو الزراعات المعاشية الغذائية فتحتل مرتبة ثانية بعد النخيل.

أ) زراعة النخيل ومتطلباتها:

كانت زراعة النخيل في المجتمع السوفي تتميز عن باقي المناطق الصحراوية بخصائص فريدة من نوعها، ويمكن تحقيق ذلك في العمليات الهامة التي كانت تمر بها زراعة النخيل في هذا المجتمع الصحراوي.

أولا: عملية انجاز الغواطين [1]:

كما يطلقون عليه اسم " الهود ".[2] والغواطين أو الاهواد هي عبارة عن أحواض ذات امتدادات واسعة تبلغ مئات من الأمتار طولا وعرضا، وتصل أعماقها إلى 16م ، ولا يستطيع الفرد السوفي حفرها إلا عند تحليه بكثير من الصبر واستخدام الذكاء والفطانة.[3]

وإن عملية انجاز الغواطين تتطلب مرحلتين:

1 - اختيار المكان المناسب بدقة ويراعي في ذلك الجوانب القانونية والعرفية والاقتصادية، [4] ويكلف بهذا الاختيار الخبراء بهذه الشؤون ويدعون " الفلاحة " الذين يتقنون جيدا الأمور العرفية والتقنية.[5] ويتم الاختيار للأماكن في الأراضي المستوية التي تكون قريبة من الماء بعمق يتراوح ما بين 1,75 إلى 2م.[6]

2 - عملية إزاحة الرمال ويسمى هذا العمل " رفع الرملة " ويتم بحفر حفرة عملاقة، بإزاحة آلاف الأمتار المكعبة من الرمال، ويحتاج ذلك عملا متواصلا بمختلف الوسائل المتاحة التي يلجأ إليها السوفي.[7]

ثانيا: كيفية " رفع الرملة ":

كان رفع الرملة خلال القرن التاسع عشر عملية أساسية يعتمدها السوفي عند شروعه في انجاز

---

1 - **الغواطين:** مفردها غوط وهو المزرعة أو البستان الذي يزرع فيه السوفي نخيله، وتجمع عند السكان بلفظ غواطين أو غيطان. ورد في لسان العرب: غاط يغوط غوطا: حفر. والغوط: المتسع من الأرض مع طمأنينة وجمعه اغواط. وهو عمق الأرض الأبعد، والغيطان كل ما انحدر من الأرض – انظر لسان العرب لابن منظور. ج 9. ص ص239 – 240.

وقد ورد في معجم البلدان لياقوت الحموي – مجلد 4. ص219. " الغوطة من الغائط وهو المطمئن من الأرض وجمعه غيطان واغواط، قال ابن الأعرابي: الغوطة مجتمع النبات. وقال ابن شميل: الغوطة الوهدة في الأرض المطمئنة.

2 - **الهود:** وجمعها " أهواد ": وهي كلمة " كانت تستعمل للدلالة على المشي الرويد والإبطاء في السير، ولما كان الانحدار الشديد في سطح الأرض يتطلب من السائر الإبطاء...فقد انتقلت الدلالة إلى الانخفاض للعلاقة المسببة ...فلما اختار أهل المنطقة هذه المنخفضات اهواد- لغراسة النخيل...أصبح اللفظ يطلق على واحة النخيل " انظر رسالة الماجستير للسيد أحمد زغب – **التطور الدلالي في لهجة منطقة سوف** – جامعة الجزائر. 2000. ص63.

3 - J ulles Trousset. op. cit. p321.

4 - Ahmed Nadjah. op. cit p60.

5 - André Voisin. op. cit. p 134.

6 - Commandant Cauvet – **la Culture du palmier au Souf** –revue Africaine. 1er trimestre. 1914. P 31.

7 - André Voisin. op. cit. p 129.

"غوط جديد "، أو أثناء توسيع الغوط القديم، وأثناء مكافحته للرمال المتراكمة دوما. وكل ذلك يتطلب من المالك الاستمرار في هذه العملية بنفسه أو عن طريق تأجير العمال الذين يدعون " الرمالة " ويستعملون عدة وسائل لرفع الرمال من أعماق الغواطين، وهي: القفة [1] والعبانة [2] والمكرة [3] والزنبيل. [4]

وعندما ما تكون كميات الرمال المرفوعة كبيرة يكلف المالك بهذا العمل فريق من " الرمالة " ويحدد لهم المساحة التي يعملون فيها، وحجم الرمال التي سيرفعونها؛ ويقوم بالتحديد خبير يدعى " القدام " وتدعى العملية " خط الرقة ".[5] وتوجد وحدة قياسية معتمدة ومحددة بدقة تدعى " القد الرملي " وهو عبارة عن مقدار مخصوص من الرمل، يختلف حجمه بين جهات سوف ويمكن حصر نوعين أساسين لهذا القياس هما:

القد الطرودي ويشتهر عند قبيلة " طرود " بمدينة الوادي بالخصوص، [6] والقد السعودي ويكون في القرى التابعة لأولاد اسعود. [7]

ثالثا: غراسة النخيل بسوف في القرن التاسع عشر:

إثر انتهاء عملية انجاز الغوط وتهيئته برفع رملته، يشرع في غرس " الحشان " [8] على مستوى يبعد عن الماء بحوالي مترين تقريبا، [9] وبعد أيام من انتهاء العمل والإعداد، تمتد جذور " الحشانة " في الماء عشرات السنتيمترات وحينئذ تستقر، ويتركها الفلاح تحت رعاية الله، دون أن ينسى في الأيام الأولى أن يتذكرها من حين لآخر بدلو من الماء حتى تتمكن جذورها من التعمق وتصل بنفسها إلى مستوى الماء،[10] وفي باقي عمرها تشرب النخلة في وادي سوف دون أن يبذل الفلاح أي عناء في سقيها.

---

1 - **القفة:** يحملها الإنسان على ظهره مملوءة بالرمال من أسفل إلى أعلاه.

2 - **العبانة:** وهي جلد كبير من البقر يحمل فيه الرمل.

3 - **المكرة:** وسعتها أربعة قفاف عادية، يسحبها " الرمّال " بحبل إلى غاية مكان الرمي، وتكون رائجة بكثرة في المناطق والأراضي ذات المرتفعات الرملية السهلية.

4 - **الزنبيل:** وهو عبارة عن مزود من سعف النخيل، عرضه حوالي 85 سم وطوله ما بين 1,10 إلى 1,50 م يوضع فوق ظهر الحمار، أو البغل فيشكل جيبا واسعا ويملأ بالرمل.

5 - C. Cauvet – Culture –p45.

6 - André Voisin. op – cit. p 134.

7 - الطاهر اتليلي – من تاريخ وادي سوف – ص ص71 - 72.

8 - **الحشان:** مفرده " حشانة " وهي الغرسة الفتية التى يتراوح عمرها ما بين 3 إلى 6 سنوات.

9 - C. Cauvet – Culture – op. cit. p37.

10 - Ahmed Nadjah. op. cit. p 62.

والجديـر بالذكر أن زراعة النخيل كانت في ازدياد مستمر عبـر السنـيـن، فقد بلغ العدد 60 الف نخلة عام 1860، وارتفع العدد إلى 154 الف عام 1883[1] ووصـل إلى 160 الف عام 1887، [2] وبلغ آخر القرن 19 نحو 202.300 نخلة عام 1900م. [3]

رابعا: خدمات رعاية الغواطين بوادي سوف:

كانت الغواطين، وأشجار النخيل المغروسـة بها تتطلب أعمالا ضخمة، ويومية لا تنقطع في أي جزء من أيام السنة، وتستوعب جل الوقت لدى الفرد السوفي بصفة عامة وهذه الخدمات الخاصة بالنخيل هي:

1.مكافحة الرمال: وهي المعركة المسـتمرة وتقتضـي اسـتخدام الذكاء، واسـتغلال الحنكة والتجربة، ومتابعة حركة الرياح واتجاهاتها لتسـاعد الفلاح على حمل الرمال عوض دفن النخيل، وما يسـتخدمه الفلاح في هذا المضمار هو الزرب[4] والحواجز الحجرية.[5]

2.علف النخيل: كانت عملية تزويد النخلة بالأسمدة اللازمة، والمواد العضوية تدعى " العلفـان " وهي مـن العمليات الأسـاسـية لزراعة النخيل وإنتاج التمور في سـوف. وتبدأ العملية " بالعزق " وهو تهيئة الأرض التـي سـتعلف بشكل يجعلها ميسـرة لسـريان الجذور بسـهولة وراحة، ويسـتعمل في هذا العمل الأدوات الحديدية مثل العتلة والجهارة والمجرفة والمسحاة. [6]

وتتم عملية " العلف " على مراحل ثلاث، فبعد غراسـة النخلة ومرور ثلاث سـنوات يحفر الفلاح نفق أرضي نصف دائري يبلغ 1,50 م ويكون قريبا من الماء، ويملأه بالرمل بسُمك يبلغ فوق الماء حوالي 25 سم ويوضـع فوقه خليط من السـماد المتمثل في "جلة " الإبل الممزوجة بالرمل، ثم تدفن الأرض وينتظر أربع سنوات أخرى، ويكمل العلف في نصف الدائرة في الجهة المقابلة للنخلة، ثم بعد سنـتـيـن من ذلك تعاد العملية.[7]

---

1 - C. Cauvet – Notes sur le Souf – p97.

2 - ريمون فيـرون – **الصحراء الكبـرى** – تـرجمة د. جمال الدناصوري. مراجعة د. شكري نصر. مؤسسة سجل العرب القاهرة. 1963. ص105.

3 - C. Cauvet – Notes sur le Souf – p97.

4 - **الزرب:** وهو عبـارة عن سـور أو حـاجز من جريـد النخيـل مرصـوف في صـفوف متوازيـة أو نصـف دائريـة، ويقـام في أعلى الغوط فوق الكثبان الرملية لمنع تقدم الرمال إلى الأسفل.

5 - **الحواجز الحجرية:** وهي أكداس من الحجارة الجافة توضع في المناطق التـى يقل فيها الجريد وتنتشر الحجارة، مثل الغواطين الجديدة التـى أقيمت في الجهة الغربـية لسوف في نهاية القرن التاسع عشر، ويتـراوح علوها ما بـين 25 إلى 50 سم. انظر: C. Cauvet – Culture –p 47.

6 - علي بوصبـيع العايش " **النخيل ثقافيا واقتصاديا في حياة اهل سوف** " مدونة محاضرات الندوة الفكرية الثامنة للجمعية الوطنية الثقافية محمد الأمين العمودي بالوادي أيام 28 – 30، 1995. ص16.

7 - André Voisin. op. cit. p 143.

3.تذكيـر النخيل: كانت عملية " التذكيـر " أي التلقيح تبدأ في أواخر شهر فيفري حيـن تنتج النخلة "الطلع " وتظهر شماريخ بـيـــضاء في الخارج، [1] ويقوم الفلاح الذي يدعى " الذكّار " باستكمال العملية ويستطيع أن يلقح في اليوم الواحد ما بين 30 إلى 40 نخلة، أي ما يقارب 130 إلى 140 عرجون. والجدير بالذكر أن ثمار النخيل تمر بعدة مراحل بعد عملية التذكيـر ومنها " البـزيـر " ثم " البلح " الذي يصفر فيدعى " البسر " وأخيرا تتحول إلى التمر الناضج الذي يحين قطافه. [2]

4. جني التمور: يبدأ موسم الجنـي عند السوافة في منتصف شهر سبتمبـر غالبا، عندما ينضج ثمر النخيل، فيعلنون حالة الاستنفار القصوى في كل البيـوت، وخلال شهر أكتوبر بأكمله فيشرع "القطاع" في عمله بتسلقه النخلة حتى يصل إلى أعلاها ويستند إلى جريدها[3] ويبدأ في قطع العراجين بواسطة آلة خاصة تدعى " المنجل ". وينزل عراجين " دقلة نور " بواسطة حبل حتى لا يصيبها الضرر. [4] وهذا العمل يحتاج إلى تجنيد عدد كبير، فإن كانت العائلة صغيرة تفتقر للأفراد فيمكنها أن تستعين "بالعوانة " [5] من الجيـــران الذين يتضامنون خلال الشهر، ويكون الأجيـــر الوحيد هو " القطاع"، [6] أو يتم استئجار بعض البدو للعمل في الجني خلال موسم " القطع ". وبعد انتهاء عملية الجني يحمل التمر فوق الظهر أو بواسطة الحيوانات إلى البـيـوت فيخزن التمر المعد للاستهلاك الذاتي، بـينما يوضع التمر المعد للبـيـع والتصدير في أكياس خاصة ويميز عن غيره. [7]

كانت زراعة النخيل خلال القرن التاسع عشر تحضى بالاهتمام من أصحابها الذين يدخلون عليـــها باسـتمرار تحسـينات في عملية الغراسـة أو الصـيانة أو أثناء الخدمات التـــي يقدمونها للنخلة، وكانوا يجلبون التقنـــيـــات الحديثة من المناطق المتاخمة لسوف عند رحيلهم إلى تلك الجهات، كما أن تواجد الفرنسـيـيـــن بالمنطقة سـهل عملية جلب بعض الوسـائل الحديثة الخاصـة بالحفر والقطع إضـافة إلى المساحيق الكيماوية لعلاج الأمراض التـي تصيب النخلة. كما أن الإنتاج تضاعف كثيـرا في أواخر القرن التاسع عشر، بسبب تضاعف غراسة النخيل، ووجود مستهلكيـــن جدد خارج المنطقة، فأصبح التمر

---

1 - علي بوصبيع العايش. المرجع السابق. ص18.

2 - C. Cauvet – Culture – p49.

3 - **الجريد:** هي أغصان النخيل بها أوراق طويلة من الخوص تدعى السعف، ومؤخرتها" الضلاعة "بها أشواك.

4 - André Voisin. op. cit. p 142. C. Cauvet – Culture – p40.

5 - **العوانة:** التويـزة.

6 - بوصبيع على العايش – المرجع السابق. ص18.

7 - André Voisin. op. cit. p 142 - 143.

يصـدر إلى فرنسـا، وخاصـة " دقلة نور " التـــي كانت لها الأهمية البالغة وتحتل المرتبة الأولى من حيث النوعية بين نخيل الجزائر بأسرها.[1]

ب) زراعة التبغ بسوف وأهميته الاقتصادية:

كان التبغ الزراعة الفعلية الثانـيـــة في المجتمع السوفي بعد النخيل،[2] وقد بدأت زراعته بسوف في نهاية القرن الثامن عشـر في منطقة قمار،[3] إذ كان لأهل قمار دور في جلب بذوره[4] من نواحي " باجة " التونسـية، وقد تطورت زراعته كثيـــرا خلال القرن التاسـع عشـر، وصـار إنتاجه يصـدّر نحو الجزائر الشمالية منذ منتصف القرن التاسع عشر ، وتعدى حدود سوف في أواخر القرن نحو البلاد التونسية، وقد ذكر " شارل فيـــرو" في سنة 1885 أن تبغ سوف قوي ومطلوب في كل الصحراء وينتج مرتـــيـــن في السنة، وكانت قمار لمدة طويلة مهد زراعته والمنتج الوحيد له.[5]

وقد تـــركزت زراعته عموما بعد تطوره في المنطقة الشـمالية لسـوف، ففي الشـمال الشـرقي ببلدة المقرن[6] والدبـيـلة وفي الشمال الغربي في قمار وتاغزوت وكوينـيـن،[7] والرقيبة بنسبة 70% من الإنتاج العام،[8] ويزرع القليل منه في الغيطان،[9] ولا تحتاج زراعته لأرض غنيـة، بقدر ما يحتاج إلى ارض ذات سـطح قريب من الماء، ولهذا تـــركزت زراعته في شـمال سـوف لأن الطبقة المائية قريبة لا يتعدى عمقها خمسة أمتار.

ويزرع " التبغ " في بساتـــيـــن خاصة تدعى " الربعة[10] " أو " الغابة " وهي مربعات قسمت فوق سطح الأرض وأحيطت بأسوار من جريد النخل لحماية التبغ من الرياح الساخنة والرمال الزاحفة التـــي تضر بأوراق التبغ الفتـــيـــة.[11] وكانت زراعته في سوف تتطلب عملا تتكاثف فيه جهود أفراد العائلة بأسرها بسبب الصعوبات التـــي يتلقاها المزارع، الذي يقوم بكل العمليات الزراعية، من سـقي وعلف وخدمات

---

1 - Pierre Munier – **le palmier Dattier** - G P Maisonneuve et larose – Paris. 1973. P51

2 - Ahmed Nadjah. op. cit. p 74.

3 - Ande Voisin. op. cit. p 156

4 - " **صوت وادي سوف** " جريدة تصدر باللغتـيـن وليس لها أوقات معلومة. تصدر عن المكتب الفرنسي الخامس بالوادي. عدد سنة 1958. مخطوطة بالستانسيل. ص10.

5 - André Voisin. op. cit. p 156.

6 - Ahmed Nadjah. op. cit. p 74.

7 - Ch. Lutaud – année 1907. p 92.

8 - André Voisin. op. cit. p 156.

9 - C. Cauvet – Culture – p74.

10 - André Voisin. op. cit. p 157.

11 - Ahmed Nadjah. op. cit. p 74.

مختلفة، ويضطر بعض المزارعين إلى تشغيل بعض العمال وهذا يجعل الربح قليلا لأن الأجرة المقدمة لهم تستهلك ثمن الإنتاج.[1]

وتمر زراعته بعدة مراحل أولها شتل البذور ابتداء من نصف أكتوبر حتى منتصف ديسمبر، في أحواض على شكل مستطيلات صغيرة، ويحمي الفلاح هذه المشاتل من برد الشتاء وخاصة في الليل القاسي بواسطة الجريد أو الدرين أو الحلفاء، ويقوم بسقيها في تلك الأثناء. وعندما تصير مهيأة للغرس ينقلها إلى "الميزاب " المعد للغرس، وعندما تصبح أوراق التبغ صفراء قوية يبدأ حصاده في أوائل شهر جويلية ويمتد إلى شهر سبتمبر، وبعد حصاده يجفف في الظل وفوق الأرض لمدة أربعة أيام ثم يوضع في الشمس لمدة أسبوع، وحينئذ يكون في متناول الصناعة والتجارة.[2]

ويستخرج من أوراقه " العرعار " للتدخين و " الشمة " أو النفة.[3] وهكذا يشتهر ذلك التبغ بقوته في مادة النيكوتين.[4] ونظرا لأهميته فان ضباط الشؤون الأهلية بالوادي يخصونه بالدراسة الدقيقة.[5] من أجل استغلاله في المستقبل اقتصاديا.

ج) الزراعة المعاشية بوادي سوف:

إلى جانب زراعة التمور الأساسية، والتبغ، كان الفلاح السوفي يهتم في الدرجة الأولى بإنتاج التمور بصفة أساسية ويضيف إليها زراعة التبغ وبعض المنتوجات الفلاحية التي يخصصها للاستهلاك العائلي أو يبيعها في أسواقه المحلية، وهي زراعة ثانوية ذات مردود ضعيف من الناحية الاقتصادية، ولكنها هامة جدا لغذائه اليومي.

وكانت هذه الزراعة تتطلب مجهودات كبيرة وسقي يومي ورعاية مستمرة، [6] لأن الظروف المناخية شديدة القساوة، بسبب الجفاف وندرة الأمطار والرياح الرملية القوية التي تغمر النباتات الصغيرة أو تحدث بها ضررا بالغا، ومع ذلك تمكن الفلاح السوفي من تخطي هذه الصعوبات، وأنتج أنواعا مختلفة من الخضر، [7] التي يحتاجها لتحقيق اكتفائه الذاتي الغذائي، وقد وفر لها كل الظروف المناسبة لزراعتها في الغيطان قرب "النخيل "، في مكان خاص يدعى " الحرث " [8] أو " الفلاحة " أو " الجنان "

---

1 - André Voisin. op. cit. p 157 - 158.

2 - Ibid. P 158 - 159.

3 - صوت وادي سوف – المرجع السابق. ص10.

4 - André Voisin. op. cit. p 157.

5 - C. Cauvet – Culture –. p74.

6 - Ahmed Nadjah. op. cit. p 79.

7 - André Voisin. op. cit. p 148.

8 - علي بوصبيع العايش – المرجع السابق. ص17.

وكانت مساحة الحرث تتراوح ما بين 50 إلى 80 م^2 ويكون في ناحية الغوط ويحاط بزرب من الجريد، [1] ولابد أن يتوفر هذا الحرث على عدة متطلبات ضرورية لخدمة هذه الزراعة وهي البئر والخطارة[2] والماجن[3] والسواقي[4] والميزاب.[5]

وتتم الزراعة المعاشية في مختلف فصول السنة: ففي الشتاء ينتج الخردل والسنارية (الجزر) واللفت **(novet)** والبليدة، [6] والبصل.[7]

وينمو في فصل الربيع الخردل المؤخر والدنجال والفول. وفي فصل الصيف أكثر البساتين تثمر الخضر مثل الطماطم والكابو **(citrouille)**، والقرعة **(potiron)**، والكرم والمعدنوس والبرطلاق والفقوس، [8] والبطيخ والدلاع والفلفل.

أما " الدلاع " الذي يحتاج إلى كميات كبيرة من الماء، فيزرع في " الطلوع " ويتغذى على علف النخلة فتنزل جذوره كثيرا على مساحة واسعة، فيسقي في بداية الأمر عدة مرات بكميات قليلة، ولما تتعمق جذوره في الماء يترك سقيه ويكون إنتاجه وافرا.[9] ويتطلب فصل الصيف جهدا كبيرا من الفلاح حتى يتمكن من سقي حرثه، بينما يكون جهده اقل في فصل الشتاء بسبب رطوبة الجو وبرودته.[10]

أما في فصل الخريف، فينشغل الفلاح بقطع التمر، [11] ولكن ذلك لا يمنعه من زرع بعض الخضروات من منتصف شهر سبتمبر إلى منتصف نوفمبر.[12]

ورغم الجهود الضخمة التي يبذلها الفلاح في حرثه يوميا، يتعهده بالسقي ويرعاه بالنظافة المستمرة، فإنه يحصل على إنتاج هام لغذائه اليومي، فيجني الخضر الطازجة الجيدة ويستعملها في حينها، ولا

---

1 - André Voisin. op. cit. p 148.

2 - **البئر والخطارة:** ويتم انجاز البئر قريبا من سطح الجنان، ولا يتجاوز عمقه غالبا ثلاثة أمتار، وتشيّد فوق البئر " الخطارة " وهي آلة ثلاثية الأطراف تقام حول البئر، وتتكون من ركيزتين خشبيتين من جذع النخلة، ولها عمود متحرك ممدود بين الركيزتين، تربط في مؤخرته حجارة ثقيلة تساعد على رفع الطرف الثاني الذي يعلق به دلو مصنوع من سعف النخيل يدعى "العمورة " ويشد بحبل متوسط الطول مصنوع من ليف النخلة.

3 - **الماجن:** وهو حوض من الجبس يكون ملاصقا للبئر وبه فتحات تتصل بالسواقي.

4 - **السواقي:** وهي مجرى مائي يتصل بالماجن و " الميزاب " من الجبس فتتكون فوق الرمل طبقة جبسية رقيقة تمنع تسرب الماء وتحافظ عليه وتساعده على الوصول لسقي النباتات. وكل " ميزاب " له فتحة تربطه بالساقية.

5 - **الميزاب:** وهو حوض من الرمل تكون جوانبه مرتفعة بقرابة 10 سم وبداخله تزرع مختلف أنواع الخضار، ويكون غالبه مستطيل الشكل.

6 - **البليدة:** وتدعى السلق، وهي نبات ذات أوراق خضراء كبيرة تكون مرقا للكسكسي.

7 - علي بوصبيع العايش – المرجع السابق. ص17.

8 - صوت وادي سوف – المرجع السابق. ص11.

9 - علي بوصبيع العايش – المرجع السابق. ص17.

10 - Ahmed Nadjah. op. cit. p 79.

11 - صوت وادي سوف – المرجع السابق. ص11.

12 - André Voisin. op. cit. p 149.

تنقطع هذه الخضر من الحرث، وكل موسم له أنواعه الخاصة التي تحقق للعائلة السوفية الاكتفاء الذاتي من الخضر الموسمية.

لقد كانت الزراعة خلال القرن التاسع عشر تستحوذ على جل اهتمام أهل سوف، وتستوعب أوقاتهم، وتشغل بالهم، وتدعوهم إلى بذل جهود مضنية، وأعمال مستمرة من مختلف الطبقات الاجتماعية، بداية من الجهد العضلي وحتى عملية تدبير شؤون الغيطان، ورعاية النخيل والسهر على زراعة الحرث لتوفير الغذاء الأساسي المتمثل في التمر والخضروات المختلفة. وقد تطورت زراعة التبغ في بداية القرن التاسع عشر وصار لها مردود حسن، فكانت تدر عليهم أرباحا تضاف إلى الفائض من إنتاج التمر، وكل ذلك يساهم في عملية المقايضة مع المنتوجات الخارجية الضرورية كالقمح والشعير، والكمالية والأدوات التي تفتقد إليها المنطقة. والجدير بالتنويه أن الزراعة في وادي سوف توفر بسهولة مختلف المواد الأولية الضرورية التي يعتمد عليها القطاع الصناعي.

2. دور الصناعة التقليدية في المجتمع السوفي:

اتسمت الصناعة التقليدية في المجتمع السوفي بطابع البساطة الذي فرضته الحاجة، وطورته التجربة عبر القرون والأجيال، حتى بلغت في أواخر القرن التاسع عشر مستوى من الرقي والازدهار، فتعدت بعض المنتوجات الصناعية حدود وادي سوف إلى آفاق بعيدة، فضلا عن الدور الفعال لهذه المصنوعات في المجتمع المحلي، إذ تمثل إحدى ركائز الحياة الاجتماعية والاقتصادية بما تقدمه من خدمات جليلة للسكان، وبما توفره من مصنوعات مختلفة الأشكال والأنواع والألوان، والتي تستمد موادها الأولية من غيطان المنطقة ونباتاتها وحيواناتها وصخورها.

فمن النخلة تصنع الأواني والآلات ومواد البناء، ومن أصواف الأغنام وأشعار الماعز واوبار الإبل يتم نسج الملابس والافرشة وإعداد الخيام والأكياس، ويتم دبغ الجلود حتى تصير جاهزة لمختلف الصناعات الجلدية الجميلة. أما الحجارة الباطنية فهي أساس " الجبس " الذي يعتبر المادة الأساسية لتشييد المباني والمنشآت العمرانية.

أ) الصناعات المعتمدة على أجزاء النخلة:

تعتبر النخلة محورا أساسيا للصناعات التقليدية عند الفرد السوفي، فهو يصنع من أجزائها المختلفة كل ما يحتاجه في حياته اليومية، ولا يكاد يهمل أي شيء من أجزاء النخلة إلا ويستعمله في جانب مهم من حياته، وما يمكن اشتقاقه من مصنوعات:

1.صناعة السعف[1]: يقوم الصانع بجمع هذا السعف، فيجففه بتعريضه للشمس فلما ييبس يدخل إلى الظل، ثم يغمس في الماء حتى يلين ويصير مطواعا للعمل، فيصنع منه أشياء عديدة كالأواني والأوعية المتفاوتة الأحجام وأدوات أخرى ذات استعمالات متنوعة، ومن هذه المصنوعات " السعفية ": الزنبيل والقفة والملاية[2] والشارية[3] والزمور[4] ولعلاقة[5] وأما المظلة[6] والمنشة[7] فيستعملان لمقاومة حرارة المنطقة.[8]

2.مصنوعات السعف مع التيق[9]: ينزع الغلاف الخارجي للتيقة، وتفكك أليافها، ثم تؤخذ حزم من هذه الألياف بسمك معين وتغلف بالسعف الجيد المسمى " السلال " فيصنع منها عدة أواني خاصة بالاستعمالات المنزلية مثل: الطبق، والمثرد[10] والقنينة.[11]

3.مصنوعات " عصي الجريد:

عندما تجرد الجريدة من سعفها تتحول إلى عصا يستغلها الفرد السوفي في عدة شؤون داخل بيته وخارجه ومنها: قوائم المنسج (النول) [12] وعصاة النيرة[13] والحمارة[14] والسدة[15] والدوح.[16]

4. مصنوعات " الليف "[17]:

يتم استعمال الليف في الصناعة بجمع النوع الجيد منه فيغمس في الماء حتى يلين، ثم تفك أليافه وتشكل الحزمة المطلوبة لصنع الحبال، ذات الأنواع المختلفة التي تستخدم في كل أنواع الأشغال أثناء

---

1 - **السعف:** هو أوراق النخل أو " الخوص" الذي يغطي جوانب " الجريدة ". ومنه نوع جيد قريب من قلب النخلة " جمارتها " ويسمى "السلال".

2 - **الملاية:** وهي أكبر من القفة وذات شكل دائري، ويستعملها في أعماله بالبناء أو لرعاية النخيل داخل الغوط بالخصوص.

3 - **الشارية:** مثل القفة ولكنها أكبر منها بكثير.

4 - **الزمور:** وهو إناء يشبه القفة ولكنه طويل ذو شكل اسطواني وبه غطاء متصل به، ويستعمل لحفظ كثير من محتويات البيت.

5 - **لعلاقة:** وهي آنيةصغيرة يحملها الفلاح عند جني البسر في الخريف من فوق النخلة، وحجمها غالبا يناسب ما يحتاجه الفلاح لملئه بالبسر بما يكفي احتياجات عائلته.

6 - **المظلة:** وتصنع من السعف الجيد " السلال " وتستعمل في فصل الصيف لوقاية الرأس من أشعة الشمس المحرقة.

7 - **المنشة:** وتصنع من السلال، وتستعمل في أيام الحر كمروحة للتخفيف من حدة حرارة الجو المزعجة.

8 - إبراهيم العوامر- المرجع السابق. ص89. علي بوصبيع العايش – المرجع السابق. ص24.

9 - **التيق:** ومفردها تيقة وهي ساق العرجون الذي ينزع منه الشماريخ وتغمر في الماء حتى تصير لينة. علي بوصبيع العايش – المرجع السابق. ص24.

10 - **المثرد:** يشبه الطبق في جزء منه، ولكن يتميز عليه بقاعدة طويلة، ويستعمل للأكل.

11 - **القنينة:** وهي آنيةمن السعف الجيد وهي ذات أحجام مختلفة، وتستعمل لشرب الماء وتبريده، وتطلى عادة بالقطران.

12 - **قوائم المنسج:** وهي ثلاث أو أربع عصي تصفف وتمسك بحبل، أو تثقب وتشد بأعواد من شجر متين مثل الرتم.

13 - **عصاة النيرة:** وهي عصا عادية طويلة وملساء تستعمل في المنسج، وهي إحدى أجزائه المهمة.

14 - **الحمارة:** وهي آلة من ثلاث عصي متينة ينزع شوكها وتربط من فوق بحبل من الليف وتستعمل لتعليق قربة الماء.

15 - **السدة:** وهي سرير خشبي، وتصنع من العصي التى تصف فوق الأرض وتثقب في جوانبها ثم ينظم ما بينها بواسطة حبل متين وتستعمل للنوم صيفا ولنشر التمر خريفا.

16 - **الدوح:** وهو " مهد " يصنع من العصي، ويستعمل كسرير لنوم الأطفال الصغار.

17 - **الليف:** هو ألياف سوداء تغطي خشبة النخلة ما بين " الكرناف " والذي ينزع عند قطع الجريد في فصل الخريف.

حفر الآبار[1] وحبل الخطارة وحبال حزم الحلفاء والحطب عند حملها فوق ظهور الجمال، كما يستخدم من الليف "العراوي"[2] للقفة ولعلاقة والملاية.[3]

5. مصنوعات الكرناف:

" الكرناف وهو قاعدة ساق " الجريدة "، ويصنع منها قوسا يستعمله الأطفال في لعب " كرة الشعر "، كما يقطع جزء منها في حجم اليد المضمومة، ويستعمل لحك المنسوجات والأقمشة الصوفية حتى تصير ملساء، وتدعى الآلة المشتقة من ذلك " المحكة".[4] وأما كمية الكرناف التي تزيد عن حاجة الصناعة فتستغل كوقود في الطهي أو التدفئة في المواقد أثناء فصل الشتاء.

6. مصنوعات " جذع النخلة ":

عندما تهرم النخلة، يزهد فيها صاحبها فيستخرج عصيرها " لاقمي " ويستفيد من جذعها في شؤونه المختلفة المنزلية والزراعية، علما بأن هذا الجذع له أطوال مختلفة تصل إلى قرابة 25 مترا.[5] وأهم فوائده صنع قوائم الخطارة وتسقيف المباني،[6] ويستخلص منها أعمدة لحمل العراجين في فصل الخريف، والباقي يستغل لإضرام النار عند حرق حجارة الجبس، أو عند الطهي أو تجمر به المواقد للتدفئة في الشتاء.[7]

ب) الصناعات النسيجية بوادي سوف:

ترجع هذه الصناعة إلى قرون عديدة، وقد استمد السكان من الطبيعة المحيطة بهم كل ما يوفر لهم العيش المريح من طعام وزينة ولباس، واشتغل بهذا الفن النساء والرجال على حد سواء، وتتم هذه الصناعة في زاوية تحت الظل في فصل الصيف، بينما يفضل الصناع في فصل الشتاء حرارة الشمس، ويلازم فترات العمل تجاذب الحديث بالقصص والحكايات وترديد الأغاني والأهازيج لأنها تروح عليهم وتنسيهم مشقة العمل.[8] وخلال القرن التاسع عشر كانت المنسوجات السوفية مزدهرة وهي ممثلة في البرنوس والقندورة والجلابة، والزربية والفراشية، والحايك، وتوجد بالآلاف في كل مكان، فلا يخلو

---

1 - C. Cauvet – Culture –. p70.

2 - **العراوي:** مفردها عروة. وهي المقابض، أو الأذن التى تستعمل في أعلى الآنيةوتحمل منها.

3 - علي بوصبيع العايش – المرجع السابق. ص25.

4 - C. Cauvet – Culture –p 69.

5 - Pierre Munier – Op. Cit. P27.

6 - C. Cauvet – Culture – p 69 .

7 - علي بوصبيع العايش – المرجع السابق. ص25 – 26.

8 - Ahmed Nadjah. op. cit. p 82.

منـــزل أو خيمة من هذه الصناعة التـــي توفر احتـــيـــاجات العائلة من كل أنواع المنسوجات، وتحقق الاكتفاء الذاتى للسكان.[1]

وتمر صناعة الصوف في وادي سوف بثلاث مراحل أساسية:

أولا: معالجة الصوف وتحضيره للصناعة:

فيجمع الصوف من جزز الخراف التـي تخالطها الأوساخ والشوائب، فينقي منها ويغسل جيدا بالماء، ويـــركم بالجبس، وبعد جفافه ونقائه يندف بالمشط [2] حتـــى يصيـــر على شكل كومات تدعى " إباص " ويغزل بالمغازل، [3] فيصنع منه " القيام " أو " الجداد " وهي الخيوط الأساسية التي يـرتكز عليها القماش المنسـوج، والباقـــي من الصـوف المندوف يعالج بآلة اخرى تدعى " القرداشـة "[4] ثم يغزل بمغزل خاص كبير فيحول إلى " طعمة " وهي المادة الأولية.

والجديـر بالذكر أن الفتـيـات الصغيـرات منذ بلوغهن سن الرابعة أو الخامسة من عمرهن يتدربن على غزل الصوف وتحضيـره، وعندما يبلغن سن العاشرة يصرن قادرات على تحضيـر " المنسج " ونسج مختلف الأنواع من المنسوجات، ولا توجد امرأة في المجتمع السوفي لا تتقن هذا الفن بتاتا.[5]

ثانيا: تحضير آلة النسيج:

آلة النسـيج في المجتمع السـوفي تدعى " المنسـج " وأغلب أجزائها تسـتخلص من النخيل أو الأشـجار الصحراوية أو حيوانات الجهة، وتتكون من " القـوايـم "[6] والطواي[7] وخشبتيـن كبيـرتيـن يُلف فيهما القيام أحدهما في الأعلى تمســك بحبل من شـــعر الماعز يدعى الرفاع والآخر يمســك بحبل في الأســفل ويدعى العفاس.

وعندما تريد المرأة السوفية انجاز أحد منسوجاتها، تغمس في صحن البيت ثلاثة أعمدة من الحديد، وتقوم بتـركيب الخيوط الرفيعة حولها وتنجز ذلك في حركة متتابعة يمينا وشمالا، وبعد إتمامها تـركيب الخيوط في خشبتي المنسج، حينئذ يكون حاضرا بأكمله للعمل.

---

1 - André Voisin. op. cit. p 173.

2 - **المشط:** آلة من الخشب المستطيل، ثبت في آخرها مسامير طويلة متراصة في خط مستقيم، وتستعمل لمشط الصوف.

3 - **المغزل:** هو آلة يدوية ذات انواع مختلفة، ويتكون عادة من عود رفيع من الحلفاء في مؤخرته تثبت ثقالة دائرية من الخشب وضعت في قمتها " صنارة" صغيرة من سلك رقيق. أما مغزل الطعمة فيكون أكبر من السابق.

4 - **القرداشة:** آلة مربعة بها مقبض يدوي، وهي ذات دفتيين في كل دفة مسامير رفيعة ناتئة، يوضع الصوف أو الوبر بين دفتيها ويحك حتى يصير مندوفا لولبي الشكل. حتى يصير " جباید ".

5 - Ch. Lutaud. Op cit p 57.

6 - **القوايم:** وهي الركائز التى يقوم عليها المنسج وتتركب من جريد النخيل، وتدفن في الرمال ويكون البعد بين " القائمتين " حوالي مترين.

7 - **الطواي:** فهو عصا مجردة من سعفها ملساء السطح، تضفر حولها خيوط تدعى " النيرة " ودورها هو توزيع الخيوط الرفيعة حتى يسهل إدخال الصوف بينها.

ثالثا: كيفيات النسج:

تجلس المرأة داخل " المنسج " وتقطع جزء من " الطعمة " وتدخلها بأصابعها داخل القيام مستعملة مسلة كبيرة تدعى " الذبال "، الذي تمرره على الخيوط يمينا وشمالا، فتنفتح الخيوط، حينئذ تدخل خيوط الطعمة، ثم تقوم برصها بالذبال في أماكن متفرقة، ثم تدقها بآلة حديدية تدعى " الخلالة "[1] وتستمر العملية حتى يكتمل نسيجها.

- أنواع المصنوعات النسيجية:

صناعة الزرابي: أرجعت التقارير والكتابات الفرنسية ظهور هذه الصناعة بوادي سوف إلى أواخر القرن الثامن عشر.[2] ووردت على المنطقة من تونس عن طريق إبراهيم غريب الذي استقر يومئذ بعائلته[3] في قمار وأخذ في تطوير صناعته وتعليمها لأبنائه، ومنعها عن الأجانب حتى تبقى سرًا عند عائلتهم فقط.[4]

وتؤكد بعض الكتابات الفرنسية والمحلية، أن الأتراك فتحوا أول ورشات النسيج الخاصة بالزربية في بداية القرن التاسع عشر، [5] عندما فتح أخوان تركيان محلا لهما بقمار.[6] كما جلبت الزاوية التجانية بقمار في عام 1890 صناعا من جبال النمامشة لصناعة الزرابي داخل الزاوية لتوفير ما تحتاجه من الزرابي.[7]

وفي أواخر القرن التاسع عشر صارت الزربية السوفية مزيجا من جهات متعددة تبلورت في زربية نموذجية، [8] أثبتت وجودها في الأسواق المحلية والخارجية وأصبحت تنافس الزرابي العريقة التي تشتهر بها مدينة القيروان التونسية، بسبب متانتها وتنوع ألوانها.[9]

وأثبتت هذه الزربية وجودها خارج المنطقة عندما عرضت بباتنة عام 1895 فمنحت شهادة شرفية وميدالية ذهبية مقدارها 50 فرنكا تسلمها " قايد " لعشاش بالوادي محمد بن موسى من الجمعية

---

1 - **الخلالة:** آلة من الحديد بها مقبض خشبي، وفي مقدمتها اسنان حادة تدخل بسهولة بين الخيوط وتستطيع رص الصوف وتجعله متماسكا.

2 - Territoire Militaire de Touggourt. Annexe d'El-oued – **Industrie des Tapis au Souf** – juillet 1919.

Direction de Moudjahidine. El-oued-. P 1.

3 - André Voisin. op - cit. p 174.

4 - Ch. Lutaud. Op- cit p 60.

5 - André Voisin. op - cit. p 174.

6 - Ahmed Nadjah. op. cit. p 83.

7 - André Voisin. op - cit. p 174.

8 - Industrie des Tapis au Souf - p 1.

9 - Ch. Lutaud. Op cit p p 59

الفلاحية الفرنسية بباتنة في 10 أكتوبر 1895.[1] وهذا يبرز المكانة الهامة التي بلغتها الزربية في أواخر القرن التاسع عشر والتطور والإتقان الذي وصلت إليه بعد قرابة قرن من عمرها. وزربية سوف تصنع من الصوف الرفيع، وهي زربية للفراش وتمتاز بالقوة والمرونة.[2] كما أنها كثيفة ناعمة تنسج من طرف الرجال، أما العمل الذي تقدمه النساء فيقتصر على الأعمال الأولية التمهيدية مثل غسل الصوف وندفه وفتله.[3]

إن ألوان الزربية السوفية متنوعة إذ يتم صبغ الصوف بالألوان النباتية مثل: الحنة، وقشور الرمان وقشور الجوز.[4] والنوع الكلاسيكي القديم للزربية أحمر اللون، يحتوي على شكل مركزي مربع بخيوط شريطية مزخرفة، متقاطعة بمسافات حمراء بمثابة شرائط ممتدة، وتصنع أيضا بيضاء اللون ومركزها أحمر، وشرائطها المزخرفة متقاطعة بخطوط حمراء عريضة، ويعتبر اللون الأحمر والأبيض من الألوان الأساسية، وتستعمل ثلاثة ألوان ثانوية لتزيينها وهي اللون الأسود والأبيض والأصفر.[5]

ومهما يكن فإن إنتاج الزربية كان كافيا لتلبية الحاجة المحلية، ويضيف قيمة مالية جوهرية إلى ميزانية العائلة التي تقوم بهذه الصناعة.[6]

صناعة الحايك: الحايك هو الحولي الذي سداه ولحمته حريرا أو إحداهما فقط، أو يكون من صوف معلّماً بالحرير ومن أنواعه:

-**الحوالي الحسنية**: وهي لا تكون إلا من الصوف وكلها للرجال، ومنها نوع يكون للنساء عوضا على الملحفة أو الملاءة وصنعها من الصوف.

-**الحوالي القطنية:** والمصنوعة من الصوف المعلمة بالقطن وتكون لكلا الجنسين ولكن النساء يصبغنها بالسواد أو الحمرة، وبعض المترفعات يصنعن حولي حرير ويسمى حينئذ " مغطوس ".[7]

واشتهرت قرية كوينين بهذه الصناعة، وخاصة حايك الحرير، منذ أواخر القرن الثامن عشر عندما تصاهر بعض أهالي هذه القرية مع العائلات التونسية بنفطة ببلاد الجريد، فنقلوا عنهم هذه الصناعة فصارت مشهورة بالمنطقة وبقيت هذه الصناعة محصورة ومحتكرة من طرف سبع عائلات، ثم عمت

---

1 - **Déplombe Décerne par Comice Agricole de Batna** – le 10 Octobre 1895. Aujourd'hui ce document est chez Mr Ben Moussa Hadj Mohamed. cité l'acheche. El-oued.

2 - André Voisin. op. cit. p 174.

3 - Ahmed Nadjah. op. cit. p 83 – 84.

4 - André Voisin. op. cit. p 174.

5 - Industrie des Tapis au Souf. op. cit. p 1.

6 - Ahmed Nadjah. op. cit. p 83.

7 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق. ص86.

كل القرية بعد ذلك، فأصبح أهل كوينين بأسرهم يصنعون الحايك الحريري ثم انتقلت إلى قرية ورماس في أواخر القرن التاسع عشر.

وإن حايك الحرير صار يمزج بكمية من الصوف تختلف حسب قيمة الحايك، فإذا كان شديد الرقة يكون به شريط من الحرير عرضه نحو 25 سم، وشريط من الصوف عرضه نحو 3 سم متواليين، ويصنع الحايك في كل أيام السنة، وتنشط صناعته أكثر في فصلي الربيع والصيف، إذ يتم انجاز حايك واحد من طرف امرأتين تعملان عملا عاديا في غضون ثمانية أيام، أما المرأة الواحدة فتستغرق مدة ثمانية عشر يوما.[1]

ـ **صناعة البرنوس:** وهو لباس خاص بالرجال، ويعتبر من أهم الصناعات النسيجية بالمنطقة وخارجها، ويصنع من الصوف عند البدو والحضر من أهل سوف،[2] وهو صناعة نسائية خالصة، ويشتغلن في إنجازه بالآلاف،[3] وله أنواع منها الرفيع، والمتوسط، والوضيع.[4]

- **صناعة القندورة:** وهي صناعة ذات انتشار واسع بالمنطقة ويتم إنجازها من طرف النساء في البيوت أو في الخيام عند البدو،[5] وهي لباس خاص بالرجال، وتصنع من الصوف وحده أو تكون معلمة بالوبر أو الحرير أو كلها من الحرير[6].

ـ **صناعة القشابية:** وهي مثل القندورة لكنها تزيد عليها الطربوش والكمين، وفي الغالب تكون مصنوعة من الصوف الخالص بعضه أبيض والآخر أسود، أو تكون معلمة بالقطن أو من صوف ابيض وحده.[7]

- **صناعة العراقية:** وهي طربوش مزركش بالمربعات، أو يكون ابيض اللون خالصا وتصنعه الصنارة التي تكون في أيدي النساء والفتيات من سكان قرية تاغزوت،[8] وفي المدن ينسجها الرجال الذين يتعلمونها منذ صغرهم، وهي صغيرة الحجم بيضاء اللون يبيعونها للبدو، وتعوض الطربوش الأحمر

1 - Ch. Lutaud. Op cit p p 56 – 57.

2 - Ibid. p 56.

3 - صوت وادي سوف – المرجع السابق. ص23.

4 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق. ص86.

5 - André Voisin. op – cit. p 176.

6 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق. ص88.

7 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق. ص87.

8 - André Voisin. op – cit. p 176.

الجميل المستورد من تونس لأن له أثمان مرتفعة يعجز عنها غالبيـــة السكان.[1] وتكون العراقية عادة مثقبة ومن القطن المبروم.[2]

ـ **صناعة العفان:** وهو حذاء يصنع من الصوف الأبيض وشعر الماعز الأسود الذي يتخذ أحزمة له، وصناعته عادة من اختصاصات أولاد اسعود بكوينين، وهي تحمي مرتديها من الرمال الباردة في فصل الشتاء، ومن رمضاء الصيف المحرقة.[3]

ـــ **صناعة مستلزمات الخيمة:** إن بدو سوف وخاصة الربايع والفرجان كانوا يصنعون في القرن التاسع عشر كل متطلباتهم من الصوف والشعر والوبر البني الناصع الذي تصنع به الخيام،[4] ويتكون من عدة أجزاء منها: الأفلجة[5] والطرائق،[6] والحنبل،[7] وغيرها.[8]

- منسوجات متنوعة:

وهي منسوجات متعددة الاستعمالات يصنعها البدو والحضر، ويستخدمونها في مستلزماتهم اليومية ويعتمدون في صناعتها على الشعر والوبـــر والصوف ومنها الغـــرارة،[9] القطيفـــة،[10] والمحزمـــة،[11] والمخلاة،[12] والعبانة،[13] وغيرها.[14]

ج) الصناعات الجلدية:

إن المادة الأولية للصناعة الجلدية هي جلود الحيوانات الأليفة، خاصة الجمال والضأن والماعز،

---

1 - C. Cauvet – Notes – p83.

2 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق. ص88.

3 - André Voisin. op – cit. p 176.

4 - Ibid. P175.

5 - **الافلجة:** وهي الأنسجة التى تتكون منها الخيمة وتكون مستطيلة الشكل ومادتها من وبر الجمال.

6 - **الطرايق:** وتكون من الشعر والوبر والصوف المصبوغ بألوان مختلفة، وتجعل وسط الخيمة في محل رفع العمود.

7 - **الحنبل:** ويكون من الوبر والصوف المصبوغ بالألوان المختلفة، ويكون سميكا وقويا تغطي به ارض الخيمة.

8 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق. ص87. André Voisin. op. cit. p175.

9 - **الغرارة:** وتصنع من شعر ووبر وصوف، وتصنع في كل بيت أو خيمة، وهي أكياس كبيرة ذات خطوط عريضة سمراء وسوداء وتخصص لحمل الحبوب والتمور فوق ظهور الإبل التي تقطع بها عشرات الكيلومترات مع القوافل الصحراوية.

10 - **القطيفة:** وهي من الافرشة وتصنع من الشعر المخلوط بالصوف والوبر، ولها خمل طويل وكثير.

11 - **المحزمة:** وتصنع من الشعر والصوف، وقد يكون بها الوبـــر، وهي حزام رجالي يصنع بالخصوص في قرية عميش وفيه رسومات هندسية بيضاء وسوداء، ذات أشكال فنية حسنة، وتمتاز هذه المحزمة بالمتانة والقوة.

12 - **المخلاة:** وهي تشبه الغرارة ولكنها صغيرة، وتعلق في رقبة البغال ويوضع لهم فيها الشعير عند علفهم.

13 - **العبانة:** وتتكون من الوبر، والصوف الملون بالأسود، ويختار لها الصوف الرديء لأنها معدة لنقل الأشياء أو تتخذ فراشا للفقراء.

14 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق. ص .C. Cauvet – Notes – p83. 87 – 88

وتعالج هذه الجلود بدباغتها بنبات الأثل (الأبهل)، ويقطع الجلد وتصنع منه السيور والأكياس[1] المختلفة الأنواع مثل القربة[2] والركوة، [3] والقرفة، [4] والرقعة، [5] والعمورة، [6] وغيرها. [7]

د) صناعة الجبس:

وهي الصناعة الهامة الرئيسية بالمنطقة، لأنها توفر المادة الأساسية للبناء في المجتمع السوفي، وتشترك في تحضير هذه المادة أيادي كثيرة مع تعدد مهام الإنجاز ومراحله وهي:

1 - استخراج الحجارة:

كان السوفي يستخرج حجارته من محاجر خاصة تدعى " المقطع "، ويكون في الناحية الشمالية، وحجارته طبقية تدعى" الدبدابة " أو " التافزة " الهشة، ويتراوح عمقها ما بين نصف متر إلى مترين ونصف، ويتم استخراجها بسهولة، أما التافزة الحجرية فهي صلبة وتكون غالبا قرب الماء، وتوجد بالوادي في الناحية الجنوبية والغربية عموما، ويتطلب استخراجها عناء ومشقة. أما حجارة " الترشة " فهي رقيقة وتوجد عند الماء أو فوقه قليلا. [8] وبعد استخراج الحجارة اللازمة تصير جاهزة للحرق.

2 - حرق الحجارة:

وكان يتم بطريقتين مختلفتين هما:

- **الحاروق:** يجمع كثير من حجر " الترشة " ويوضع على صفحة حجر التافزة الذي يوجد على وجه الأرض بعد مسح الغبار فيبسط ويجعل فوقه كثير من الحطب والحشائش مثل " بوقريبة واللبين " وفوقه كوما من " الترشة " حتى يصير شكله مثل القبة وتترك الجوانب عارية، ثم تضرم في تلك الجوانب النار فيشتعل الحطب وما معه ويخرج الدخان من بين ثنايا الترشة فيحترق أسفلها ويؤثر على الباقي فتصير الترشة كلها جبسا، ويقال لذلك حاروقا، فهو مشتق من الحريق، وهذه الطريقة القديمة يستخدمها الفقراء، أو من كان في "غوطه " يحتاج إلى شيء قليل من الجبس يستعمله لبناء حوض أو " سواقي " أو بئر أو بنية حشانة. [9]

---

1 - André Voisin. op. cit. p178.

2 - **القربة:** وهي مزود من جلد الماعز يستعمل لحمل الماء وحفظه وتبريده في فصل الصيف.

3 - **الركوة:** وهي علبة من جلد الماعز.

4 - **القرفة:** وتشبه القرارة وهي من جلد الجمل المدبوغ.

5 - **الرقعة:** وهي من الجلد كذلك وتتخذ فراشا للإنسان، أو الرحى عند طحن القمح.

6 - **العمورة:** وهي دلو مفتوح الفم مقام على عود مستدير.

7 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق. ص ص88 - 89.

8 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق. ص42. André Voisin. op. cit. p178.

9 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق. ص ص82 - 83.

- **الكوشة:** وهي " فرن " يشيد بالجبس بالقرب من مقلع الحجارة، وهي ذات شكل دائري له فتحتان، أحداهما في الأسفل وهي مكان الموقد الذي يوضع به الحطب، ويستخرج منه الجبس بعد انتهاء الحرق، أما الفتحة الثانية فتكون كبيرة في أعلى " الكوشة " وهي مفتوحة مباشرة للهواء.[1]

ويتم العمل بأخذ حجر التافزة ويركب في الكوشة حجرا فوق آخر حتى يصير كالقبة، ثم تلقى فوقه الحجارة الصغيرة التي نحتت من الكبيرة، وتوقد النار في فوهة الكوشة وهي " الموقد " تحت الحجارة المتراصة.[2] فيشتعل الحطب الذي هو عبارة عن جذوع النخل المهجورة أو نباتات أخرى من " الزيتا " وغيرها.[3]

3. تحضير الجبس:

بعد الانتهاء من عملية الحرق سواء بواسطة " الحاروق " أو " الكوشة "، يستخرج الجبس ويوضع في مكان صلب، ويضرب بقوة سواعد العمال المفتولة، بواسطة قطعة من الخشب تدعى " الخباطة " التي تدق الحجارة الهشة وتحولها إلى مادة الجبس التي تشبه الدقيق المسحوق، لكنها مخلوطة بالرماد وأجزاء من الخشب المحترق ويدعى " الفحم "، ويخلط هذا الجبس بعد ذلك بفتات الحجارة الدقيقة المتساقطة من الحجارة قبل حرقها وتدعى " المشاشة "، ويحدث هذا الخلط زيادة في الكمية، وتخفيفا من شدة الجبس وقوته حتى يكون سهلا للاستخدام في البناء.[4]

ويتضح مما سبق أن صناعة وادي سوف خلال القرن التاسع عشر كانت مزدهرة لأنها لبّت حاجات السكان، ووفرت متطلباتهم الضرورية ووسائلهم اليومية، وساعدهم على تطوير هذه الصناعة، الحاجة المستمرة إلى مختلف الأدوات، ووجود المواد الأولية، إضافة إلى احتكاكهم المتواصل بالمناطق المتاخمة لهم، ونقل تجاربهم، وبلورتها مع موروثهم. فأخرج الصناعة في شكل جديد متطور مثلما حدث في صناعة الحايك والزرابي فضلا عن الصناعات التي يمارسها البدو المتنقلين في الصحراء وأكسبهم ذلك احتكاكا بغيرهم ومكنهم من ملاحظة أشكال عديدة ساهمت في إثراء الصناعة النسيجية والجلدية.

أما صناعة الجبس فقد تطورت في أواخر القرن التاسع عشر بسبب تطور البناء، وتوسع الحركة العمرانية عن طريق السلطات الاستعمارية، وهذا جعل صناعة الجبس تتطور في وسائلها لتوفير كميات أكثر لتحقيق الاكتفاء الذاتي من مواد البناء الضرورية. والجدير بالذكر أن مصنوعات وادي

---

1 - André Voisin. op. cit. p178.

2 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق. ص83.

3 - Ahmed Nadjah. op. cit. p 86.

4 - صوت وادي سوف – المرجع السابق. ص19.

سوف كان لها الأثر الفعال خارج المنطقة نتيجة لجودتها وإتقانها، فأعطاها ذلك رواجا، وصارت تنافس المصنوعات التونسية على وجه الخصوص، وتبوأت مكانة هامة في نطاق التجارة الخارجية.

3. النشاطات التجارية للمجتمع السوفي في القرن التاسع عشر:

كان الفرد السوفي يمارس التجارة في أبسط أشكالها والتي ترتبط ارتباطا وثيقا بحياته الاقتصادية والاجتماعية، فالفلاح يحمل إلى السوق إنتاجه من الغيطان والبساتين من تمور ومزروعات معاشية، ومن بيته يحمل المنسوجات المنجزة من طرف نسائه، وكانت هذه الأشياء تلقى رواجها في الأسواق المحلية والخارجية، إذ يجهز التجار القوافل الكبيرة التي تنطلق نحو البلدان المجاورة لسوف والبعيدة عنها مثل غدامس وارض السودان، ولا تنقطع هذه القوافل في حركتها على مدار السنة، لأن التجارة هي العامل الوحيد الذي يكسر طوق العزلة، ويضفي على المنطقة طابع الحيوية ويطور مستوى المعيشة، ويبعث في الحياة الاجتماعية عناصر ثقافية أصيلة، كما أن التجارة الخارجية تمتّن أواصر الصداقة مع البلدان الأخرى.

أ) التجارة المحلية:

كان النشاط التجاري في وادي سوف مزدهرا، يقام بالأسواق المحلية في قمار وكوينين، واهم الأسواق عموما سوق مدينة الوادي التي كانت لها شهرتها الخارجية، وعرفت في ذلك الحين كأكبر سوق يؤمه التجار من مختلف الواحات والبلدان.[1]

1- وصف عام لسوق الوادي ومرافقه:

كانت مدينة الوادي هي المركز الاقتصادي الأساسي لكامل الإقليم، [2] إذ تجسد مركز الثقل الاقتصادي بالسوق التي شيدت في قلب المنطقة، ومركزها هو مسجد سيدي المسعود الشابي العتيق، الذي شيدت على أطرافه الدكاكين. ويحدّ هذه السوق من الشرق غوط " السردوك " وحي سيدي مستور، ومن الجنوب حي أولاد احمد ومسجده الذي شيد (1790)، ومن الغرب مسجد العزازلة وحي لعشاش، ومن الشمال غوط امهيريس وزاوية سيدي سالم ومسجدها المشيّد سنة 1830. وإلى جانب الدكاكين التي أقامها السكان، شيد الفرنسيون بعد استقرارهم بالمنطقة بناءات مسطحة من طرف الهندسة العسكرية، وخصصت الأولى لبيع الحبوب وتدعى " رحبة القمح " وتم تشييدها في حدود عام

1 - محمد العربى الزبيري – التجارة الخارجية - ص154.

2 - D. Escard. op. cit p 38.

1886 قرب مسجد سيدي المسعود في جهته الشرقية، والثانية لبيع اللحوم وتدعى " بلاست اللحم " [1] في الناحية الجنوبية الشرقية من زاوية سيدي سالم.

أما بقية السوق فهي مساحات أرضية خصص كل جزء منها لبيع إحدى المنتوجات ويدعى كل قطاع باسم "السوق " ومن ذلك سوق الحيوانات من الجمال والبغال والحمير، ويحاذيها سوق الغنم والماعز وسوق الجلة والحطب والحشان والتمر والخضار، وسوق الكسوة الخاصة بالمنسوجات الصوفية والوبرية وسوق المصنوعات المختلفة من السعف والأواني الخزفية المستوردة والقطران والخردوات، ويتم عرض هذه المبيعات عموما فوق الرمال مباشرة.[2] أما الحوانيت فهي مخصصة لبيع القماش والتوابل والعقاقير والصناعات التقليدية، إضافة إلى ذلك تنتشر المقاهي المفروشة بالرمال في نواحي السوق.[3]

كانت تقام السوق الأسبوعية للوادي يوم الجمعة، [4] فيقبل الناس من مختلف قرى سوف لبيع منتوجاتهم، واقتناء ما يحتاجونه من مواد، فيربطون حيواناتهم المركوبة بغوط " السردوك "، ثم يباشرون عملية البيع والشراء والتي تتم عن طريق المقايضة، أو النقود التي كانت منتشرة بصفة محدودة .[5] ولم تكن تعرف السوق حيوية الحركة التجارية إلا في غضون ساعتين أو ثلاث في الفترة الصباحية، ومثلها تقريبا بعد الظهر، وهي الساعات التي يرجع فيها الأشخاص من عملهم بالغواطين، فيتجهون إلى بيع خضرواتهم وشراء ما يلزمهم، أو يقضون بعض أوقاتهم في المقاهي، إذ كانت هذه السوق مركزا لربط المواعيد وقضاء الحاجات وتلقي الأخبار[6] المهمة لأنها المركز الإعلامي الهام في ذلك الزمن.

وهناك أسواق أخرى اقل أهمية، ومنها سوق قمار الذي يقام يوم الخميس، وسوق كوينين، [7] وتباع فيها الخضر والكسوة بالخصوص، وتختلف أوقات إقامة أسواق اللباس (الكسوة) في المناطق الثلاثة(الوادي – قمار - كوينين) حتى يستطيع التجار حضور سوقين على الأقل في نفس الأسبوع.[8]

---

1 - لقاء مع السيدين احمد خراز – البشير احمدي يوم 13 / 07 / 1998.

2 - لقاء مع السادة الطاهر باقي 2000/08/09. احمد خراز – البشير احمدي 1998/07/13.

3 - كراس تقاييد البيوع المؤجلة – مكتبة سالمي مصباح المنزلية. حي لعشاش. الوادي.

4 - C. Cauvet – p 85.

5 - محمد العربى الزبيري – المرجع السابق. ص65.

6 - Ahmed Nadjah. op. cit p 94.

7 - C. Cauvet – Notes. p 95.

8 - Ahmed Nadjah. op. cit p 95.

2.السلع الهامة في سوق وادي سوف:

كانت ســـوق مدينة وادي ســـوف تشـــهد حركة تجارية هامة، وتعتبـــــر منطلقا للقوافل في عملية الاستيراد والتصدير بأنواع السلع التجارية المتنوعة ومنها:

- **التمور:** في فصل الخريف ينطلق موسم جني التمور في كامل المنطقة فيباع التمر في السوق المحلية للسكان من أهل الجهة وغيرهم من التجار الذين يقبلون بقوافلهم من الشمال، وتختلف أسعاره حسب الظروف في كل عام.[1] فنوع " دقلة نور " بصفة خاصة معدّ للتصديـــر نحو الشمال والخارج وخاصة فرنســـا، [2] ويقدر التمر " بالحمل " والذي يشـحن على الجمال في أكياس تدعى الواحدة " غرارة "، وبلغ ثمن الغرارة الواحدة 6 فرنك في ســـنة 1897[3]. وبلغ حمل " دقلة نور " 2 فرنك عام 1885.[4] أما نوع " الغرس " فلا يستهلك منه في المنطقة سوى 12 % والباقي يباع خارجيا فيصدّر إلى الشمال بالخصوص من أجل الربح الجيد. ولما كان " الغرس" هو الغذاء الأساسي فان السكان يحققون اكتفاءهم الذاتـــي باستيـــراده بأثمان مقبولة من وادي ريغ.[5] وخاصة عندما يكون الموسم صعبا، والضرائب على التمور باهضة تصل في بعض الأحيان إلى 30 فرنكا، فإن أهل سوف يطلبون من أقاربهم في وادي ريغ أن يـرسلوا لهم " أحمالا " من التمر من اجل مؤونة السنة.[6]

وقد وصل سعر الحمل من الغرس إلى 6 دورو سنة 1899.[7] أما التمور الاخرى التي يستهلك معظمها محليا كفواكه، فان الزائد يصدر إلى التل فيباع بأثمان اقل من دقلة نور بثلاث مرات.[8]

- **الحبوب:** وكانت تســـتورد من الشـــمال بواســـطة القوافل، وتتم المقايضـــة مع التمر (الغرس) أو المنسـوجات، [9] وإذا كان الموسـم صـعبا فالقمح يبدل عادة بكيل مضـاعف من تمر الغرس. وكان القمح

---

1 - par s l Blachere -**Rapport mensuel Aout**- – Debila le 12 septembre 1883 – chez Sarl El-wouroud . Taghzout. El-oued

2 - Ahmed Nadjah. op – cit. p 60.

3 - رســـالة من العيد بن اتليلي بســـوف إلى أبـــــي الضـــياف بن احمد بالمغيـــــر في 25 فيفري 1897. مكتبة يحي بوضـــياف المنزلية. تاغزوت.

4 - وثيقة قسمة تـركة أحمد بن عبد اللّه التاغزوتـى. الصادرة عن محكمة وغلانة بوادي ريغ بتاريخ 27 أفريل 1885. مكتبة يحي بوضياف المنزلية. تاغزوت.

5 - C. Cauvet – culture. p 68.

6 - رسالة السيد أبـــي الضياف بن أحمد إلى مجموعة من تجار المغيـــر بتاريخ 4 جمادي الأولى 1315هـــ 1897-. مكتبة يحي بوضياف المنزلية. تاغزوت. الوادي.

7 - رسالة عمار بن ارحومة إلى أبـي الضياف بن أحمد في المغير بتاريخ 26 جانفي 1899. مكتبة يحي بوضياف المنزلية. تاغزوت.

8 - Ahmed Nadjah. op. cit p 60.

9 - André Voisin. op. cit. P 171.

يمثل في المناطق القريبة نصف مشتريات سوف، لأنه من الأغذية الأساسية في المنطقة، [1] وبلغ سعر الصاع من القمح 37 فرنكا، والشعير 15 فرنكا عام 1883. [2]

- **الزيت والدهان**: والنوع المفضل في سوف هو زيت الزيتون، واستهلاكه المتوسط في السنة بنسبة خمس لترات للشخص عند الحضر ونصف لتر عند البدو، [3] وكان سعره يختلف من وقت لآخر وقد وصل الكيل من الزيت عام 1899 إلى ريال. بينما بلغ الكيل الواحد من الدهان (السمن) فرنكين سنة 1899. [4]

- **السكر**: والمستهلك منه في سوف هو السكر الشفاف البلوري العادي، [5] ويباع بالقوالب، وبلغ سعر قالبين عام 1896 عشرة فرنكات ونصف. [6]

- **الشاي والقهوة**: فالشاي يعتبر استهلاكه حديث في سوف ويرجع إلى أواخر القرن التاسع عشر، وانتشر في بادئ الأمر عند التجار منذ 1890، أما القهوة فكانت رائجة منذ زمن بعيد ولكن استهلاكها محدودا. [7]

ـ **اللحوم**: كان اللحم يباع في السوق من مختلف الأنواع وبلغ سعر الرطل عشرة صوردي من لحم الغنم أو الماعز أو الجمل سنة 1897. [8]

ـ **الصوف**: وكان يستخلص من الخرفان التي تربى بالمنطقة ولكنه لا يحقق الاكتفاء الذاتي[9]، فيستورد على شكل جزات من وادي ريغ [10]. وكانت صناعة البرنوس تستهلك كل الصوف بالمنطقة فيضطر صانعو الزرابي إلى استيراد صوفهم من الجزائر الشمالية. [11]

---

1 - C I. Bataillon – **le souf étude de géographie humaine**. institut de recherches Sahariennes. Université d'Alger M 2. P 98.

2 - Rapport mensuel-. Aout. op. cit.

3 - André Voisin. op. cit. P 171.

4 - رسالة السيد عمار بن ارحومة إلى ابي الضياف بن أحمد. مصدر سابق.

5 - André Voisin. op. cit. P 172.

6 - رسالة الجموعي بن بلقاسم إلى أبي الضياف بن أحمد في 13 أفريل 1896. مكتبة يحي بوضياف، تاغزوت.

7 - Bataillon. op. cit. P 99.

8 - رسالة سعد بن أحمد بن كلكامي إلى السيد أبي الضياف بن أحمد يوم 25 فيفري 1897.

9 - C. Cauvet – Notes. P 83.

10 - رسالة أبي الضياف بن أحمد إلى أهل المغير 1315هـ 1897-. المصدر السابق.

11 - André Voisin. op. cit. P 174.

ـ **الكتان والحريـــر:** فالكتان يباع على شكل حزم ويتم التبادل بـــيـــن سوف ووادي ريغ بهذه المادة، لصناعة المنسوجات المختلفة.[1]

أما الحريـــــر فكان يباع بالاوقية والرطل وله أنواع عديدة وأرقام مختلفة، وقد بلغ ســعر الرطل عام 1883 ما بين 18 إلى 19 ريال، وفي عام 1887 إلى 18 ريال.[2]

- **الحايك (الحولي):** ويباع في سوق كوينـيـن يوم الاثنـيـن، كما يـرسل تجار كوينـيـن بالحياك إلى ممثليـهم المستقرين في قسنطينة والجزائر وباتنة وغرداية وتقرت والجلفة وعيـن البـيـضاء وتونس، وكل الحريـر المستعمل في صناعة الحايك في كوينـيـن وورماس يجلب من تونس، ويوجد في كوينـيـن أربعة أو خمسة تجار كبار للحريـــر، وكل الحريـــر المجلوب ابـيـض اللون في ربط صغيـــرة تساعد الصناع أثناء النســـيج، وله أربعة أنواع. وفي أواخر القرن التاســع عشـــر بدأ الحايك ينخفض ثمنه لان أهل المنطقة يفضلون عليه ألبسة أخرى، كذلك المنافسة بسبب رواج صناعته في تونس وفرنسا.[3] وقد بلغ ثمنه في سوف سنة 1884 تسعة عشر ريالا للحولي الواحد.[4]

- **الزرابـي:** مشهورة في سوف، وهي معدة للتصديـــر، والزبائن الرئيسييـــن لها في المنطقة هم السواح وضباط الشؤون الأهلية.[5]

ـ **البـــرنوس والقندورة:** كانا يصدران بعشرات الآلاف إلى تونس، و قسـنطينة،[6] و باتنة،[7] و هما يمثلان النسبة الغالبة للمنسوجات السوفية التـــي تباع بكثـــرة في الأسواق المحلية الأسبوعية بالوادي وقمار.[8]

ـ **التبغ:** ويـــرتب بعد التمر في الاقتصاد السوفي الضعيف،[9] ولتميـــز نكهته صار الإقبال عليه خارج ســـوف، وأصـــبح القنطار يباع خلال العهد العثمانـــــي بما لا يقل عن 20 بوجو.[10] وفي عهد الايالة

---

1 - رسالة أحمد بن شنوف بالمغيـــر إلى أبـــي الضياف بن أحمد في سوف بتاريخ 29 جانفي 1900. موجودة بمكتبة يحي بوضياف المنزلية. تاغزوت. الوادي.

2 - كراس تقاييد البـيـوع المؤجلة. المصدر السابق.

3 - C. Lutaud. 1907-. Op. cit. P 58.

4 - كراس تقاييد البـيـوع المؤجلة. المصدر السابق.

5 - Industrie de Tapis. Op. Cit p1.

6 - André Voisin. op. cit. P 176.

7 - كراس تقاييد البـيـوع المؤجلة. المصدر السابق.

8 - André Voisin. op. cit. P176.

9 - Ahmed Nadjah. op. cit p 74.

10 - ناصر الدين سعيدونـي – العهد العثمانـي في الجزائر – ص58.

التونسية، خلال القرن التاسع عشر كانت الشحنة التي تزن 50 كلغ يتم مقايظتها بعشر قناطر من تمر الغرس أو 100 متر من القماش القطني أو 150 كلغ من الزيت أو 550 كلغ من القمح.

ـ الأواني الخزفية: وتستورد بكميات كبيرة من الجريد التونسي، ومنها القلال الكبيرة المخصصة لنقل الماء وحفظه، أو لحفظ التمور مثل " السبالة " الكبيرة وغيرها.

- **الجلة والحطب:** ويلتقطها البدو بالقرب من الآبار أو في طرق القوافل ويبيعونها في السوق بالغرارات أو الشواري[1] ويباع الحمل الواحد ما بين ثلاثة إلى[2] أربعة فرنكات، [3] وأما الحطب فهو يجمع كذلك من طرف البدو ويباع في السوق على شكل حمول. [4]

- **الحيوانات:** تباع يوم الجمعة في السوق، ومنها الجمال ويختلف ثمنها حسب عمرها وجثتها، ويتراوح ثمن الجمل ما بين 232 ريال عام، 1884 [5] إلى 75 فرنك للجمل، و175 فرنك للناقة عام 1885،[6] وبلغ الجمل الواحد عام 1894، 100 فرنك. [7] أما الماعز فبلغ ثمن الواحد 12 فرنك، والنعجة 14 فرنك عام 1896. [8]

- **الحشان:** لما كانت منطقة وادي سوف لا ينتج نخيلها صغار النخل (الفسائل) إلا في غضون عشرات السنين، مما جعلها تستورد الحشان من المناطق المماثلة لها ويحبذون الحشان المجلوب من الواحات المالحة بوادي ريغ وورقلة لأنهم وجدوها تنمو وتزدهر جيدا في رمال سوف، ويتم الجلب من تقرت حشان الدقلة والغرس ومن ورقلة النهوش المختلفة مثل تافزوين وعلي وراشد وتكرمست وتمرجرت ودقلة آشي وليتيم، وتجلب أعداد قليلة من الجريد التونسي منها تفرزايت والقصبي وبسر حلو، حيث يسافر "الفلاحة " إلى هذه الأسواق ويقتنون بأنفسهم ما يروقهم من أنواع. [9]

---

1 -. C. Cauvet – Notes. P 83. André Voisin. op. cit. P149-159.

2 - C. Cauvet – Culture. p 43.

3 - أبو القاسم سعد الله " مهمة موتيلانسكي في سوف لدراسة اللهجة الغدامسية سنة 1903 " في **مجلة الثقافة**. الجزائر. مارس. أفريل 1995. العدد 107 – 108. ص104.

4 - Bataillon. op. cit. P 98.

5 - عقد بيع جملين كتبه سعد بن فرج بن البحري 2 ربيع الثاني 1302هـ 1884م. موجود في مكتبة يحي ابوالضياف المنزلية. تاغزوت. الوادي.

6 - وثيقة قسمة تركة أحمد بن عبد الله التاغزوتي. المصدر السابق.

7 - رسالة عثمان بن بلقاسم بن اهويدي إلى أبي الضياف بن أحمد في 5 شعبان 1312هـ 1894- موجودة في مكتبة يحي بوضياف المنزلية بتاغزوت.

8 - رسالة من بن علي حم إلى أبي الضياف بن أحمد بتاريخ 1896. موجودة بمكتبة يحي بوضياف المنزلية. تاغزوت.

9 - C. Cauvet – Culture. p 36 -37.

ـ **الخضر والفواكه:** وتباع في أسواق سوف المحلية من اجل الاستهلاك اليومي.[1] وكان مردود هذه المواد قليلا، يحقق الاكتفاء الذاتي فقط. واهم المنتوجات البقلية المعاشية هي الدلاع والبطيخ والقرع والباذنجان والبصل واللفت والجزر والطماطم والفلفل وغيرها.[2]

وهكذا كانت السوق خلال القرن التاسع عشر مركزا حيويا تجلب إليه البضائع المختلفة من أجل الاستهلاك المحلي أو إعادة بيعها في الأسواق الخارجية.

ب) طرق المواصلات التجارية بين وادي سوف والأسواق المحلية والخارجية:

تتعدد طرق المواصلات وتتشابك خطوطها، وتكثر تفرعاتها، وتستغل لأغراض مختلفة من طرف التجار والمهاجرين والبدو الرحل، والمسافرين من سكان سوف، والوافدين من المناطق المجاورة. وبعد دخول الفرنسيين للجهة اهتموا بهذه الطرق من حيث استغلالها أو تبديلها أو تطويرها، وإحداث تغيرات في مسالكها من إشارات ومرافق تعين السالكين لها أو تراقب تحركاتهم في إطار التحكم الاستعماري، وخاصة في الفضاء الجنوبي الرابط بين سوف وبلاد الجريد التونسية وغدامس الليبية والهقار بل ابعد من ذلك إلى بلاد السودان.

ويمكننا أن نميز نوعين من الطرق الخاصة بوادي سوف خلال القرن التاسع عشر، الأولى تكون فيها سوف منطقة عبور للقوافل الآتية من الشمال أو الشرق أو الجنوب، والثانية تكون منطلقا للقوافل إلى تلك الجهات:

أولا: وادي سوف منطقة عبور القوافل:

- طريق نفطة وغدامس عبر وادي سوف:

يبدأ هذا الطريق من تقرت ثم يتجه نحو الشمال ليمر بمحطة الفيض ببلاد الزاب،[3] فينضم إلى القافلة تجار بسكرة، ثم يتجه الطريق نحو الجنوب الشرقي ليصل إلى كوينين بوادي سوف ومنها يأخذ اتجاهين أساسيين أحدهما شمالا نحو مدينة نفطة مباشرة، وثانيهما نحو الجنوب إلى سوق غدامس الليبية مرورا بمنطقة البير الجديد على الحدود التونسية التي تعتبر مفترق الطريق بين الجهتين.[4]

---

1 - C. Lutaud. 1907-. Op. cit. P92.

2 - Ahmed Nadjah. op. cit p 79.

3 - ويذهب اليها عن طريق سيدي عقبة وعين الناقة.

4 - محمد العربى الزبيري – المرجع السابق. ص156.

- طريق من سكيكدة إلى السودان[1] وغدامس مرورا بسوف:

يبدأ هذا الطريق من سكيكدة ويتجه نحو قسنطينة وباتنة وبسكرة وتقرت إلى الهقار ومنها إلى تمبكتو ببلاد السودان، ولهذا الطريق فرع يبدأ من بسكرة ويتجه إلى وادي سوف ومنها تواصل القوفل طريقها نحو غدامس أو غات ببلاد السودان.[2]

ثانيا: الطرق الرابطة بين سوف والبلدان المتعامل معها:

كانت وادي سوف على صلة بالأسواق التي تربطها معها علاقات تجارية، وذلك عبر مجموعة من السبل والمسالك التي يمكن تحديدها فيما يلي:

ـ طريق وادي سوف تقرت: ويمر من تقرت إلى الطيبات القبلية القريبة من تقرت والمتوغلة في الرمال، وقد شيد الفرنسيون بها عدة أبراج و " قمايـر " وحفروا الآبار وتجنبوا كثيرا من الكثبان العالية، ويستمر الطريق إلى بئـر المقيتلة وبئـر مويت فرجان وبئـر مويت القايد وورماس ومنه يصل إلى كوينين وأخيرا إلى الوادي.[3]

ـــ طريق وادي سوف بسكرة: وكان الطريق الرسمي الذي تسلكه القوافل الدورية، والطوابير العسكرية الفرنسية التي تقدم إلى المنطقة لتعويض الحامية العسكرية، ويمر عبر وادي ريغ وتقرت خصوصا، وتبلغ المسافة ستة عشر يوما من الزمن، فالقافلة الشهرية التي تخرج من بسكرة يوم 07 في الشهر الميلادي تصل إلى مركز بيرو عرب بالدبيلة يوم 22 في نفس الشهر، وفي غضون ذلك يتم استغلال يومين للراحة هما اليوم السادس واليوم الحادي عشر، حيث يتم قطع المسافة بين بسكرة وتقرت في إحدى عشر يوما، ويكون السير حسنا نسبيا لوفرة الواحات والموارد المائية، بينما الأيام الخمسة الباقية التي تستغرقها القوافل بين تقرت والدبيلة تكون شاقة بسبب كثرة الكثبان الرملية وندرة المساكن والموارد المائية. ونتيجة لهذه المصاعب فكر الفرنسيون في اتخاذ طريق آخر عبر شط ملغيغ انطلاقا من بلدة سيدي عون إلى غاية برج الشقة، ومن محاسن هذا الطريق أن القوافل تقضي به سبعة أو ثمانية أيام على الأكثر عوضا عن ستة عشر يوما، كما ينتشر[4] به نبات الدرين والخشب بكميات كافية، ويتخلص المسافرون من مشاق الكثبان الرملية المتواجدة في طريق تقرت.[5]

---

1 - **بلاد السودان:** المقصود بها يومئذ أقطار مالي والنيجر وشمال نيجيريا.

2 - يحي بوعزيز – ثورات الجزائر – ص271 – 272.

3 - C. Cauvet – Notes. p 77.

Isabelle Eberhardt – **Mes journaliers** – par Rêne. Luis Doyon. Edition d'Aujourd'hui. Paris. 1985. p p 64 – 66.

4 - D. Escard. op. cit p 45- 46.

5 - D. Escard. op. cit p 45- 46.

إن سكان سوف يتخذون هذا الطريق تقريبا ولكن من جهة قمار، ويصلوا بسكرة في غضون ستة أو سبعة أيام.[1] فينطلقون من بسكرة إلى الشقة ثم المغير مرورا بالحمراية إلى سيف المنادي ومنها إلى قرى سوف القريبة وهي قمار وتاغزوت ثم كوينين وأخيرا الوادي.[2]

وقد اعتمد الفرنسيون هذا الطريق، وفي أواخر القرن التاسع عشر كانت قوافلهم تنطلق من الوادي نحو كوينين ثم تاغزوت وقمار مرورا ببير بوشحمة إلى سيف المنادي ثم شط بوجلّود ثم شط ملغيغ قاطعة الحمراية ثم إلى الشقة وأخيرا بسكرة.[3]

.**طريق وادي سوف خنشلة**: يبدأ الانطلاق من الدبيلة إلى بير العرب ثم بير النازية، ومويت التاجر، وعقلة الباجة ثم زريبة حامد وخنقة سيدي ناجي وزريبة الوادي وعين الناقة ثم بسكرة وأخيرا خنشلة.[4]

ـ **طريق وادي سوف تبسة**: وتمر ببرج الحاج قدور وبير العرف وشوشة الحمّ وبير العسلوجي وواحات نقرين،[5] ومنها تنطلق إلى تبسة، والجدير بالذكر أن الطريق بين الدبيلة ونقرين خارج طرق الاتصال الطبيعية فالمنطقة رملية صحراوية لا توجد بها خيمة واحدة، وإنما ينمو بها نبات الدرين

1 - Ibid. p 45.

2 - قصيدة الشيخ إبراهيم العوامر من الشعر الشعبي التى جسد فيها مراحل هذا الطريق وهي بتاريخ 1902.

3 - Isabelle Eberhardt. Op. Cit. P p 128 – 131.

4 - C. Cauvet – Notes. p 79.

5 - Ibid. p 80.

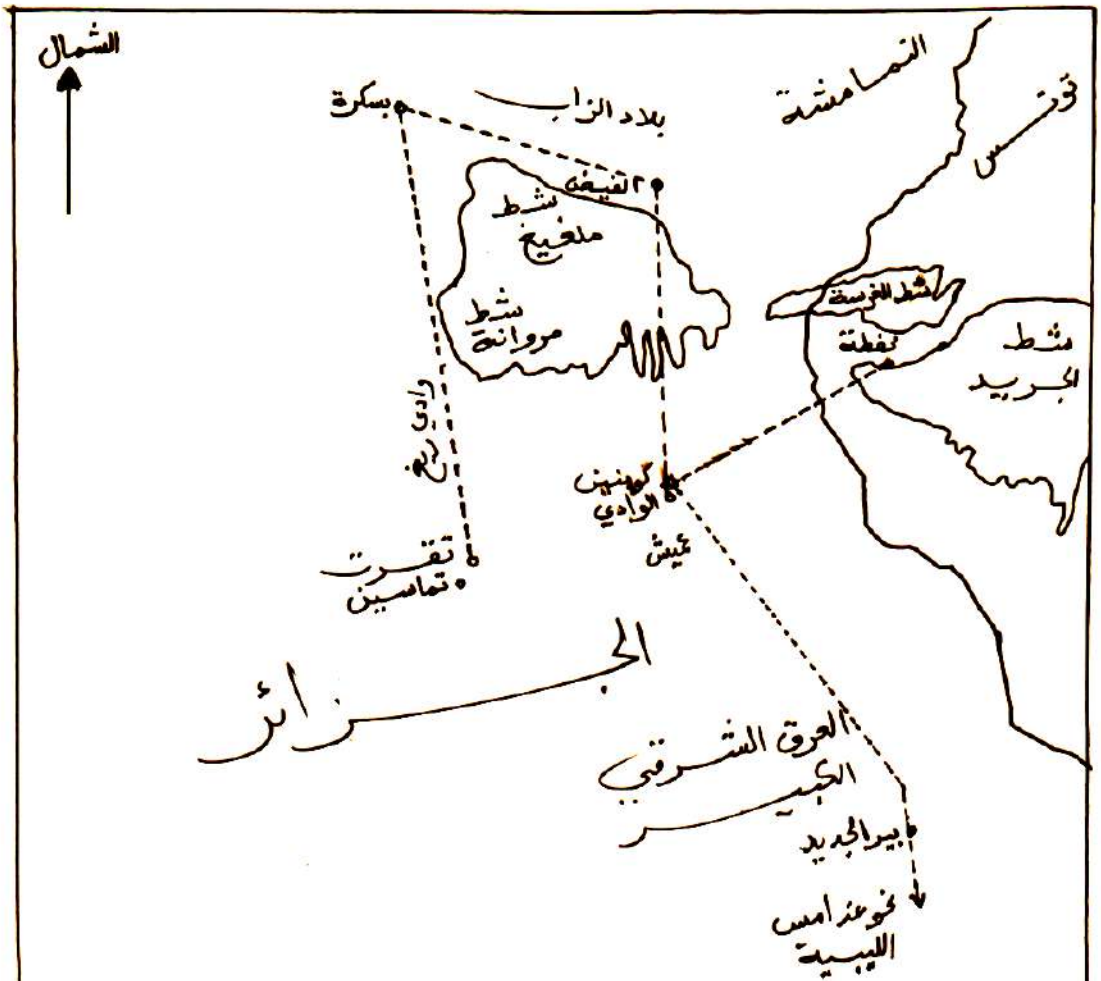

المقياس : 1/ 2500 000

- موقع بلد تجاري
- - - - طريق القوافل التجارية

المراجع :

1) الزبيري : التجارة الخارجية . ص 160 .
2) Conte de Togeur .
3) Andre Voisin . P : 49 Bis

خريطة وادي سوف منطقة عبور القوافل التجارية

بكثافة إضافة إلى انتشار الأفاعي بكثرة.[1]

- **الطرق من سوف نحو بلاد الجريد:** ومنها طريق قفصة ونفطة الذي يبدأ من مدينة الوادي ثم يسير شمالا نحو محطة قمار حيث ينقسم، فيخرج منه فرع يتجه مباشرة إلى مدينة نفطة ويواصل الأصل نحو الشمال الشرقي إلى قرية فرن، [2] حيث ينضمّ إلى القافلة تجار الزيبان، وبعد ذلك يميل أكثر إلى الشرق ليقف في مدينة قفصة.

وإذا كانت المسافة بين الوادي وقفصة لا تتطلب السير أكثر من ثلاثة أيام عادية، فان الذهاب إلى قفصة عبر هذا الطريق يستلزم أكثر من خمسة أيام، والطريق سهل عموما وفيه كثير من المياه.[3]

وينطلق طريق آخر من الوادي إلى البهيمة ثم الدبيلة ومنها إلى بير الحاج قدور ويتصل بطريق تبسة السابق الذكر، لكن يتجه فرع منه نحو الشرق إلى بير العادل حيث البرج، ثم بير شوشة لليهودي قرب الحدود التونسية، وقد شُيد به برج الأمير ويستمر الطريق نحو نفطة وتوزر.

ونحو الشرق تتجه الطريق نحو قبلي مقر قيادة إقليم نفزاوة، أو نحو الواحات الأخرى لهذه المنطقة، ومنها تواصل القوافل طريقها نحو قابس.[4]

أما الطرق الأخرى التي يسلكها الأهالي في تنقلاتهم وأسفارهم، فهي قريبة من الطريق السابق، وتنطلق من توزر إلى نفطة والذراع واميه السلطان وبير العسلي وبير الخيمة والخوازم والبرج وبير بوخيال وعرق لحويذق، والعظل وبوشبرية ثم الدبيلة والبهيمة وأخيرا الوادي.[5]

- **الطريق من وادي سوف نحو غدامس:**

يبدأ هذا الطريق من الوادي ويتجه نحو بير الجديد وبير الصف وموبت عيسى، [6] ثم إلى بير الغرافة، الذي تم انجازه من طرف الفرنسيين عام 1890، [7] فالمرحلة الأولى من السفر وتتراوح ما بين 135 وحتى 160 كلم تكون سهلة العبور، بينما المرحلة الثانية التي تستغرق ما بين 360 إلى 390 كلم، فهي قليلة المياه وصعبة المسالك، وتستغرق من بير الصف حتى غدامس نحو خمسة أو ستة أيام،

---

1 - D. Escard. op. cit p 49.

2 - **فرن:** تقع ما بين الوادي وتبسة.

3 - محمد العربى الزبيري – المرجع السابق. ص154.

4 - C. Cauvet – Notes. p 80.

5 - قصيدة من الشعر الشعبي للشاعر غادة بن صالح بن زغب المولود عام 1855، يجسد فيها معالم هذا الطريق. وهي ضمن ديوان مخطوط للشاعر. جمعه الأستاذ أحمد زغب، ويوجد في حوزته.

6 - Capitaine Roger leselle – **les noirs du Souf** – Supplément au bulletin de liaison Saharien –S D. p 08.

7 - C. Cauvet – Note. p 81. C. Roger leselle. op. Cit. p 27.

المراجع المعتمدة في انجاز الخريطة:

① الأطلس العالمي - ص16

② - Carte Géographique de l'Armée en 1928
- C. Cauvet - Notes - op. cit pp: 79 - 80

③ محمد العربي الزبيري - التجارة الخارجية للشرق الجزائري ص160
Isabelle Eberhardt - Mes journaliers pp: 64 - 66 ④

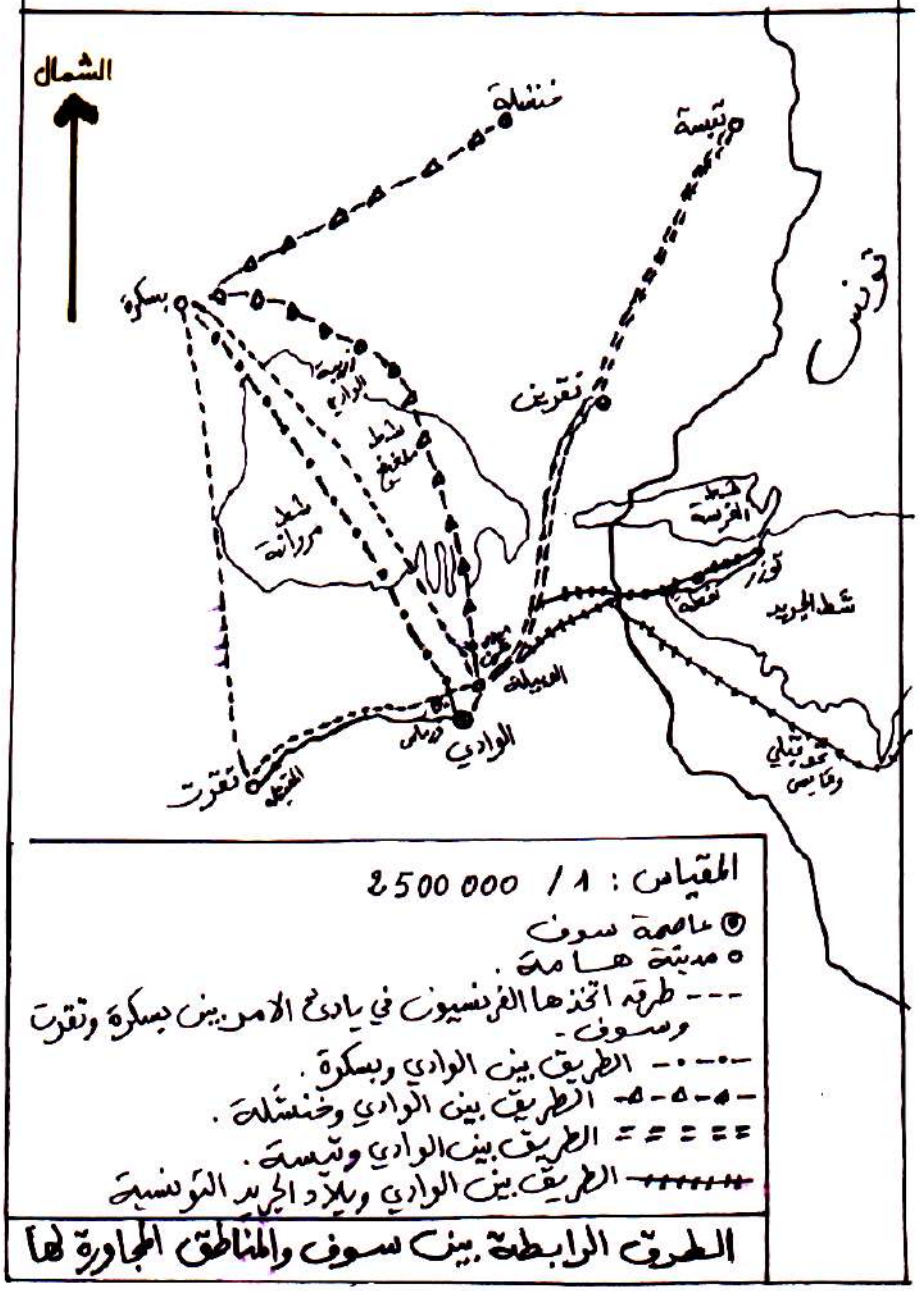

المقياس: 1/ 2500000

⊙ عاصمة سوف
○ مدينة هامة.
--- طرق اتخذها الفرنسيون في بادئ الأمر بين بسكرة وتقرت وسوف.
-·-·- الطريق بين الوادي وبسكرة.
-·-·-·- الطريق بين الوادي وخنشلة.
= = = = الطريق بين الوادي وتبسة.
+++++ الطريق بين الوادي وبلاد الجريد التونسية

الطرق الرابطة بين سوف والمناطق المجاورة لها

وعند الوصول إلى مشارف غدامس، يتم الدخول إليها من منطقة تونـيــن وفيــها زاوية سيدي معابد القديمة.[1]

- طريق وادي سوف إلى غات:[2]

ينطلق هذا الطريق مباشرة من وادي سوف متجها نحو الجنوب متوغلا في الصحراء عبــر العــرق الشرقي الكبــيــر حتـى يصل إلى غات، ومنها تسيــر القافلة نحو الجنوب إلى كانو[3]، وإلى تمبكتو[4] عبــر محطات عديدة.[5]

ومما سبق ذكره يتضــح أن طرق المواصلات الرابطة بــيــن وادي سوف وغيــرها امتازت بالحيوية والنشــاط، والتعدد، وفي بعض الأحيان في اتجاه واحد، وذلك راجع لســهولة الطرق التـــي يســلكها الفرنسيون في تنقلاتهم، ولو كانت طويلة، بــيــنما يفضل الأهالي المسافات القصيــرة ولو كانت صعبة الاجتياز، لأنهم تعودوا على مشاق السفر وطبيعة الصحراء.

ج) المظاهر العامة للتجارة الخارجية:

كان الأشخاص يتنقلون في الصحراء بشكل جماعي من اجل التجارة بطريقتين:

أولهما: النجع أو القبــيــلة السيارة: التــي تتنقل بكاملها، وتكون حركتها بطيئة لأنها تضم العائلات بأطفالها ونسائها وشيوخها ويمكن للتجار أن يــرافقوهم، أو تكون القبــيــلة ذاتها تمارس هذه المهنة.[6] وكانت القبائل البدوية دائمة التنقل متجهة نحو سوف مقبلة من بلاد الجريد التونسية، [7] والنمامشة[8] أو التوارق الذين يستأذنون بالدخول وخاصة بعد استقرار الإدارة الفرنسية، فقد طلبت قبيلة التوارق (افوراس) الإذن بالدخول إلى سوف عام 1883 لممارسة التجارة وكانت تحتوي على خمسين خيمة.[9]

---

1 - C. Roger leselle. op. Cit. p 9. C. Cauvet – Notes. p 80.

2 - **غات:** واحة ليــبــيــة جنوب غرب فزان، وهي واقعة على الحدود الليــبــيــة الجزائرية ومتاخمة للتاسيلي، وهي سوق للتوارق ومركز تجاري هام يجتمع فيها التجار من مختلف أنحاء إفريقيا.

3 - **كانو:** مدينة في شمال نـيـجيـريا الحالية. وكانت من أكبر المدن السودانية و هي مشهورة بصنع الاقمشة القطنية والأحذية وتجارة الرقيق.

4 - **تمبكتو:** مدينة في مالي الحالية وهي عاصمة إمبراطورية سنغاي خلال القرنـين 15 – 16 م وكانت خلال القرن 19 مركزا تجاريا هاما.

5 - محمد العربـى الزبـيـري – المرجع السابق. ص164.

6 - نفسه. ص68.

7 - C. Lutaud. 1907-. Op. cit. P 60.

8 - ابـراهيم العوامر – المرجع السابق. ص251.

9 - s. l. Blachere - Rapport mensuel. 10 Octobre 1883.

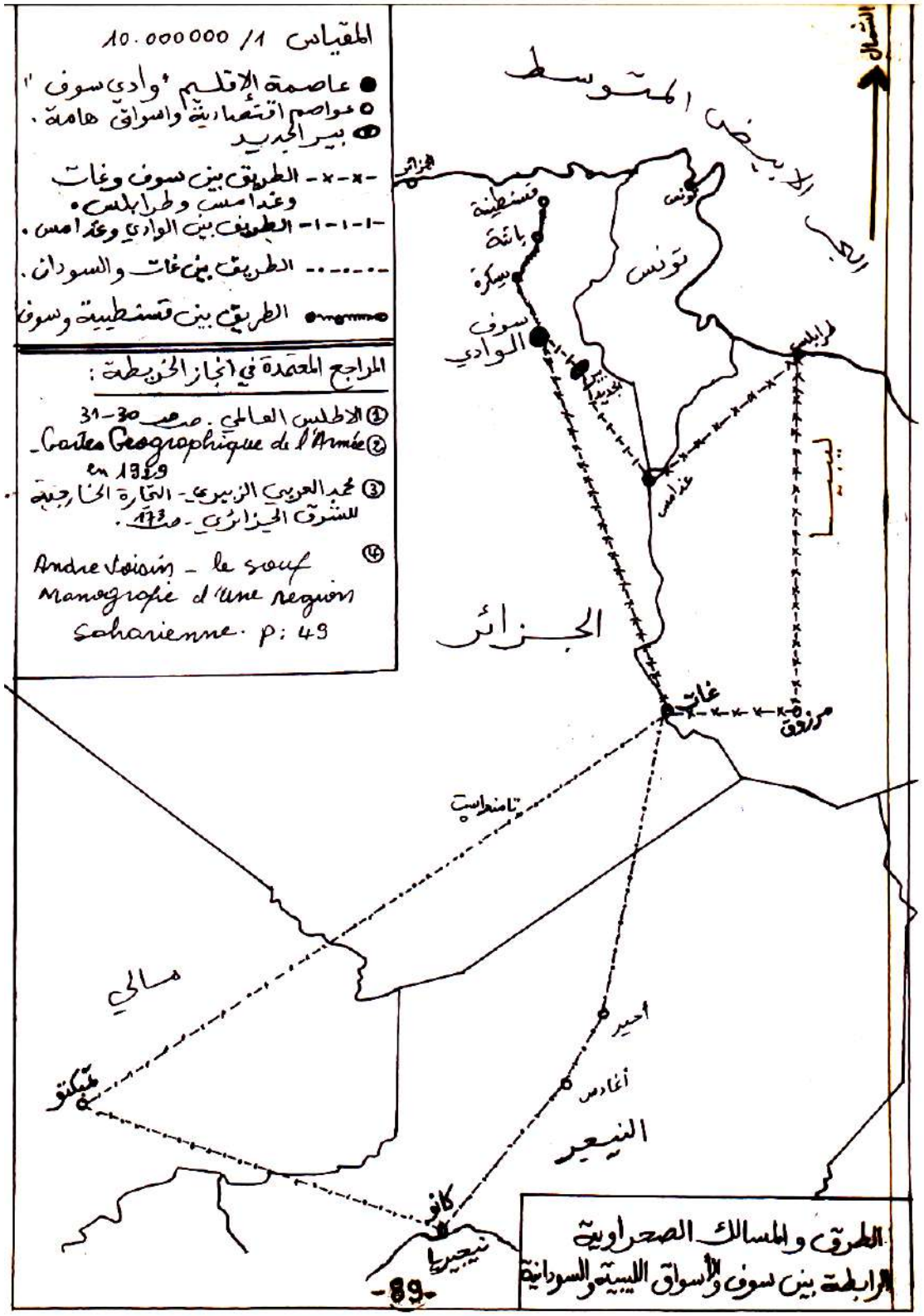
المقياس 1/ 10.000000
● عاصمة الإقليم "وادي سوف"
○ مواصم اقتصادية واسواق هامة.
● بير الجديد
-x-x- الطريق بين سوف وغات وغدامس وطرابلس.
-1-1-1- الطريق بين الوادي وغدامس.
---- الطريق بين غات والسودان.
الطريق بين قسنطينة وسوف
المراجع المعتمدة في انجاز الخريطة:
① الاطلس العالمي. صص 30-31
② Carte Geographique de l'Armée en 1959
③ محمد العربي الزبيري - التجارة الخارجية للشرق الجزائري - ص 173.
④ Andre Voisin - le souf Monographie d'une region Saharienne. p: 49
الشمال
البحر الابيض المتوسط
الجزائر
قسنطينة
باتنة
بسكرة
سوف الوادي
تونس
طرابلس
غدامس
غات
مرزوق
تامنراست
مالي
تمبكتو
أغادس
النيجر
كانو
نيجيريا
الطرق والمسالك الصحراوية الرابطة بين سوف والأسواق الليبية والسودانية
-89-

ثانيهما: القوافل التجارية: وكانت القافلة تضم مجموعة متعددة من التجار الذين لا تربط بينهم سوى مصلحة الطريق، [1] وكان بعض التجار الكبار في سوف يستأجرون عددا من البدو من قبائل الربايع والشعانبة الذين يحترفون التجارة ويقودون القوافل خصوصا إلى بلاد السودان وغدامس، [2] وبعض الأشخاص من الحضر من قرى (كوينين وتكسبت وقمار على الأقل) يقودون قوافلهم بأنفسهم ويتحملون متاعب الطريق ومشاق الصحراء وصعوباتها. [3]

وكان التجار يستعملون في قوافلهم الأحمرة المصرية لأنها قوية وتتحمل متاعب السفر، [4] ولا يستعملون الخيل لندرتها بالمنطقة من جهة، ولأنها لا تستطيع تحمل السفر المضني الطويل من جهة أخرى، بينما الوسيلة الأكثر استعمالا هي الإبل، لأنها تتحمل العطش لمدة تصل إلى ستة أيام دون شربها للماء في فصل الحرارة الشديد، وفي فصل الشتاء تكون الفترة أطول، وتتراوح ما بين خمسة عشر يوما إلى ثلاثة أسابيع ويتمثل غذاؤها في النباتات الصحراوية التي تصادفها في طريقها بيسر ودون عناء، مثل الدرين والحلفاء. [5] وكان التجار يشحنون فوق ظهور الإبل البضائع والسلع في غرائر من الوبر تربط بإحكام، [6] وتسمى الشحنة الواحدة (حمل)، ويختلف حجمه بحسب قوة الجمال، فالصغير يحمل 80 كلغ، والكبير لا تقل حمولته عن 250 كلغ، [7] ويختلف عدد الجمال الذي تتكون منه القافلة من العشرات إلى المئات ويرجع ذلك إلى مقدرة التجار وإمكانياتهم المادية. [8]

وكانت القافلة تسير بالمراحل، والمرحلة الواحدة هي المسافة التي تقطعها القافلة في اليوم الواحد وتتراوح ما بين 35 إلى 40 كلم، [9] وسبب هذا الاختلاف هو الظروف المناخية والطوبوغرافية للطريق التي تسلكها القافلة، لأنها تسير من 14 إلى 15 ساعة في اليوم بدون توقف وبسرعة متوسطها 40 كلم

1 - محمد العربى الزبيري – المرجع السابق. ص68.

2 - C. Roger leselle. op. Cit. p 7.

3 - Bataillon. op. cit. P 98.

4 - محمد العربى الزبيري – المرجع السابق. ص68.

5 - D. Escard. op. cit p 43.

6 - C. Roger leselle. op. Cit. p 12.

7 - إسماعيل العربي – **الصحراء الكبري وشواطئها** – المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. 1983. ص59.

8 - فندلين سلوصر – **قسنطينة أيام أحمد باي 1832 – 1837-** – ترجمة وتقديم د. أبو العيد دودو. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر. 1980. ص102.

9 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق. ص37.

في اليوم، [1] فتستغرق ثلاث مراحل من الوادي إلى تقرت، وأربع إلى نفطة، وخمس مراحل إلى بسكرة ومثلها من وادي سوف إلى بودخان ونقرين وافركان، وسبعة عشر مرحلة تقريبا إلى واحات غدامس. [2]

وكان وقت خروج هذه القوافل غير محدود ويخضع لظروف التجار واستعداداتهم وتتم رحلاتهم في كل فصول السنة بدون استثناء، [3] لكن بعض القوافل وخاصة العابرة لمنطقة وادي سوف والآتية من أماكن بعيدة مثل قوافل قسنطينة وغيرها، فإنها تفضل أن تبدأ رحلاتها في مطلع فصل الشتاء حيث الحرارة والطقس ملائمان بالصحراء.

وكانت تتعرض هذه القوافل في طريق سيرها لعدة مخاطر وصعوبات منها:

أولا: هجمات قطاع الطرق واللصوص من البدو الرحل، والطوارق، [4] وقلما يخلو مرعى أو بئر أو قافلة عابرة من مهاجمة هذه الجماعات التي تجوب الصحراء في هذا العصر، وقد تحدثت التقارير الفرنسية العسكرية عن حوادث مختلفة في عدة شهور متقاربة لهؤلاء الطوارق في نواحي وادي سوف خلال عام 1883، ففي 9 أوت هاجمت مجموعة من الطوارق يمتطون ظهر خمسة عشر مهريا، هؤلاء التجار في مكان يدعى غرد رومات واستولوا على أربعين جملا. [5] وفي 10 نوفمبر هاجمت مجموعة من الطوارق تتكون من خمسين رجلا عددا من الجمال في نواحي غدامس، والجديد في الأمر أن أحد كبار الطوارق الغدامسية تتبع الغزاة بمجموعة من طوارق وهجرس. [6]

وكانت هذه الغزوات تصل إلى المرازيق بتونس مثل التي حدثت في اكتوبر 1883 واستولت على سبعة جمال في المرازيق في جنوب نفزاوة التونسية، وقتلت أربع رعاة وجرحت اثنين وقطعت أرجل ثلاثة آخرين. [7] كما كانت المنطقة الممتدة من بلاد الجريد إلى النمامشة مجالا لغزوات اللصوص والعصابات من قبائل الحنانشة والهمامة والشنانفة والطوارق وسالمية وبني يعقوب. [8]

---

1 - إسماعيل العربي– المرجع السابق. ص59.

2 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق. ص37.

3 - C. Roger leselle. op. Cit. p 12.

4 - يحي بوعزيز – " **طرق القوافل والاسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الاوربيون خلال القرن التاسع عشر** " مدونة بعنوان "تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر" في – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. معهد البحوث والدراسات. بغداد. 1984. ص132.

5 - s. l. Blachere - Rapport mensuel. Aout. Op. cit

6 - s. l. Blachere - **Rapport mensuel. 10 Novembre au 10Decembre. 1883** – Bureau Arabe . Debila. El-oued. Archive Sarl: Wouroud. El-oued

7 - s. l. Blachere - Rapport mensuel. 10 Octobre 1883.

8 - محمد الساسي معامير – **مشاهداتى في الجزائر** – مطبعة العرب بتونس. 1949. ص17.

ووقعت غارات على الحدود بين وادي سوف وتونس في عام 1853، حيث أغار الهمامة على ابل قبيلة طرود السوفية، ورد هؤلاء بالإغارة على قافلة الهمامة التجارية ومات أربعة أفراد من الطرفين.[1]

ومن جهة النمامشة كذلك، مثلما وقع من أولاد عبيد ومعاركهم مع السوافة في مكان يدعى " عقلة خضـــراء "، مما دفع قياد لعشـــاش والمصـــاعبة إلى طلب التدخل من الســـلطات الفرنســـية لمعاقبة المعتدين وإبعادهم عن الجهات المتاخمة لسوف حتى لا يقع منهم الاعتداء مرة أخرى.[2]

وبعض الأخبار الرائجة بالمنطقة والتـــي يتناقلها الشـــيوخ الكبار عن آبائهم وأجدادهم تزعم أن الاستعمار اتبع سياسة فرق تسد وشجع عمليات (الجياشة) واللصوصية والإغارة على القبائل القريبة من سوف في كل من ليبيا وتونس، فتمد فرنسا بعضا من أهل سوف ممن يحترفون هذا العمل بالسلاح والجمال وزاد الطريق، وكل ما يغنمه هذا اللص فهو له، فيتم الســطو على القوافل والمراعي والقبائل في خيامها.[3] فتضـطر بعض القوافل إلى اسـتئجار مسـلحيـــن للدفاع عنها وحمايتـــها من بعض القبائل وخاصة في الصحراء الإفريقية حيث يقوم الطوارق بهذه المهمة مقابل إتاوات معينة.[4]

ثانـــيـــا: الظروف المناخية القاسية المتمثلة في الجفاف وحرارة الصيف بالخصوص وقلة المياه، مما يحتم على القوافل العابـرة من غدامس وحتـى بـيـر الصف لمدة تسعة أيام تقريـبا، وهي صحراء رملية بدون ماء، إلا ما تحمله القرب فوق ظهور الإبل، وعندما تصادف القافلة ريح الشهيلي الحارة تتسبب في عطش القافلة بـــرجالها وحيواناتها، وتجعل المســتقبل خطرا. وهو الموت المحتم، وهذا ما جعل بعض المناطق في الطريق بين سوف وغدامس تسمى بأسماء حوادث وقعت بسبب العطش، فنجد مثلا مكانا يدعى " قبور الخدم " و " غرد الوصيف "، [5] لموت العبيد مع أفراد القوافل التي تحملهم جميعا، وأهل سوف القدامى يتحدثون عن قافلة أولاد قداد وهي عائلة من قبيلة الربايع جلبت مجموعة من العبيد من غدامس عددهم إحدى عشر زنجيا، وأصحاب القافلة من أولاد قداد عددهم ثمانـــية رجال، كلهم ماتوا عطشا قبل وصولهم إلى مورد الماء، فأطلق على المكان اسم " زمالة قداد ".[6]

---

1 - بشيـــر قاسم يوشع – **وثائق تجارية تاريخية اجتماعية 1228 – 1310هـــ**. منشورات مركز دراسة جهاد الليبـــيـــين ضد الغزو الايطالي. ط 2. غدامس. 1982. ص78.

2 - رسالة موجهة إلى الحاكم الفرنسي بالوادي من طرف قايد لعشاش بن موسى محمد. وقايد المصاعبة الحاج مسعود بن بدادي بتاريخ 22 مارس 1895. الوثيقة محفوظة بمديرية المجاهدين بالوادي.

3 - لقاء مع السيد أحمد خراز 1996/11/17. ومع السيد محمد بيكي 2000/08/12 بالوادي.

4 - إسماعيل العربـي – المرجع السابق. ص49.

5 - **الغرد:** جمعها " غرود " وهي الكثبان الرملية. **الوصيف:** هو العبد.

6 - C. Roger leselle. op. Cit. p p 12 – 14.

ثالثا: الكثبان الرملية المنتشـرة في العرق الشـرقي والمحيطة بسـوف من كل النواحي، كانت صـعبة الاجتيـاز، إذ يتحتم على الرجال تسلق الكثبان ذات الرمال الرخوة التـي تعرقل حركة السيـر وتؤخرها بسـبب غوص نصـف السـاق في الرمال، وخاصـة في الطريق بـيـن سـوف وتقرت، وفي الجنوب نحو اغدامس، أما ما بـيـن سوف وحوض الشـطوط في الطريق نحو الزاب فيوجد سـهل رملي فسـيح مليء بنباتات الدرين والطرفاء فيستحيل المرور دون دليل.[1]

دليل القافلة: كان الدليل ضـروريا لكل قافلة تجوب أطراف الصحراء في فضـاءاتها الرملية الجرداء، فيتطلب الأمر وجود دليل أو أكثر حتى تبلغ القافلة غايتها بيسر،[2] ويعتمد هؤلاء الادلاء على سليقتهم، ومعرفتهم الجيدة بالمنطقة، أو يستعينون بآثار مسيـر القوافل وبعر جمالها، فأهل الجهة متمرسون في التعرف على" الجرة "،[3] وطبـيـعة الأرض ومكوناتها، إضافة إلى علامـات وقرائـن أخرى ذات طابـع فلكي مثـل اتجاهات الرياح، وقد سجلوا ذلك في حكمهم وأمثالهم الشعبـيـة، فهم يقولون عن الرياح " بحري العشا والعشية ما تامنه من شهيلية "[4] وأما الريح الغربـيـة ودوامها في الليل فيقولون "الغربـي يبات ويعشـي لبنات ".[5] كما يعتمدون على حركة الشـمس بالنهار والقمر والنجوم بالليل، كغيـرهم من بدو الصحراء،[6] وقد سجل التراث ذلك " إذا بان المرزم[7] هز قشك واعزم " أما عن القمر فقالوا عن منازل الهلال " بوليلتـيـن يعشي وبوثلاثة يمشي وبوربعة يمشي الماشي وين ماشي "[8] أما نجم بلهادي الشمالي الذي يهتدي به الرحل فيقولون " ياللي عندك بالهادي وين غادي " وهو نجم ثابت فيقولون " يجعلك كي بالهادي لا تجـي لا تمشي غادي ".[9] وإذا كان كل ذلك ميسـرا لأهل سـوف وأهل الصحراء القريبة منها، فإن ذلك صعب عند الاوروبـيـين والعسكريـين الفرنسيـين وجنود الصبايحية، ورغم أن هؤلاء من الأهالي فهم غرباء عن المنطقة يجهلون خصائصها الطبـيـعية ومسالكها، فلا يمكنهم التنقل بقوافلهم وطوابـيـرهم العسكرية أو التموينـيـة إلا وفق علامات ونقاط اشارية، شرعت الهندسة العسكرية

---

1 - D. Escard. op. cit p p 45 - 46.

2 - محمد العربـي الزبـيري – المرجع السابق. ص68.

3 - C. Cauvet – Notes. p 76.

4 - بن علي محمد الصالح – **1500 مثل وحكمة شعبـية من وادي سوف** – دار الشهاب. ط 1. باتنة. 1998. ص19.

5 - نفسه. ص53.

6 - كما ورد في القرآن الكريم " **وعلامات وبالنجم هم يهتدون** " الآية 16 سورة النحل.

7 - **المرزم:** اسم أحد النجوم.

8 - بن علي محمد الصالح – المرجع السابق. ص ص14 - 21.

9 - نفسه. ص ص92 – 93.

الفرنسية في انجازها بداية من عام 1884، [1] وقد أجبرت السلطات الفرنسية العسكرية الأهالي ودفعتهم إلى أعمال السخرة، واستخدمت الإبل في عمل " الحلاس "[2].

واهم العلامات التي أقامتها الهندسة العسكرية الفرنسية هي:

ـ القمايـر: وهي أهرامات قوية بنيت بتركيم جذور النباتات الصحراوية أو بالجبس والحجارة، وحدد مكانها بطريقة تجعلها واضحة يمكن رؤية الواحدة بعد الأخرى.

ـ الأبـراج: وكانت تدعى " خان القوافل " وشيدت في طريق القوافل الفرنسية المتنقلة، ومكانها حدد تقريبا في محطات الراحة، وهي بناءات صغيرة، و تعطيها قبابها ميزة خاصة، وتحتوي على مسكن الحارس المكلف بحراسة الآبار المتقاربة، ويفتح هذا البرج للمسافرين وخصوصا الضباط العسكريين والموظفين، ويخضع كل ذلك لنظام محدد. [3]

ـ الآبار: كانت الصحراء خلال القرن التاسع عشر تحتوي على آبار قليلة، بحيث يسير المرء ما بين ست إلى سبع ساعات دون أن يجد ما يطفئ به عطشه، [4] ففي الطريق من سيدي عون إلى الشقة وهي طريق تؤدي إلى بلاد الزاب، لا يمكن للمسافر أن يقابل مسكنا أو موردا مائيا لمدة سبعة أيام، وفي طريق تقرت في غضون يومين، [5] وفي طريق غدامس حوالي ستة أيام تعتمد فيها القافلة على الماء المحمول على القرب، لذلك وضع الفرنسيون كل قواهم وبذلوا مجهودات كبيرة، إذ عملوا على إصلاح وتحسين وصيانة نقاط المياه الموجودة وخاصة القديمة منها مثل بير صنونة، وموبت ربايع، وبير لعمى، وبير بوسماحة، وموبت الرباح، ودقلة سيدي عون، وبير الصف، وتم انجاز آبار جديدة منها بير الغرافة سنة 1890. [6] واستمرت أعمال انجاز الآبار، وبناء الأبراج، وتشييد القمايـر، والغرض من ذلك ذو أبعاد كثيرة منها:

1. تأمين القوافل والطوابير العسكرية وحمايتها من أخطار الطريق الطبيعية . [7]

---

1 - D. Escard. op. cit p 46.

2 - **الحلاس:** هو أخذ الإبل عنوة من السكان ليحمل عليها الفرنسيون إلى الصحراء الحديد والخشب والمؤونة التي يحتاجها عمال بناء الآبار أو الابـراج وسمي عام 1900 " عام لحلاس " أنظر – **Calendrier Coutumier - Employé dans le Souf et basé sur les faits marqués de l'année** Voir Direction de Moudjahidine d'El-oued.

3 - C. Cauvet – Notes. p 76. D. Escard. op. cit p 45.

4 - فندلين سلوصر – المرجع السابق. ص101.

5 - D. Escard. op. cit p 49.

6 - C. Roger leselle. op. Cit. p p 9 - 27.

7 - Pierre Fontaine – **Touggourt Capitale des Oisis** – Edition Devry. Paris. 1952. P 122.

2. تسهيل عملية سيـــر الجيوش الفرنسية حتـــى تستطيع أولا التحكم في الأهالي، ومحاولة بسط النفوذ الاستعماري في البلاد القريبة وخاصة تونس وليبيا، إذ كانت فرنسا تتنافس مع بريطانيا وغيرها على هذه البلدان. وقد اتخذت التجارة وســيلة للتجســس أو إثبات الوجود، فبذلت فرنســا محاولات تشجـــيعيـــة عديـــــدة لإحياء التجارة مع غدامس التـي ماتت بعد تحريم تجارة الرقيق، والغرض كان استعماريا قبل أن يكون اقتصاديا وهو التنافس مع بريطانيا على ليبيا.

3. توفير الراحة للمسافرين من التجار في مختلف الاتجاهات لأن السلطات الاستعمارية تستفيد من هذا التموين بمختلف المواد والسلع وخاصة النادرة منها الآتية من الصحراء الإفريقية .

4. إحكام المراقبة والتعرف على عمليات التهريب وخاصـة الأسـلحة التـــي تشـكل خطرا على القوات الغازية. فقد كانت التحركات مضـــبوطة ولا يمكن التنقل والســـفر من وادي ســـوف أو الدخول إليها وخاصة في أواخر القرن التاسع عشر إلا بعد أخذ الإذن من السلطات الاستعمارية، التي تمنح للمسافر "جواز السـفر"، [1] الذي يمكنه من التنقل بسـهولة، وقد يكون "تسـريح سـفر" يطلب فيه من السـلطات المدنية والعسكرية السماح لحامله بالتنقل ما بين الجزائر وتونس، [2] أو يكون تسريح للسفر من سوف إلى وادي ريغ لقضـاء حاجة تجارية[3] أو قضـائية وتمنح الرخصـة من مسـؤولي الأهالي القياد أو الشـيوخ المفوضين من السلطات العسكرية الفرنسية. [4]

د.المبادلات التجارية الخارجية:

اتسـمت وادي سـوف خلال القرن التاسـع عشـر بحركاتها التجارية ونشـاطها وحيويتها في عمليتـــي التصدير والاستيراد الواسعة والمرتبطة بالأسواق الإقليمية الدولية.

أولا: المبادلات التجارية الإقليمية:

وتتم مع ثلاثة أطراف أساسية هي النمامشة وبلاد الزاب ووادي ريغ.

1.تجارة وادي سوف مع النمامشة: كانت لوادي سوف علاقة تجارية مع خنشلة وتبسة بالخصوص، فتقبل القوافل إليها في فصـل الخريف محملة بالقمح والشـعيـــر، وتـــرجع مملوءة بالتمور عن طريق

---

1 - **Passeport à l'intérieur** donner à la nommé Ahmed el'Hadj Abdallah de Guemar par bureau arabe de Touggourt – le 29 Avril 1873. Voir Office du Tourisme de Guemar.

2 - **Permis de Voyage** – donner à la nommé Salah ben kalifa – par le chef de poste d'El-oued le 20 Mars 1885. Voir Office du Tourisme de Guemar.

3 - تسـريح كتبه علي بن أحمد بن خليفة للسـيدين إبـــراهيم وأخيه أحمد أبو الضـياف من عرش اولاد اسـعود بتاغزوت للسـفر إلى وادي ريغ لاستخلاص دينهم بتاريخ 27 سبتمبر 1883. وهو موجود في مكتبة يحي بوضياف المنزلية. تاغزوت.

4- تسريح من علي بن أحمد بن خليفة إلى أبوالضياف بن أحمد للسفر إلى التجارة نحو بسكرة بتاريخ 27 سبتمبـــر 1883. موجود في مكتبة يحي بوضياف المنزلية. تاغزوت.

المقايضـــة، (2 كلغ من التمر مقابل 1 كلغ من القمح)، كما أن قوافل ســـوف عندما تـــــرحل إلى بلاد النمامشـة محملة ببطاين تمر الغرس تـــرجع بالحبوب المختلفة الأنواع، [1] كما تصـدر سـوف إلى تبسـة الدخان[2] وريش النعام المجلوب من غدامس الذي يستعمله النمامشة للزينة في أفراحهم ومهرجاناتهم، إذ يزين الفرسان رؤوسهم، والجديـر بالذكر أن الإدارة الفرنسية في بداية استقرارها بالدبـيـلة في حدود 1883 كانت تستورد لحوم البقر للحامية العسكرية من تبسة إضافة إلى مواد أخرى.[3]

2- تجارة وادي سوف مع بلاد الزاب: كانت الحبوب تجلب من سهول الفيض ومناطق الزاب الأخرى، وهي القمح والشعيـر والحمص والفول، [4] والشمع الذي يستهلك جزء منه بالمنطقة، [5] ويصدر الآخر إلى غدامس، كما يجلب منها الحصـيـــــر،[6] وكان الفرنســيون يســتوردون لحم البقر والبطاطا والخمور ويحملونها فوق ظهور الإبل إلى مركزهم العسكري بالدبـــيـــلة في حدود 1883، وفي أثناء فصل الخريف والشتاء تتحرك قوافل السوافة نحو بسكرة محملة بالتمور، [7] وبطاين تمر الغرس، والتبغ والبـرانـيـس وأقمشة أخرى. [8]

- تجارة سوف مع وادي ريغ: كان أهل سوف يستوردون الملح من المغيـــر ونواحيها، ويختص في تجارته أولاد الســـايح، والصـــوف على شـــكل جزات، [9] والحشـــان، [10] والكتان والأقمشـــة وتمر العولة عند احتياجهم بسبب نقص التمر في سوف، وإرهاق الإدارة الفرنسية كاهل السكان الملاكين بالضرائب التي بلغت 30 فرنكا سنة 1897.

---

1 - André Voisin. op. cit. P 169. C. Cauvet – Notes. p 67.

2 - رسالة أبـي الضياف بن أحمد إلى مجموعة من تجار المغير بتاريخ 1315هـ. المرجع السابق.

3 - C. Roger leselle. op. Cit. p 26. D. Escard. op. cit p 44.

4 - محمد العربـى الزبـيـري – المرجع السابق. ص156.

5 - رســـالـة الجموعي بن بلقـاســم بـالمغيـــــر إلى أبـــــي الضـــيـاف بن أحمـد بتـاريخ 13 مـارس 1897. وهي محفوظـة في مكتبـة يحي بوضياف المنزلية بتاغزوت. الوادي.

6 - André Voisin. op. cit. P 169 – 177.

7 - D. Escard. op. cit p p 43 – 45.

8 - Cauvet – Culture. p 67. D. Escard. op. cit p 43.

9 - رسالة مبارك بن اتليلي بالمغيـــر إلى أبـــي الضياف بن أحمد في تاغزوت 22 ربـــيع الثانـــى 1315هـــ 1897 -. مكتبة يحي بوضياف المنزلية. تاغزوت. Andre Voisin. op. cit. P 171.

10 - Cauvet – Culture. p 37.

ويصدرون إليها الدخان (التبغ) والجلود والأقمشة المنسوجة، [1] والملابس الصوفية كالبرانيس، والحياك، وحولي الكتان الذي تتم صناعته في سوف حسب الطلب من سكان وادي ريغ، والزرابي والوبر وريش النعام.[2]

ثانيا: المبادلات التجارية الدولية:

1.تجارة وادي سوف مع بلاد الجريد التونسية:

بحكم الجوار وصلة المصاهرة بين وادي سوف وبلاد الجريد، صارت العلاقات التجارية دائمة ويومية، إذ كان تجار سوف يستوردون من الأسواق التونسية مجموعة كبيرة من المصنوعات التونسية والأوربية وأهمها البزازة والمواد العطرية والأقمشة الحريرية، والملابس القطنية البيضاء، والشاي، والقمح، وزيت الزيتون.[3] ويصدرون بعضه إلى غدامس، والسودان، [4] كما يستوردون السمن من المرازيق، والبرتقال، [5] والمصنوعات الخزفية والطينية، والاسلحة والكبريت، وكاغط الكتابة، والمجوهرات. وفي مقابل ذلك يصدرون إلى بلاد الجريد المنتوجات الفلاحية من مختلف أنواع التمور الممتازة، [6] وبطاين الغرس، والتبغ والتوابل التي يجلبونها من غدامس والمظلات المصنوعة من السعف والأقمشة الصوفية والحياك بكميات معتبرة. وكانت القوافل السوفية تتصل بمختلف مدن الجنوب التونسي وخاصة القريبة مثل نفطة وتوزر، التي بها سوق هامة وهي مدينة قابس البحرية، والمرازيق وقبلي وإقليم نفزاوة بصفة عامة. [7]

---

1 - رسالة أبي الضياف بن أحمد إلى أهل المغير سنة 1315هـ1897-. المرجع السابق.

2 - أنظر: ناصر الدين سعيدوني – العهد العثماني في الجزائر – المرجع السابق ص73. .3C. Lutaud. Op. cit. P 58
رسالة أبي الضياف بن أحمد إلى أهل المغير سنة 1315هـ1897-. المرجع السابق.

3 - المثل الشائع في سوف يقول " استني يا دجاجة حتى يجيك القمح من باجة " المثل الشايع في سوف حول الزيت " افعش يا راس حتى يجيك الزيت من قفصة".

4 - محمد العربى الزبيري – المرجع السابق. ص155. .C. Cauvet – Notes. p 86
Bataillon. op. cit. P 99. André Voisin. op. cit. P 169.

5 - رسالة من أبى قاسم بن المشري بسوف إلى السيد أبي الضياف بن أحمد. 16 شعبان 1311هـ- 1893-. مكتبة يحي بوضياف المنزلية. تاغزوت. صوت وادي سوف – المرجع السابق. ص29.

6 - بشير قاسم يوشع – المرجع السابق. ص78. .86 – Cauvet – Notes. p 85
محمد العربى الزبيري – المرجع السابق. ص155. 155. D. Escard. op. cit p 43

7 - محمد العربى الزبيري المرجع السابق. ص155. .86- C. Cauvet – Culture. p 67. . Cauvet – Notes - p p 80
C. Lutaud. 1907-. Op. cit. P58. D. Escard. op. cit p 43. Bataillon. op. cit. P 99.

2. تجارة وادي سوف مع غدامس الليبية:

كانت غدامس أهم مركز تجاري يقصده تجار سوف، لكونه أهم سوق في إفريقيا، تأتيه كل عام أكثر من3000 جمل من السودان وعين صالح وتمبكتو والهقار، ويتجمع في هذه السوق من المواد المتنوعة التي يتجه جزء هام منها إلى سوف بعد عملية التبادل التي تعتمد أساسا على المقايضة.

واهم صادرات سوف لهذه السوق هي: التمور وأنواعها دقلة نور والغرس وعسل النخيل، واللاقمي،[1] والدهان، وزيت الزيتون المجلوب من الايالة التونسية، والشمع المجلوب من بسكرة، والصوف، والجلود، والمصنوعات النسيجية كالحايك والقندورة الصوفية المصنوعة في قمار، والملح، والحيوانات مثل الخرفان والجمال التي تباع أو يتم مبادلتها بغيرها، والغزال والضباء وأشياء أخرى لها علاقة بالصيد عند البدو، [2] مثل النعام الذي يتواجد بكثرة في الصحراء بين سوف وغدامس، ويختص بعض الاشخاص في صيده وبيعه.[3] وفي نهاية القرن القرن التاسع عشر بدأت سوف تصدر التبغ على شكل أوراق. أما وارداتها من غدامس فهي الأعشاب الجافة العطرية، والذهب والعاج، وريش النعام، وحجر الشب وكربونات الصوديوم، وسرج المهاري، والجلود المختلفة وخاصة جلد الجاموس، وقرب السودان والاحمرة التارقية، والجمال التي يتم مبادلاتها بغيرها من السلع، والبخور والعسل والشمع والأقمشة السودانية، والحرير.[4]

3 .تجارة وادي سوف مع بلاد السودان:

كانت التجارة مع إفريقيا مزدهرة حتى النصف الأول من القرن التاسع عشر، وكانت القوافل كثيرا ما تحط رحالها في أكبر أسواق إفريقيا، تحمل إليها منتوجات الايالة الجزائرية ومصنوعاتها وبعض ما تستورده الجزائر من الخارج. وكانت مدينة غات أهم سوق في الايالة الطرابلسية، ولا تنعقد إلا مرة في السنة[5].

يجتمع فيها التجار من مصر وشمال إفريقيا والسودان، وكان تجار سوف يحملون إلى هذه السوق بعض المواد العطرية والجواهر والكاغظ والتوابل وغيرها من المنتوجات والمصنوعات الأوربية المستوردة، كما كانوا يحملون إليها الزيوت التونسية، والتمور بكميات كبيرة والأقمشة الصوفية مثل البرنوس والقندورة والحنابل وغيرها من الألبسة والأغطية. وكان سعر المتر الواحد من الأنسجة يتراوح

---

1 - **اللاقمي:** هو عصير النخيل، حلو المذاق، إذا تجاوز يومه يتغير طعمه ويتحول إلى خل والراجح انهم يصدرونه كخل.

2 - André Voisin. op. cit. P 169. C. Roger leselle. op. Cit. p 26.

3 - رحلة ابن الدين الاغواطي – ضمن أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر- ج 2. المرجع السابق. ص261.

4 - بشير قاسم يوشع، المرجع السابق. ص40. André Voisin. op. cit. P 169. C. Roger leselle. op. Cit. p26.

5 - محمد العربي الزبيري – المرجع السابق. ص ص161 – 180.

ما بـيـن فرنكيـن وأربعة فرنكات، وكذلك الأقمشة الحريـرية التونسية والأسلحة النارية المستوردة من فرنسا وانكلترا عن طريق السوق الحرة.[1]

أما الواردات فهي العبيد الأسود، والمجوهرات والتبر وأنياب الفيل والنعام، وجلد الفهود والنسور، والجلد الملون أو المصبوغ والأنسجة السودانـيـة،[2] والاحمرة المصرية، وكان بعض التجار يتقدمون من مدينة غات إلى مدينة مرزوق فيبـيـعون بضائعهم بأسعار أغلى ثم يواصلون سيـرهم إلى مدينة طرابلس حيث يشترون الجمال والغراير، ويعودون إلى البلاد عبر سوق غدامس.[3]

4. تجارة الرقيق مع جنوب الصحراء:

كان الرقيق منتشرا في إفريقيا متداولا في أسواقها خلال القرن التاسع عشر فقد كان أمراء السودان يتحاربون فيما بينهم، والأسرى من الجانبين هم العبيد يبيعونهم لقوافل شمال إفريقيا، وهناك طريقة أخرى لاصطياد العبيد تقوم بها الجماعات الصغيرة أو الأفراد، فيحملون ذلك للأمير الذي يشرف على البيع، ويأخذ نصف الثمن وفقا للعرف الجاري يومئذ، وكان سعر العبد في الأسواق الإفريقية يتراوح ما بـيـن 150 فرنك إلى 200 فرنك، وعندما يصل إلى الواحات الجزائرية يـرتفع ثمنه إلى 500 فرنك. وكان سكان وادي سوف يجلبون العبـيـد من مدينة غات ولا يجازفون على جلبـهم مباشرة من الأسواق الإفريقية لأن طول الطريق يعرضـهم لأخطار قاتلة كالجوع والعطش.[4] لكن ارتباطهم بغدامس لجلب العبـيـد كان أكثـر من سابقه، وتحتـرف عملية الجلب مجموعة من بدو قبائل الربايع والشعانبة وهم يعملون لصالح بعض التجار الكبار، فتتجهز القافلة بالسلع التي تمثل ثمن المقايضة للعبـيـد وغيـرها من سلع غدامس. وعند وصول القافلة إلى غدامس يتصل تجارها بأصدقائهم من الوسطاء، فيتجهون معهم إلى السوق حيث توجد حوانيت صغيرة للعبـيـد وتتم المقايضة، فيكون ثمن العبد الأسود القوي مقابل 15إلى 50 متـرا من النسيج أو قنطارا من التمر أو القمح أو الملح أو خمسة عشر علبة من التبغ، وبلغ سعره بالمال عام 1900 نحو 200 فرنك. وهذه الأسعار تخضع للعمر والقوة والجنس وحالة العبد. فالعبد الصغير من كلا الجنسين اغلى من الكبير لأنه يسهل تطويعه. وعندما تعزم القافلة على الرجوع تشحن السلع والمؤن في الغرايـر، ويـربط العبـيـد الصغار إلى القافلة فيمكنهم السيـر[5] على الأقدام،

1 - محمد العربـى الزبـيري – المرجع السابق. ص ص165 – 180.

2 - C. Cauvet – Note. p p 86 – 87.

3 - محمد العربـى الزبـيري – المرجع السابق. ص180.

4 - إسماعيل العربـي – المرجع السابق. ص341. محمد العربـى الزبـيري – المرجع السابق. ص ص168- 180.

5 - C. Roger leselle. op. Cit. p p 7 – 12.

وذلك يوفر بعض الجمال لحمل الأمتعة. وخلال الطريق الشاق تعاني القافلة من عدة أخطار حتى تصل إلى هدفها بصعوبة، ويتم بيع هؤلاء العبيد في سوف أو المناطق المجاورة لها.[1]

إن المعاناة التي أصابت السود في ربق العبودية، انعكست سلبا على الأوربيين سياسيا واجتماعيا ودفعتهم إلى تحريم هذه التجارة ودعوا إلى تحرير العبيد منذ القرن الثامن عشر.[2] فكان تحرير العبيد وإلغاء تجارة الرقيق ضربة قاضية أثرت على التجارة السوفية مع غدامس عموما. ففي عام 1890 صارت المعاملات لا تمثل إلا خمس ما كانت عليه عام 1850. واتجه تجار غدامس إلى أسواق أخرى تعوضهم عن سوق وادي سوف، لأن جلب السود صار ممنوعا بقرار من طرف الحكام الأتراك في غدامس منذ سبتمبر 1895.

وقد جعل رؤساء " ملحقة الوادي " من مهامهم الأساسية محاولة إعادة الحيوية إلى الاقتصاد السوفي عن طريق التجارة مع غدامس، بتسهيل مهام تجار القوافل، بإدخال تحسينات على الآبار الموجودة في الطريق بين وادي سوف وغدامس، أو حفر آبار جديدة منذ 1890 وأولها بير الغرافة. كما أقام الفرنسيون في عام 1891 وكيلا لهم في غدامس لتسهيل مهمة تجار سوف، ومن المحاولات كذلك تأسيس شركة في جويلية 1893 تضم عددا من تجار الوادي المرتبطين بنقابة ورقلة في تجارتهم مع السودان، وكان ممثل هذه النقابة بقسنطينة، ولكن هذه الشركة لم تنجح في مهامها واختفت من أول رحلة لها إلى غدامس، وقد جلبت حمولة من العاج في مارس 1895. وهكذا باءت كل المحاولات والتشجيعات بالفشل، وانقطعت التجارة تقريبا، ماعدا بعض البدو من الشعانبة والقطاطية من مركسن القريبة من غدامس، وكانوا يذهبون إلى غدامس لبيع جزء من غلة نخيلهم السنوية التي ينتجونها في ناحية عميش والعقلة.[3] ومن كل ما سبق ندرك الأهمية البالغة التي كانت تحظى بها " تجارة الرقيق " عند تجار سوف، وتكمن هذه الأهمية في تنشيط الحركة التجارية وفعاليتها مع غدامس وغات وإفريقيا جنوب الصحراء ومع بلاد السودان بصفة عامة.

وهكذا كانت مساهمة التجارة فعالة في إنعاش الحياة الاقتصادية، ورفع المستوى المعيشي للسكان، بجلب ضرورياتهم، وتصدير فائض تمورهم ومنسوجاتهم، وانعكس ذلك ايجابيا على حياتهم الاجتماعية.

---

1 - C. Roger leselle. op. Cit. p p 14.

2 - إسماعيل العربي – المرجع السابق. ص357.

3 - André Voisin. op. cit. P 169. C. Roger leselle. op. Cit. p 27 – 28.

4. قطاع الخدمات في وادي سوف خلال القرن التاسع عشر:

ارتبطت التجارة في المجتمع السوفي خلال القرن التاسع عشر، ارتباطا وثيقا بقطاع الخدمات، الذي تعددت مجالاته وتنوعت وسائله، وساهم بفعالية في تنشيط التجارة ورواجها في الأسواق المحلية والتجارية، وأبرز عناصره:

- **وسائل النقل:** وكانت تحظى بالاهتمام والرعاية المستمرة من طرف التجار، لأنها الركيزة الأساسية للتجارة الخارجية، وتمثلت في الحيوانات القوية التي تتحمل مشاق الطريق وصعوبات السفر وثقل الأحمال لعدة أيام، ومنها الاحمرة المصرية التي تمتاز بقوتها وقدرتها على مقاومة شدائد السفر[1] إضافة إلى سرعتها. لكن الإبل كانت الوسيلة الأساسية في التجارة[2] بسبب وفرتها بكثرة بالمنطقة، وتحملها لأعباء الطريق الصحراوي، وتأقلمها مع الأحوال الجوية، وهذا جعل القوافل تتكون منها بأعداد كبيرة.

- **فنادق التجار:** كان التجار خلال القرن التاسع عشر عند وصولهم بقوافلهم إلى وادي سوف، يقيمون بها عدة أيام يقضونها في بيع بضائعهم واقتناء ما يحتاجونه لمواصلة رحلتهم المقبلة، يتطلب منهم حينئذ البحث عن مكان يوفر لهم الراحة، فكانوا يقيمون في خانات خاصة تتواجد في السوق تدعى " الكوري "[3] وتحتوي على مرابض تربط فيها الحيوانات المختلفة، ويقدم لها أصحاب الخان كل الرعاية من علف وماء، وتحرس خلال مدة الإقامة. بينما يسكن أصحابها في محلات قريبة ذات شكل بسيط، وعند انتهاء مدة إقامتهم يدفعون أجرة سكنهم وثمن رعاية وسائل نقلهم.[4]

أما القبائل التجارية المتماسكة (النجع)، فلا تحتاج إلى مساكن تأوي إليها وإنما تكتفي برفع أعمدة خيامها في ظاهر المدينة وتكون على اتصال يومي بالسوق، إلى أن تنتهي مدة إقامتها.[5]

- **المعاملات المالية والعملات الرائجة في المجتمع:**

كانت المعاملات المالية في المجتمع السوفي خلال القرن التاسع عشر تتم بواسطة عدد من العملات المحلية الجزائرية والأجنبية، واهم العملات التي انتشرت في وادي سوف العملة المحمدية[6] التابعة لدولة الأمير عبد القادر، [7] والريال بوجو الجزائري لارتباط بايلك الشرق الجزائري بهذه الناحية،

---

1 - محمد العربى الزبيري – المرجع السابق. ص68.

2 - D. Escard. op. cit p 43

3 - مشتقة من كلمة إسطبل الفرنسية **Ecurie**

4 - كراس تقايد البيوع المؤجلة لسنة 1891. يوجد بمكتبة الزاوية الهبرية بقمار.

5 - L Blachere – Raport mensuel 10 Octobre 1883.

6 - ضُربت في المركز الصناعي بتاقدامت، انظر عبد الرحمان الجيلالي - **حول سكة الأمير عبد القادر الجزائري** – وزارة التربية الوطنية. إدارة الشؤون الثقافية. المتاحف الوطنية. الجزائر. 1966. ص ص8 – 9.

7 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق. ص230.

والريال التونسي بحكم روابط الجوار والعلاقات التجارية الميسرة، فأصبح هو العملة الرائجة بالجزائر الشرقية ومنها وادي سوف.[1]

وبعد الاحتلال الفرنسي للإقليم انتشرت العملة الفرنسية ممثلة في الدورو والفرنك والصوردي، وبينت الوثائق المحلية التي حصلت عليها أن الفرنك يعود استعماله إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وهو الزمن الذي بدأت فيه بوادر التوغل للسلطات الفرنسية.[2]

وما يمكن ملاحظته حول المعاملات المحلية والعملات السائدة في المجتمع السوفي خلال القرن التاسع عشر:

1. كانت العملة غير متوفرة عند كل الناس، وهذا ما دلت عليه عقود البيع ووصلات الديون المؤجلة والبيع بالتقسيط، وقد يعوض جزءا كبيرا من قيمة المال بحيوان مثل الجمل أو عقار مثل الحوش.[3]

2. عند دفع مبالغ مالية بواسطة البريد يستعمل الفرنك الفرنسي.[4]

3. تركز الأموال عند فئة محدودة ممثلة في كبار التجار، وطائفة اليهود، والقياد، وملاك النخيل، وعندما يكون التبادل بالمقايضة وتبادل السلع أو العقار ممكنا، فإنه يسهل على الطرفين المعاملة دون اللجوء إلى تسجيل مخلفات الديون المؤجلة.

4. رواج العملة الفرنسية إثر استقرار الإدارة الفرنسية منذ 1886، حيث صارت في متناول السكان، يتعاملون بها في بيع عقاراتهم[5] وأراضيهم الزراعية، [6] وحيواناتهم[7] وموادهم الغذائية[8] وملابسهم.[9]

---

1 - ناصر الدين سعيدوني – **النظام المالي في الجزائر في أواخر العهد العثماني 1792 – 1830 -** ط 2. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر 1985. ص ص194 – 198.

2 - وثيقة رقم 4465 لعام 1875. سجل محكمة قمار الشرعية. يوجد بمكتب التوثيق رزاق بعرة عبد المالك بالوادي.

3 - وثيقة بمحكمة قمار تحت رقم 1343 بتاريخ جانفي 1878. توجد عند السيد صالح فالح بالرقيبة.

4 - وثيقة بريدية بتاريخ 2 جانفي 1881 أرسل فيها أحمد بن أبى الضياف التاغزوتى 60 فرنكية إلى السيد أحمد بن الهبي القماري. توجد في مكتبة يحي بوضياف المنزلية بتاغزوت.

5 - عقد شراء منزل مسجل بمحكمة قمار الشرعية تحت رقم 278 بتاريخ 1893 بثمن 90 دورو. توجد عند صالح فالح.

6 - عقد بيع حصة نخيل مسجل بمحكمة الوادي الشرعية تحت رقم 637 بتاريخ 23 أفريل 1894 نقلتها يوم 2000/10/16 من السيد شيحاني حسين بالوادي. عقد بيع حصة نخيل بنفس المحكمة تحت رقم 280 بتاريخ 16 أوت 1895 بثمن 350فرنكية- يوجد بمركز التوثيق رزاق بعرة عبد المالك بالوادي.

7 - ر سالة عثمان بلقا سم بن اهويدي إلى ابى الضياف بن احمد. وثيقة سابقة فيها ثمن الجمل 100 فرنك. ور سالة من بن علي حم إلى أبي الضياف بتاريخ 1896. وثيقة سابقة فيها ثمن الماعز 12 فرنك والنعجة 14 فرنك.

8 - رسالة سعد بن أحمد بن كلكامي إلى أبي الضياف بتاريخ 1897. وثيقة سابقة فيها ثمن القمح والشعير والدهان والزيت واللحم بالدورو والفرنك والصوردي.

9 - رسالة الجموعي بن بلقاسم إلى ابي الضياف 1896. وثيقة سابقة فيها ثمن الشاش بالفرنك والصوردي.

5. تطلق الوثائق الأهلية على القيمة المالية اسم " ريال رواج سوف "[1] أو " صرف سوف" [2] وهي قيمة محددة من الفرنكات الفرنسية. [3]

وهكذا كانت وادي سـوف مجالا رحبا لتنوع وانتشـار العملات ولكن في النصـف الثانـي من القرن التاسع عشر صارت العملة الفرنسية هي الرائجة، ولم يمنع ذلك من انتشار النقود الأجنبـية وخاصة التونسية.

ومجمل القول أن النشـاط الاقتصـادي في منطقة وادي سـوف خلال القرن التاسـع عشـر، اسـتوعب مختلف القطاعات الاقتصادية، وساهم في العملية التنموية المحلية، باستغلال كل الثـروات المتاحة، والطاقات البشرية.

وكانت الزراعة أهم ميدان للعمل اليومي المتواصل في مختلف فصول السنة، وذلك مكّنها من توفير قدر هام وأساسي من غذاء السكان من التمور، والخضر والفواكه. كما أن تطور تقنـيـات الرعاية والصـيانة سـاهم في أتسـاع عملية غراسـة النخيل، وانتشـار الزراعة المعاشـية، وتطور الإنتاج الزراعي الذي كان سندا قويا للقطاع الصناعي، حيث جسد التكامل بتوفيـر المواد الأولية، وخاصة المشتقة من أجزاء النخلة، فضـلا عن مواد البناء المختلفة. كما تحقق الاكتفاء الذاتـي من المنسـوجات والألبسـة الأساسية الخاصة بالاستعمال الشخصي أو الموجهة للتجارة الخارجية. وكان للأسواق الأسبوعية دور في ضمان احتـيـاجات المستهلكين والتجار، ورغم المعاناة التـي كان يواجهها التجار عبـر الطرق والمسالك الصعبة، إلا أن حسن إدارة القوافل وتنظيمها جعل عمليات التصديـر والاستـيـراد فعالة في الأسواق الإقليمية والدولية، وكان تنوع العملات وانتشارها قد سهل التعامل بـيـن السكان في مختلف النواحي، مما جعل القطاع الاقتصادي مزدهرا، وترك الآثار الايجابية التي تجسدت في حياة السكان الاجتماعية.

---

1 - وثيقة بـيـع حصة نخيل بجر وزيتن بالريال رواج سوف تحت رقم 1526 سنة 1872. نسخة منقولة عن الأصل بمكتب التوثيق بالوادي توجد عند السيد احمد خراز – عقد شراء غوط بالريال رواج سوف بتايخ 18 مارس 1875 تحت رقم 120 ومستخرجة عن الأصل بمكتب التوثيق بالوادي. توجد عند السيد احمد خراز – عقد شراء بثمن 250 ريال رواج سوف عام 1881 تحت رقم 158 عند السيد صالح فالح بالرقيبة.

2 - وصل إثبات دفع مقدم من أبـي الضياف بن احمد إلى أبو بكر التجانـى 60 ريال صرف سوف ثمن قمح بدون تاريخ. مكتبة يحي بوضياف المنزلية بتاغزوت.

3 - الريال رواج سوف الواحد هو قيمة وليس عملة تساوي فرنك وخمسة صوردي أو 25 صوردي - لقاءات مع السادة: الطاهر باقي 2000/8/9 وعلي السعيدي 2000/8/16 واحمد خراز 2000/8/20.

الفصل الثالث

الأسس والعلاقات الاجتماعية للمجتمع السوفي خلال القرن التاسع عشر

1. بنية المجتمع السوفي

أ) القبائل الأساسية في المجتمع السوفي

ب) تقسيم السكان في المجتمع السوفي حسب نمط حياتهم

2. المستوى المعيشي والصحي للمجتمع السوفي

أ) المستوى المعيشي للمجتمع

ب) المستوى الصحي وتطوره في المجتمع السوفي

3. العادات والتقاليد في المجتمع السوفي

أ) العائلة السوفية ومظاهرها الاجتماعية

ب) الاعراف ومكانتها في المجتمع السوفي

ج) المنتديات والألعاب في المجتمع السوفي

د) المعتقدات الغيبية الخرافية

الأسس والعلاقات الاجتماعية للمجتمع السوفي خلال القرن التاسع عشر

لقد اتسمت الحياة الاقتصادية في وادي سوف خلال القرن التاسع عشر بالحيوية وانعكست نشاطاتها تجاريا على السكان بمختلف طبقاتهم الاجتماعية. فضلا عن تميز الحياة الاجتماعية بأسس متشابكة العناصر، ذات أواصر سكانية متعددة، وفئات اجتماعية متوازية، وأنماط معيشية مزدوجة، جعلت جزءا من السكان يتجه نحو الحياة البدوية في البساط الصحراوي الفسيح، بينما اختار القسم الثاني من السكان الحياة المستقرة في المدن والقرى المتعددة التي تزايدت بصفة مستمرة خلال هذا القرن بأكمله، حيث تحول جزء هام من البدو إلى الحياة الحضرية. وساد مختلف هذه الأوساط الاجتماعية مستوى معيشي متقارب، وحالة صحية طبيعية حسنة عموما.

أما العلاقات التي تربط بين فئات المجتمع، فأساسها الأول هو العائلة، وتتوسع إلى القبيلة، والعرش، ويؤلف بينها الود ويغلب عليها الانسجام لوجود " العرف " السائد الذي يلقى الاحترام والتقدير عند غالبية السكان، إلا أن السلوكات الاجتماعية لا تخلو من مظاهر سلبية تبرز من حين لآخر تخدش تماسك المجتمع وتزرع في أوصاله بذور الشقاق، وتولد الأحقاد، وتدفع إلى الكيد، والسبب يكمن في الممارسات البسيطة والعصبيات القبلية التي تتحرك، وتؤجج نارها بعض العادات والتقاليد البالية والخرافية التي يدير خيوطها بسطاء الفكر أو السحرة والمشعوذين أو أصحاب العصبية القبلية.

لكن أهم العوامل الصحية في المجتمع حينذاك انتشار روح المرح والسرور، والانشغال بالتسلية واللعب في الأوساط الصبيانية، وانشغال النساء، بالعمل الدؤوب المتواصل، واجتماع الرجال بالمنتديات المسائية القروية خارج البيوت للسمر ومعالجة الشؤون العامة التي تحتاج إلى تضامن وتعاون، وبهذا العمل اليومي الأصيل تنمو المودة بين أفراد المجتمع.

1. بنية المجتمع السوفي:

أ) القبائل الأساسية في المجتمع السوفي:

كان مجموع السكان في المجتمع السوفي ينتسبون إلى العنصر العربي[1] من قبائل هلال وسليم، وبالذات إلى طرود وعدوان. ويمكن أن نميز خلال القرن التاسع عشر أن المجتمع السوفي ينتمي إلى

1 - قديما سكن وادي سوف العنصر الأمازيغي، ولكنه استعرب، ومن العائلات ذات الاصول الأمازيغية، الستاتة والجلايصة والشعانبة وأولاد بوعافية. انظر: إبراهيم العوامر- المرجع السابق. ص ص289 – 323.

"عرشين كبيرين هما طرود وعدوان " [1] تطورت منهما التركيبة السكانية التالية:

- **عرش طرود:** [2] وقد توزع إلى قبيلتين هامتين عمّرتا مدينة الوادي وضواحيها وهما:

1 - الاعشاش: وهم ينحدرون من فرع من بني سليم، [3] وكانوا بدوًا هاجروا من الصحراء العربية حتى وصلوا إلى نفزاوة التونسية ثم هاجروا إلى سوف واستقروا بها، وهم يتفرعون إلى عدة فصائل وعمائر منها الأصلي والمنتسب وهم أولاد احمد، وأولاد جامع والفرجان والربايع. أما قبيلة القطاطية فهي الوحيدة التي قدمت في القرن التاسع عشر.

2 - المصاعبة: وهم من بني سليم، وصلوا إلى المنطقة في نفس الفترة مع أولاد جامع والفرجان، [4] ويرى بعض الكتاب أن " المصاعبة " تحمل اسماً بربريا يرجع إلى قبيلة " ماسوفة " القديمة، إلا أن مظاهر حياتهم جعلتهم عربا متمسكين بعروبتهم، ومن فصائلهم: العزازلة والشبابطة والقرافين. أما الشعانبة فقد قدم بعضهم في القرن التاسع عشر في حدود 1886 وهم العائلات المهاجرة من ورقلة من اولاد عمران. [5]

- **عرش عدوان:** [6] وكانت الزقم عامرة بهم. ثم اختلطوا مع قبائل أخرى وارتبطوا مع بعض القرى المجاورة لهم وتشكل منهم حينئذ ما يلي:

1 ــ أولاد اسعود: وأصلهم الأول يرجع إلى سكان تاغزوت الذين وقع لهم خلاف مع احمد الشابي التونسي، [7] وصل إلى حد العداوة والاقتتال، فلما طلبوا المشورة من رجل شريف يسكن بينهم يدعى "الشيخ اسعود " أمرهم بتوحيد كلمتهم وتسليم قيادتهم إليه قائلا لهم: " ... وأنا سيدكم وانتم أولادي ...ولا تسموا أحدا إلا باسم اولاد اسعود"، فشاع الخبر في كافة القبائل وسارت الركبان بهذا الاسم. " [8]

---

1 - بوجمعة هيشور – **اثنولوجية وادي سوف: " ملامح تاريخية لعرشي عدوان وطرود "** – في جريدة النصر. الجزائر. الخميس 28 أفريل 1994. العدد 6349. ص11.

2 - وينتمي في الأصل إلى " طرود بن فهم بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وقد وصل إلى سوف في حدود القرن الرابع عشر الميلادي. انظر إبراهيم العوامر، ص270. André Voisin. Op cit. P 54.

3 - إبراهيم العوامر. ص307.

4 - André Voisin. op. cit. p57.

5 - C. Cauvet – Notes –p63.

6 - وينتمي في الأصل إلى " عدوان بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان " وقدموا إلى سوف بعد الفتح الإسلامي للمنطقة. انظر إبراهيم العوامر – المرجع السابق. ص270.

7 - ورد في تاريخ العدواني ص ص315 – 318 أن أحمد الشابي يدعى رئيس البادية التونسية، وقد قاتل بجيشه أولاد اسعود وهزم في حدود القرن التاسع الهجري. أنظر: علي الشابي – **مصادر جديدة لدراسة تاريخ الشابية** – في - المجلة التاريخية المغربية. يناير 1979. ص57.

8 - محمد العدواني – المرجع السابق – ص317.

وانضمت إليهم قرى أخرى، فصار اولاد اسعود هم سكان القصور في الحضر في قرى كوينين وتاغزوت والزقم وورماس وسيدي عون. وكل سكان هذه القرى خليط من عرشي طرود وعدوان.

2 - سكان القرى والمدن الباقية: وهي قمار والدبيلة والبهيمة إضافة إلى عميش والرقيبة ووادي العلندة، وغيرها من التجمعات السكانية التي ظهرت خلال هذا القرن، وهي مزيج من عرشي عدوان وطرود.[1]

والجدير بالقول أن كثيرا من العائلات تتباهى بانتسابها إلى الأشراف الذين ينتهي نسبهم إلى فاطمة الزهراء بنت النبي صلى الله عليه وسلم، وتجد ذلك في شجرات النسب التي تملكها العائلات في القرن التاسع عشر وفي نهاية نسب كل عائلة السياق الموالي "...بن ادريس الاصغر بن ادريس الاكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن فاطمة الزهراء بنت سيدنا محمد ومولانا صلى الله عليه وسلم " ومن هؤلاء نجد مثلا اولاد العوامر والمراغنية،[2] واولاد انصير، وسيدي عبد الله، واولاد الشريف،[3] ومعظم هذه العائلات لها ارتباط وثيق بالتصوف وتلعب أدوارا هامة في توجيه السكان وكسب ودهم.

وقد تطورت العلاقات بين بعض القرى إلى عداوات وحروب طاحنة، مثلما وقع بين الزقم والبهيمة، وبين تاغزوت وقمار،[4] ولم تتوقف هذه الخصومات إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وترجع آخر واقعة بين قمار وتاغزوت إلى عام 1871.[5]

أما التطور السكاني للمجتمع السوفي فهو يفتقد إلى إحصائيات في النصف الأول من القرن التاسع عشر بسبب غياب السلطة الفعلية التي تهتم بهذا الجانب، ووجد ذلك في النصف الثاني بظهور إحصائيات تقريبية قام بها المستعمر فور اتصاله بالجهة من اجل خدمة أغراضه الاستعمارية ومنها:

1) معرفة الإمكانيات البشرية، ودراسة طبيعة السكان، وتقدير إمكانياتهم لأن الصراع يقتضي تحديد هذه الإمكانيات حتى يمكن وضع الخطط الاستعمارية لمواجهتها.

2) حصر الإمكانيات البشرية من اجل الاستفادة منها واستثمار بعض عناصرها لخدمة الاستعمار عسكريا واقتصاديا.

3) التحكم في التحركات التي يقوم بها السكان في هذه الصحراء الواسعة.

---

1 - C. Cauvet – Notes –. p64.

2 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق. ص287.

3 - نفسه. ص ص308 – 326.

4 - ابراهيم العوامر – **الصروف في تاريخ سوف** - مخ- ج 2. ص44. نسخة أحمد مفتاح.

5 - André Voisin. op. cit. p57.

والجدول التالي يوضح هذا التطور في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

السنة	عدد السكان	الكثافة السكانية
1854	18000 ساكن [1]	0,21 ن / كلم2
1887	21018 ساكن [2]	0,25 ن / كلم2
1900	32700 ساكن [3]	0,39 ن / كلم2

جدول تطور سكان وادي سوف وكثافتهم ما بين 1854 – 1900

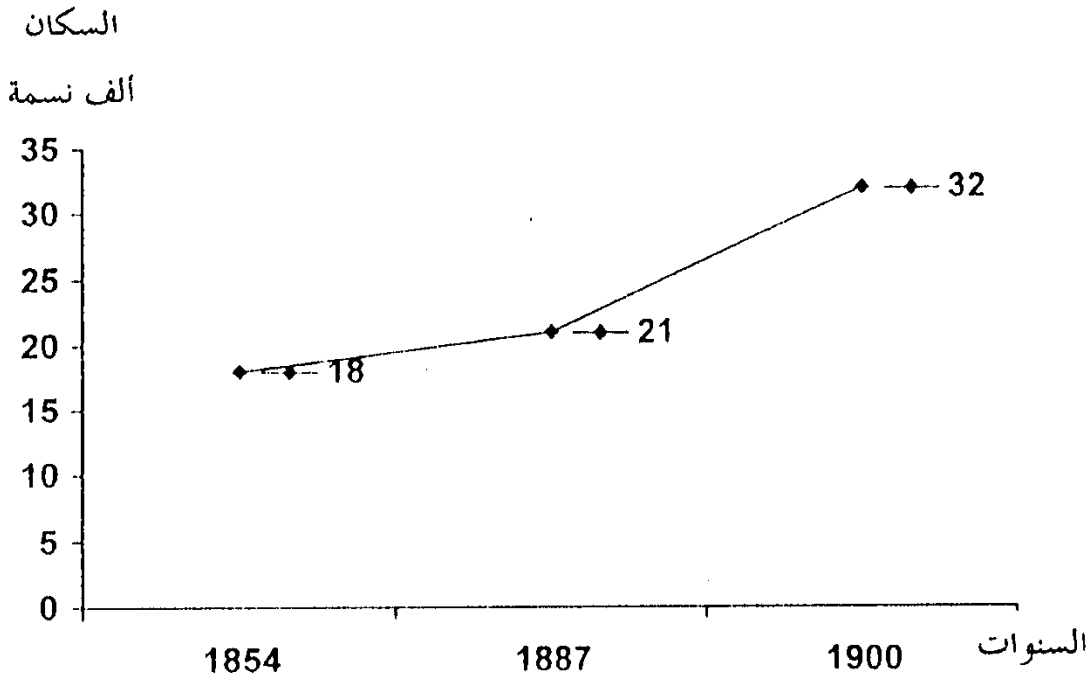

رسم بياني لتطور سكان وادي سوف ما بين 1854 – 1900

1 - André Voisin. op. cit. p 62.

2 - ريمون فيرون – الصحراء الكبرى – ص104. .C. Cauvet – Notes – p64

3 - C. Cauvet – Notes – op. cit. p64.

يتضح خلال هذه الحقبة الزمنية أن التطور السكاني مر بمرحلتين هامتين:

المرحلة الأولى (1854 – 1887):

وهي فتـــرة حرجة تم فيـــها الصـراع من أجل الوجود الاسـتعماري، والمحاولات الأولية للاسـتقرار بالمنطقة ودام ذلك حوالي 33 ســنة، حيث ازداد عدد الســكان عموما بحوالي 3000 نســمة، بمعدل 90 نسـمة في السـنة، وهي زيادة بطيئة، ويـــرجع ذلك للظروف السـياسـية المضـطربة وانتشـار المقاومات الشعبـيـــة المسلحة، إضافة إلى الأحوال الاجتماعية الصعبة كانتشار الامراض والأوبئة وفتكها الشديد بالسكان.

المرحلة الثانية (1887 – 1900):

وتميـزت بحدوث تحول اجتماعـي، وتطور سياسـي انعكس على المجتمع ايجابـيـا، فخلال 13 سنة فقط ازداد عدد الســكان بأربعة أضــعاف تقريبا مقارنة مع المرحلة الســابقة، حيث بلغت الزيادة نحو 11682 نسمة بمعدل 898 نسمة في السنة الواحدة وهذا الارتفاع يخضع لعدة عوامل:

1) حالة الهدوء، والاستقرار السياسي للمجتمع بعد إحكام الإدارة الاستعمارية قبضتها على السكان.

2) تحسن المستوى المعيشي من حيث الغذاء واللباس والمسكن.

3) ازدياد العناية بالجانب الصــحي بمقاومة الأوبئة ومعالجة الأمراض الفتاكة. لكن العدد يبقى محدودا قياسا بالمساحة الشاسعة التي تتربع عليها منطقة وادي سوف (82800 كلم2) لأن الكثافة السكانية بقيت بسيطة ومحصورة في القرى والمدن ولكنها بصفة عامة لا تصل إلى 1ن / كلم2.

ب) تقسيم السكان في المجتمع السوفي حسب نمط حياتهم:

تتسم مظاهر الحياة السكانيـة في المجتمع السوفي خلال القرن التاسع عشر بمظهرين أساسيـين، البدو الرحل في أعماق الصحراء المحيطة بسوف، والحضر المستقرون في الواحات المزروعة بأشـــجار النخيل في المزارع والغواطين.

1 . **البدو الرحل:**

البداوة هي الحياة الأصلية للقبائل العربيـة التي سكنت في أزمنة متفاوتة، وكانت الأسفار والتنقلات تطوحها بحثا عن المأوى الهادئ، والموطن المناســب للســكن والاســتقرار ولو مؤقتا. والبدو في المجتمع الســوفي هم قبائل من الرحل يتنقلون في مناطق محددة، فيتجهون دوما نحو المناطق التلية بحثا عن الكلأ لحيواناتـهم فقط، أما غذاؤهم فهو مضمون وأكيد ويتمثل في التمر الذي يحملونه معـهم وحليب

حيواناتهم. وأما الماء فيوجد تقريبا في محيط لا يتجاوز 15 كلم، وهي مسافة تتماشى مع قدرة الحيوانات على تحمل العطش، فالجمال تشرب كل خمسة أيام بينما الخرفان كل يومين.[1]

وتتميز حياة البدو في المجتمع السوفي بعدة خصائص منها:

- أن البدو يعيشون في جزء من السنة على الأقل في الصحراء خارج الواحات مع قطعان الماعز والضأن التي تمثل القاعدة الاقتصادية في هذه الفترة، بينما تأتي الجمال في الدرجة الثانية ما عدا عند بعض الشعانبة. وهؤلاء الرعاة يملكون النخيل التي توفر لهم الاحتياجات الغذائية والتي تضطرهم إلى الاستقرار لمدة ثلاثة أشهر من أكتوبر إلى ديسمبر، وإذا كانت الغلة جيدة فإن المدة تستمر حتى جانفي أو فيفري.[2]

- وهناك نوع من البداوة تقوم على التنقل المحدود وهم " شبه الرحل " حيث يتنقل بعض أفراد القبيلة بصحبة قطعانهم، ولكنهم يعودون إلى مناطقهم الأصلية، [3] خاصة في السنوات الجافة والخطيرة التي تمس المراعي، وهذا يجعل عددا معتبرا منهم يفضلون الاستقرار في حواف القرى يبحثون عن العمل في الغيطان وينتظرون تحسن الوضع ليعودوا إلى مراعيهم، وفي تلك الظروف الصعبة تختار بعض الاسر حياة الاستقرار النهائي.[4]

- ويوجد من البدو " الرعاة " الذين يضع عندهم سكان الحضر قطعان الإبل (60 جملا على الأكثر) وقطعان الماعز والخرفان، فيسهر هؤلاء الرعاة على حراستها ورعيها لمدة عام أو ستة أشهر مقابل أجرة من الطعام (التمر والقمح) والملابس كل سنة (قندورة وبرنوس وسروال وشاش وعفان) إضافة إلى حيوان يسلم حسب عدد القطيع.[5]

- إن التركيبة الاجتماعية للبدو تتجسد في " القبيلة " التي ينتمي إليها البدوي أيا كان مكان تواجدها، وتمثل " الأسرة " قاعدتها الأساسية.[6] وإن مناطق تواجد البدو تخضع للعرف السائد والعادات التي انتشرت بينهم، اضافة إلى أماكن تنقلهم من جهة " الغيطان " التي يمتلكونها " فالربايع " مثلا يتنقلون عادة في الشمال والجنوب من منطقة الحضر لأن غيطانهم توجد في حاسي خليفة والرقيبة أو في عميش والعقلة.[7]

---

1 - Ahmed Nadjah. op. cit. p p 34 – 35.

2 - Bataillon. op. cit. p p 62 – 63.

3 - محمد السويدي – **مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري** – ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. 1990. ص166.

4 - André Voisin. op. cit. p68.

5 - Ibid. p 62.

6 - Ahmed Nadjah. op. cit. p 36.

7 - Ahmed Nadjah. op. cit. p 38.

- وعناصر البدو في سوف تتمثل في طرود والشعانبة وما تبعهم كالربايـع.[1] ويمكن تحديد مواقع هذه القبائل فيما يلي:

.**الربايع:** وهي قبيلة قديمة قدمت إلى سوف في نحو 1750م، [2] ولها تنظيم اجتماعي شديد التماسك والقوة بفعل رابطة الدم. فهم يتجمعون في الخيام، إذ تحتوي الخيمة الواحدة عندهم من 6 إلى 8 أشخاص، والعائلة الواحدة تضم من 4 إلى 43 خيمة، أما القبيلة أو(العرش) الذي يجمع هذه العائلات فهو الأكبر وهذه القبائل عددها 14 قبيلة تتميز بالعلامات التي وسمت بها إبلها، [3] ومواقع تواجد هؤلاء البدو، هي:

ـ **ربايع الشمال:** وهم العلاونة والدوايمة والمصابيح واولاد عيسى واولاد حجاج، واولاد زقزاو والزيود. وهم يتوزعون في شكل رباعي في فضاء متباعد حسب المناطق التالية: في الشمال: بالخنقة وسيدي حجي وبير العاتر، وفي الغرب حتى وادي جدي وفي الشرق، حتى بير بوقشة، وفي الجنوب حتى طريق الوادي. توزر، وتنقلهم يتم حسب المواسم، ففي فصل الصيف يكونون بقرب الجبال في الجهة الشمالية، بينما يتراجعون في فصل الخريف نحو منطقة الشطوط ولكنهم في الحالات الاستثنائية مثل(وقت الجفاف) يدخلون إلى نواحي بسكرة وتبسة والشريعة. ويلحق بهم الفرجان، والقطاطية وأولاد جامع ويكونون في الغرب. [4]

.**ربايع الجنوب:** وهم العتايرة، والفوايز، والهواود والمعاتيق واولاد بلول والرقيات والمصابيح.[5] وهم يتوزعون في الفضاء الجنوبي ممثلا في العلنداوي، بئر جنوب الوادي، العرق الشرقي، وحتى غرد الدار (أعلى الكثبان الرملية) ويستمر تواجدهم حتى الحدود التونسية. أما استقرارهم فيكون في فصل الشتاء ويستمر إلى شهر ماي في الحمادة الواقعة من بير اعوين إلى تخوم العرق الشرقي، أما في فصل الصيف فيصلوا في تنقلاتهم إلى غرب الحدود. [6]

.**الشعانبة:** وهم من القبائل البدوية الهامة ومنهم اولاد اقدير القادمين من المنيعة في القرن السابع عشر، واولاد عمران المهاجرين إلى سوف من ورقلة في القرن التاسع عشر، ويعيشون في الجنوب الغربي لسوف وفي عميش ووادي العلندة ولهم منازل وعدد معتبر من النخيل، ويتواجدون في وقت قطع

---

1 - **Rapport sur la population du souf** – D'après l'annexe d'El-oued. Doc dans l'archive de la Direction de Moudjahidine d'El-oued.

2 -. J. scelles Millie. Op. cit. p 21.

3 - André Voisin. op. cit. p58.

4 - Ahmed Nadjah. op. cit. p 39.

5 - André Voisin. op. cit. p58.

6 - Ahmed Nadjah. op. cit. p 39.

الغلة[1] (من سبتمبـــر إلى أكتوبـــر)، وفي فصل الشتاء والربـــيـــع يتجهون إلى جنوب تقرت وورقلة ويصل بعضهم إلى ميـزاب، [2] والمنيـعة في بعض الأحيان، أما فصل الصيف فيقضونه في الفضاء الممتد في غرب العرق الشرقي الكبير. [3]

وتستمر القبائل البدوية في التنقل، والاستقرار المؤقت، ومن حين لآخر تختار بعض العائلات البدوية الاستقرار النهائي، وتندمج كلية في الحياة المدنية في قرى ومدن سوف.

2 - سكان المدن والقرى السوفية:

كانت القبائل العربيـة الهلالية تجوب المنطقة الممتدة في الصحراء الجنوبيـة من طرابلس وغدامس حتـى الجريد التونسي، وتصل شمالا إلى بلاد النمامشة والزاب وغربا إلى وادي ريغ وبلاد ميـزاب، وبمرور الزمن استقرت هذه القبائل مكونة النواة الأولى " لوادي سوف ". وكانت تضم خلال القرن التاسع عشر مدينتـيـــن هامتـيـــن كبـيـــرتـيـــن هما الوادي عاصمة الإقليم وقد تجاوز عدد سكانها سنة 1883 (5000ساكن)، ومدينة قمار(3000 ساكن) [4] وتتجمع حول هاتـيـن المدينتـيـن مجموعة من القرى هي كوينين وتاغزوت وورماس وعميش والبهيمة والزقم والدبيلة وسيدي عون. [5]

وكان العامل الأساسي للتوسع العمرانـي، هو وجود مكان جيد صالح لانجاز بستان للنخيل (غوط)، بحيث تكون الرمال قليلة، والمياه قريبة من السطح، وخاصة في المنطقة الشمالية، والشمالية الغربـيـة من وادي ســوف. وبعد مدة من انجاز هذا الغوط تغادر العائلات مركزها الأصـلي في المدينة أو القرية وتستقر في الغوط الجديد وتبني مسكنها ومسجدها وشيئا فشيئا يتطور المركز الجديد ويتحول إلى قرية صغيرة. [6]

وقد سجل لنا الشعر الشعبي حالات الرفض عند بعض العائلات التي يغادر أفرادها موطنهم الأصلي لتعميـــر مناطق جديدة ونجد ذلك مجسـدا في الأحداث التاريخية لنشـأة حي الجدلة بالوادي وقرية الرقيبة في الشمال الغربـي. أما الجدلة، [7] فقد أنجز بها في النصف الثانـي من القرن التاسع عشر احد

---

1 - André Voisin. op. cit. p59.

2 - André Voisin. op. cit. p59.

3 - Ahmed Nadjah. op. cit. p 39.

4 - C. Cauvet – Notes. p64.

5 - D. Escard. Op. cit. p 38.

6 - **Rapport nomé " Rubique 3 – Habitat** – D'âpres l'annexe d'El-oued. Doc dans l'archive de direction de Moudjahidine d'El-oued. P 6.

7 - **الجدلة:** حي صغيـر غربـي الوادي يبعد عنه قرابة 1 كلم وأصل الكلمة " الجدة " وأضيف لها اللام لكثرة الاستعمال، وهي جدة أولاد سي العربـى بالغنبازي وتدعى " امباركة بنت ساعي " وسكنت مع أبنائها في هذه الجهة الفتيـة في أواخر القرن 19.

رجال القضاء وهو عثمان بن لقصيـــر غوطا واستقدم للخدمة فيه اولاد سي العربـــي بالغنبازي، وسلم لهم الجهة الشـــرقية من الغوط ثمنا للخدمة، عندما توســـم فيهم الصـــدق والإخلاص في العمل، وأراد ربطهم بالغوط ليساعدوه على إتمام انجازه، وكان نصيب صاحب الغوط الجزء الغربي منه، ولكنه عجز عن الاستمرار فباع نصيبه إلى الســـيد صـــالح بن عبد الله بالزاويـــة وأخيه مصباح، وبعد مدة باع صالح نصيبه واتجه نحو الرقيبة بينما بقي مصباح، [1] واخذ احدهما يهجو الآخر. [2] وحدث نفس الأمر تقريبا بين الســـيد عبد القادر بن زغب المولود عام 1855 بقرية النخلة بضـــاحية عميـــــش الذي كان قومه يعيشون على الحل والتـــرحال، ولكنه منذ صغره فضل حياة الاستقرار بـــيـــن الناس في "النزالـــي " [3] والاشتغال بزراعة النخيل، وذلك جعله يختلف مع والده "صالح بن لغريسي " من قبـــيـــلة أولاد جامع الذي كان يفضـــل حياة البداوة ولا يبتغي عنها بديلا، وقد عبـــــر الابن عن ذلك في قصـــيدة من الشـــعر الشعبي فيقول:

بابا يعمر في لبساط الخالي وني شهوتي شاهي عرب ونزالي[4]

وتبـرز هذه الأمثلة الحية يومئذ تلك المعاناة الشديدة التي أدت إلى التوسع العمراني، وصراع الأجيال في ذلك.

وكانت مدينة الوادي المركز العمرانـــــي الرئيســـي والنواة الوســـطى للمنطقة عموما ومن حولها تم التوسـع في الاتجاهات الأربعة الأسـاسـية بانجاز الغيطان وبناء القرى، بالقرب منها في شـمالها الغربـــي "تكســبت " التـــي عمر ســكانها منطقة مواجهة لهم في الغرب تدعى " اميه باهي ". أما بلدة ورماس فقد توسعت بفعل سكان كوينـيـن، وتطورت هذه البلدة عام 1850 كما يدل على ذلك تاريخ مسجد الشيخ، وكذلك جامع الدويـرة 1884 بضواحي ورماس، وقد أنجز السكان في هذا الزمن الممتد في الجنوب الغربي منطقة لقويرات والهدهودي. [5]

وكان لسكان " عميش " دور في تعميـر المنطقة الشمالية الغربـيـة وخاصة " الرقيبة "، من طرف رجل يدعى " قريـن " عندما وجد الماء نابعا على سطح الأرض فقرر أن يتخذها محلا للسكن والعمران فزرع بها غرسـات فصـارت تدعى " اميه الغرسـات " ثم غلب على المكان اسـم الرقيبة[6] وهكذا عمرت هذه المنطقة

---

1 - لقاء مع الحاج لخضـر بن أحمد الجدلة يوم 1995/04/18. وثيقة قسـمة في غوط الجدلة صـادرة عن المحكمة الشـرعية بالوادي تحت رقم 794 بتاريخ أوت 1896. ولديّ نسخة منها.

2 - Ahmed Nadjah. op. cit. p 163.

3 - **النزالي:** هي القرى مفردها " نزلة ".

4 - أحمد محمد زغب – **أعلام الملحون في منطقة وادي سوف نماذج وانطباعات** –مخطوط في حوزة كاتبه - ص174.

5 - Bataillon. op. cit. p 46.

6 - لأنه دفن بها رجلا عام 1877، والرجل يدعى رقـبة وفي لهجة وادي سوف تصغر إلى رقـيـبة.

من طرف مصـــاعبة عميش[1] إذ قدم إليها حوالي 300 في حدود 1877، كما عمروا الدميثة في 1882.[2] كما قدم إلى الرقيبة اولاد جامع من عميش والوادي بداية من عام 1883.[3]

أما في الناحية الغربيـة لوادي سوف فتكونت عدة قرى متباعدة بداية من الجدلة ووادي زيتـن التـي عمرها أهل الوادي. أما بالجنوب الغربـــي فقد بدأت بلدتـــي " سحبان " و " وادي العلندة " في التطور منذ1890، ولتأسيس وادي العلندة قصة صاحبها هو " احمد محده " من قبـــيـــلة المصاعبة بالوادي، والذي كان بدويا يملك بعض النخيل في المنطقة المالحة (ســباخ الوادي)، فقد قدم إلى منطقة وادي العلندة لجمع الحطب وصـــيد الغزال فوجد الماء قريبا على بعد 4 أو 5 أمتار، لكن ظهر له أن المنطقة ملك لأحد الربايـع الساكن بالرقيبة فاشتـرى " محده " وادي العلندة منه، وبدأ في زرع النخيل في حدود 1893، وكان يشـتغل في فصل الشـتاء في نقل الماء بتقرت ويسـتورد منـــها الحشـان الذي يزرعه، ثم باع محده لمصاعبة الوادي الارض والغيطان.[4] وتأسـست بعد ذلك في اطراف وادي العلندة قرى اخرى منها " واد التـــرك " في حدود 1900 من طرف عائلة "بله باسـي"[5] وبلدة " التوام " في 1900 من طرف البدو الشعانبـة والقطاطيـة.[6] أما الناحية الجنوبـية والشرقية من سوف فنجد بلدة الطريفاوي التي أسسها أهل الوادي في حدود1850. أما اعميش والبـياضة فهي قديمة عمّرت من طرف طرود الوادي[7] والتحق بهم الربايع وتكونت قرية مويه خليفة من طرف مصاعبة الوادي 1877، [8] ونزلة محدة التـي يـرجع تاريخ مسجدها إلى سنة 1900.[9]

3) فئات المجتمع الحضري:

يتكون المجتمع الحضـــري الســـوفي من عدة فئات اجتماعية، يمكن تحديدها وحصـــرها اســـتنادا لإعمالها ومركزها الاجتماعي ومكانتها المادية السلطوية ومنزلتها الدينـيـــة، أو الجهد الذي تبذله في المجال الاقتصادي المحلي.

---

1 - أحمد مفتاح القماري – **القول المعروف في عمران سوف** - مخطوط في حوزة ابنه عبد الباقي مفتاح بقمار-.

2 - Bataillon. op. cit. p 47.

3 - ibid. p 60.

4 - Bataillon. op. cit. p 46 – 60.

5 - André Voisin. op. cit. p56.

6 - Bataillon. op. cit. p 52.

7 - من قبـيـلة أولاد احمد في القرن الرابع عشر، والشعانبة في القرن السابع عشر كونا نزلة العبابسة.

8 - André Voisin. op. cit. p56.

9 - Bataillon. op. cit. p 51.

- **فئة الحكام:** وهي السلطات المحلية الأهلية المتعاونة مع الإدارة الفرنسية، وهم " القياد "و "الشيوخ " الممثلون الرسميون لقبائلهم عند القياد، و" القضاة " في المحاكم الشرعية ومعاونوهم وهم الباش عدل، والعدول، وتسعى الإدارة الفرنسية إلى كسب ولائهم لأنهم موظفون لديها.

- **فئة رجال الشؤون الإسلامية:** وهم المرابطون من زعماء وشيوخ الطرق الصوفية والمقاديم المساعدين لهم، وأئمة المساجد والعلماء وهؤلاء صلتهم بالأهالي وثيقة، وارتباطهم كبير، وولاء العامة لهم صادق ويلقون من الناس الدعم المادي والمعنوي باستمرار.[1]

- **فئة الأثرياء:** وهم التجار الذين يملكون حانوتا أو أكثر في السوق، وفي نفس الوقت لهم غوط يراقبونه بأنفسهم، وإنتاجه في متناولهم، وفي الأوقات العادية يسهرون على صيانته ويرعونه بأنفسهم ولا يستعينون بالعمال الأجراء إلا في وقت الضرورة الملحة أثناء عزق النخيل وتسميده.[2]

ويملك بعضهم قوافل تسافر بالبضائع الهامة إلى مختلف الأسواق، ويملك آخرون منهم قطعانا من الإبل والأغنام تحت رعاية رعاة يعملون لصالحهم.

- **فئة العمال:** وهم أغلبية السكان الفقراء أو الذين يملكون قليلا من أشجار النخيل، فيضطرون إلى العمل في غيطان الأثرياء بشكل مؤقت في المواسم، أو بشكل مستمر ويدعى هؤلاء " بالخماسة " ويأخذون أجرتهم من المنتوج الذي يسهرون عليه، سواء كان من الحرث فيأخذون نصف الخضر المنتجة، أو التمور فله نسبة معينة منها، وأثناء عمله في الغوط تخصص له نخلة في فصل الخريف يأكل منها كلما كان في عمله.[3]

وهناك من أفراد المجتمع من يجوبون أطراف المنطقة لصيد الحيوانات من غزلان، [4] ونعام، [5] أو جمع الجلة أو الاحتطاب، [6] ويتم بيع ما يحصلون عليه لضمان قوت عيالهم.

- **فئة العبيد (الوصفان):** كانت فئة العبيد في وادي سوف من الزنوج الذين جلبوا من إفريقيا جنوب الصحراء وظل عددهم يتزايد ووصل إلى حوالي 5000 عام 1850، والعدد الأكبر منهم عند طرود

---

1 - Rapport nommé " classe Dirigeante op- cit

2 - Rapport nommé " Rubrique 3 – Habitat. p 3.

3 - C. Cauvet – Culture – p 53.

4 - Bataillon. op. cit. p 59.

5 - أبو القاسم سعد اللّه – أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر- ج 2. رحلة الاغواطي. ص261.

6 - أحمد مفتاح القماري – القول المعروف في عمران سوف –

من قبيلتي المصاعبة والاعشاش، [1] ورغم صدور مرسوم إلغاء الرقيق في 27 افريل 1848 إلا أن التجارة استمرت إلى أواخر القرن التاسع عشر. [2] ولكن العدد اخذ في التناقص الكبير لعدة أسباب:

1) التحريم الدولي لتجارة الرقيق وإصدار الحكام الأتراك مرسوما يمنع التجارة في غدامس منذ سبتمبر 1895. [3]

2) الهجرة السوفية إلى بعض المناطق التلية الجزائرية أو الجنوبية التونسية منذ 1894، أدت إلى تناقص العبيد الذين ينتمون إلى العائلات المهاجرة.

3) انتشار الأمراض وخاصة التيفوس والجدري والتي حصدت الآلاف من هؤلاء البؤساء. [4]

وهؤلاء العبيد مرتبطون بالعائلات الغنية والزوايا الدينية ويمارسون نشاطهم بولاء وإخلاص، [5]

وصاروا يعتبرون أنفسهم جزءا من الأوساط التي يعيشون فيها، فكانت ألقابهم مرتبطة بتلك العائلات ويعرفون عند السكان " بالوصفان "، [6] ويوفر لهم سادتهم كل ضرورات العيش من طعام ولباس، وهم يقومون بالأعمال الخاصة بالمجموعة التي ينتمون إليها في البيوت والغيطان، [7] والنساء يشتغلن برعاية الأطفال الصغار وإعداد الطعام وتقديم الخدمات المختلفة. [8]

2. المستوى المعيشي والصحي للمجتمع السوفي:

يمكن القول أن الخصائص الطبيعية والاقتصادية للمجتمع السوفي كان لها انعكاساتها على مستواه المعيشي، ونوعية غذائه، وبالتالي على حياته الصحية، ونمط حياته وعاداته ويظهر ذلك جليا فيما يلي:

أ) المستوى المعيشي للمجتمع:

إن الثروة الأساسية، والغنى الحقيقي للسوافة يتمثل في "التمور" وخاصة الغرس الذي يمكن حفظه لعدة سنوات[9] في " البطاين " أو " الخابية " فيضغط حتى يصير صلبا، وينزع بآلة حديدية أو قرن غزال أو ماعز عندما يرغب في تناوله، أما " العولة " فهي الأنواع الأخرى من التمر، وهي الغرس وتكرمست وتمرجرت وتفزوين وتنسين ولتيم وتمزريت. [10]

---

1 - André Voisin. op. cit. p108.

2 - Roger leselle. Op. Cit. P37.

3 - André Voisin. op. cit. p169.

4 - Roger leselle. Op. Cit. P41.

5 - Bataillon. op. cit. p 32.

6 - Roger leselle. Op. Cit. P44.

7 - André Voisin. op. cit. p 60.

8 - Isabelle Iberhardet – **Mes journaliers** – op. Cit. P p 108 – 109.

9 - Cauvet – Notes. p 66.

10 - C. Cauvet – Culture -p p 56 – 66.

وأفضل التمر الذي يكون " بعلا " والذي لا يسقى نخله، وإنما يشرب نخله مباشرة لاتصال جذوره بالماء مثل نخل وادي سوف، فيمكن خزنه لعدة سنوات دون أن يتغير، وهذا ما جعله يسلم من المجاعات التي مست مناطق أخرى بسبب الحروب أو القحط، لان غذاءه الرئيسي هو التمر وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: " لا يجوع أهل بيت عندهم التمر ".[1] فقد حدثت مجاعة عام 1869 تضرر منها أصحاب المواشي والمزارع في بلاد النمامشة، والتجأوا إلى ارض سوف "...فرقّ أهل سوف لحالتهم وبسطوا لهم أيدي العطاء والإعانة بل بعضهم التزم بإطعام بعض العائلات تماما وصيرها من جملة عياله وبعضهم يخرج أحمال التمر يفرقها فيهم كما يفرق عليهم النقود والثياب والخضر والفواكه..."[2] وكانوا يراعون شعورهم وحاجاتهم لضرورات الحياة " ...ومهما دخلوا إلى غوط لأخذ الحطب أو الخضر لا يتعرض لهم احد بل يراهم بعينيه ويسكت وكان البعض كجدي محمد بن عامر إذا رآهم في غوطه يختفي لئلا يزعجهم لرقة قلبه وتأثر من اجلهم تأثرا كبيرا، ودام الحال على ذلك مدة إلى أن جعل الله بعد عسره يسرا، ودوام الحال من المحال." [3]

وكان إيواء أهل سوف لجيرانهم عند الحاجة والضرورة، ولو كانت بينهم عداوات مثلما وقع مع "الهمامة " الذين وجدوا الإيواء الحسن في عام 1875م " وصارت نسائهم تدخل المنازل للتسول من شدة الجوع فيعطيهن الناس ولا يمنعهن ولا يزجرهن احد ولا يظهر لهن انقباضا من شدة الشفقة والعطف عليهن وعلى أطفالهن المحمولين على ظهورهن... " [4]

وسجلت لنا الوثائق التجاء مجموعة من " الطوارق " في حدود عام 1897 ووجدوا كرم الضيافة من سكان سوف وضواحيها: "...وأخبرك أن الطوارق تفرقوا على قمار وتاغزوت والواد والطيبات، كل ابلاد (كذا) أربعة أو خمس بيوت، أما تاغزوت حطوا فيها أربعة بيوت وجعل لهم الحاكم دور[5] على البلاد تمر كل يوم أربع علايق..."[6]

ورغم ذلك كله فإن وادي سوف تصيبها في بعض الأحيان آفات طبيعية تؤثر على منتوج التمر مثل مجيء الغلة " شيص "[7] والسبب في ذلك هو فساد " الذكار " وقد يصاب التمر بآفة " التقنيط " فيبس، أو تنزل أمطار طوفانية تجعله يتعفن ويتلف وهو ما يزال في العراجين بأشجار النخيل،

---

1 - علي بوصبيع العايش " النخيل ثقافيا واقتصاديا في حياة أهل سوف" ص28.

2 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق. ص251.

3 - المرجع السابق. ص251.

4 - نفسه. ص256.

5 - وهو ضيافة السكان للطوارق بالتناوب بين العائلات بكمية هامة من التمر يوميا.

6 - رسالة أبي الضياف بن أحمد التاغزوتى إلى أصدقائه من أهل المغير بتاريخ 1315 هـ1897- - المصدر السابق.

7 - وهو التمر الذي يفسد ولا ينمو جيدا، وإنما يكون رديئا ويسمى " الشيص".

ويسمى العام الذي يحدث فيه "الخموري " ومنه الخموري الاول(1885) والثاني (1887) .[1] وحينئذ ينتظر السكان ما تأتى به قوافل "الميرة"[2] من قمح وشعير، وعندما تتأخر يتضجرون ويقولون "يلعنكم ياالميلة[3] وماجا منكم حد، وحنا رانا تعشينا ويرحم ولد المد "[4] ويعنون بولد المد " الكابو "[5]، الذي يصنعون منه طعامهم في ذلك الوقت وهو "الهبيتة " فيطبخ الكابو مع الملح والفلفل والبعض يجعل على الهبيتة المذكورة شيئا من دقيق الشعير أو القمح ويكون قليلا جدا، ويسمون ذلك "مغبر ظهره" وقد يصنعون من جميع الخضر مثل صنعهم بالكابو.[6]

والجدير بالذكر أن المجاعة الكبرى التي حدثت عام 1867 بالشمال، وصلت آثارها إلى وادي سوف وصارت مهددة بالجوع، [7] وقلَّت يومئذ المؤونة من القمح والشعير، وأطلق السكان على تلك السنة "عام الشر" [8] كما حدثت قلة في المؤونة في التسعينات فاضطروا إلى استقدام الشعير من قابس 1314هـ(1896م)، [9] كما أكلوا " الذرة " وأطلقوا على ذلك عام المستورة 1897.[10]

أما الجراد فقد كان يغزو المنطقة، وقد سجلت الوثائق المحلية تاريخ مجيئه سنة 1309هـ(1892م) وسمي بعام الجراد الأول، [11] كذلك ذكر في عام 1897.[12] وقدومه للصحراء عموما يكون في شهر فيفري وحينئذ يضع بيضه ويبدأ خطره[13] على النباتات وخاصة جريد النخيل الذي يقضمه ويفتته، أما الثمار فلا خوف عليها لأن قطعها قد تم مبكرا من السكان.

وعند قدوم الجراد يتباشر الناس ويخرجون جماعات إلى الصحراء من اجل صيده، وجمعه في غراير ويباع في السوق، إذ يعتبر من الأطعمة الشهية في المنطقة وخاصة في عام الشر، فيوضع في الماء مع الملح

---

1 - الطاهر اتليلي – الفوائد المنثورة – ص51. تقاييد الشيخ سالمي مصطفى.

2 - **الميرة:** هي جلب الطعام والمؤونة للأهل.

3 - الراجح أنها " الميرة ".

4 - لقاء مع السيد البشير أحمدي 1998/07/13.

5 - **الكابو:** نوع من الخضر من اليقطين " **citrouille".**

6 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق. ص77.

7 - يحي بوعزيز " **المجاعة بالجزائر أواخر عقد الستينات من القرن 19 "** – في - مجلة الأصالة. وزارة الشؤون الدينية. الجزائر ماي 1996 - العدد 33. ص10.

8 - تقاييد الشيخ سالمي مصطفى.

9 - الطاهر اتليلي – الفوائد المنثورة – ص51.

10 - Calendrier Coutumier. Op. cit. P 1.

11 - الشيخ الطاهر اتليلي – الفوائد المنثورة – ص51. الشيخ محمد العزوزي بن محمد الصالح– **التعريف بزاوية سيدي سالم–** مخطوط- بمكتبة زاوية سيدي سالم بالوادي.

12 - رسالة أبي الضياف بن أحمد التاغزوتى آتية من المغير 23 محرم 1315هـ1897-.

13 - Pierre fontaine – op. Cit. P 84.

ويطبــخ ويجفف ويخزن حتــى يؤكل لاحقا مع التمر.[1] والإقبال على أكله من السكان استنادا إلى الفقه المالكي وبما ورد في كتاب سيدي خليل وشروحه " ولا تؤكل ميتة الجراد ...إلا ما قلي أو شوي حيا..."[2] ولما ورد في كتب السنـن من أحاديث. أما مقاومة خطره على النباتات فتكون للجراد المرّادي الصغيـر فتحفر له الحفر ويدفن فيها.[3] وفي كامل الصـحراء لم تكن هناك حملات منظمة خلال القرن التاســع عشــر لمقاومة الجراد إلا من الســكان أنفســهم، ولكن لاحقا بدأت الإدارة الفرنســية تتولى هذا الأمر وتشــرف عليه وتنظم شؤونه.[4]

أما مستوى حياة السكان التفصيلي في جوانب الغذاء واللباس والمساكن فيمكن تحديده في السياق الموالي:

1) الغذاء في المجتمع السوفي:

ـ الغذاء عند البــدو: كانت اغلب أطعمتهم في القرن التاسع عشر تمر الغرس وحليب النوق في فصل الصيف، وحليب الماعز في الفصول الأخرى، يضاف إليه الطعام المصنوع من القمح والشعيــر وبعض الخضر الجافة. ويصنعون بالدقيق من القمح والشـعيــر الممزوج باللبــن والأعشاب، [5] العصيدة أو الخبــز، الذي يسمى كسرة الملة، وهي الرخساس الذي يمل في الجمر أو الرماد الساخن حتــى ينضــج، ويضعون في وسط هذا الخبـز الشحم والفلفل وغيـره.[6] كما يتناولون " المرفوسة " وهي وجبة من القمح أو الشعيــر والتمر مخلوطا بالدهان(السمن) أو الحليب. أما اللحم فيمدهم به القطيع ولا يتناولونه إلا عند وقوع حادث للحيوان أو عند طرق الضــيوف لخيامهم، ولكنهم يتناولون ما يصــطادونه من الأرانب والغزلان والطيور المهاجرة وسمك الرمال" الشرشمان ".[7] أما أطفالهم فيشربون لبن الأم لمدة عامين مع تدريبــهم على تناول مشروب التمر الرخو من نوع الغرس ويدعى " المريسة " حتــى يفطم، وذلك يعطي الأطفال قوة ونضارة في الوجه. أما الشاي فيعتبر مشروبا أساسيا مفضلا عند كل البدو.[8]

---

1 - لقاء مع السيخ أحمد خراز 20 جويلية 2000.

2 - **حاشية محمد الزرهونـى على شرح الزرقانـى لمتن الإمام أبي المودة خليل** – المطبعة الأميـرية ببولاق. مصر. ط 1. 1306هـ-. ص36. والحطاب – **مواهب الجليل لشرح مختصر خليل** – دار الفكر. بـيـروت. ط2. 1978- ج 3. ص228.

3 - لقاء مع الشيخ أحمد خراز 20 جويلية 2000. ولقاء مع السيد علي السعيدي الأحد 16 جويلية 2000.

4 - Lutaut– 1907- op. Cit. P 93.

5 - Ahmed Nadjah. op. cit. p 99.

6 - إبـراهيم العوامر – المرجع السابق. ص79.

7 - André Voisin. op. cit. p72.

8 - Ahmed Nadjah. op. cit. p 100.

- **الغذاء في الوسط الحضري:** كانت العادات الغذائية في المنطقة خلال القرن التاسع عشر بسيطة، ويمكن تحديد ثلاث وجبات أساسية عند الحضر. ففي الصباح يتناولون التمر وحده، ويعتبر كل من يحصل عليه في بداية يومه من المحظوظين. أما في منتصف النهار فالأساس هو التمر أو البسر وقت الخريف، ويضاف معه الحليب إن وجد وسمح بذلك الموسم.[1] ويصحب ذلك وجبة خفيفة مثل:

- الرضخة: أو" الدوبارة " وهي ماء الفول أو الحمص الذي يخلط مع الفلفل والرمان أو الخل والطماطم.

- الدشيشة: وهي قمح أو شعير يطحن بالرحى حتى تصير الحبة على ثلاثة أو أربعة أجزاء ثم يطبخون ذلك بالابازير وتكون جارية أو مائعة.

. الحساء: وهو قمح أو شعير يطحن حتى يصير دقيقا فيطبخونه مثلما يفعلون بالدشيشة.[2]

- المطبقة:[3] وهي الرخساس الذي في أطباقه الفلفل والبصل والطماطم والرمان والفرماس والشحم.[4]

ويتناولون بعض الفواكه إذا سمح الموسم بذلك ويقطفونها طازجة من بساتينهم (الحرث) ومن أنواعها الفقوس والبطيخ والدلاع. أما في الليل: فالغذاء الأساسي هو " الكسكسي" وهو دقيق القمح أو الشعير الذي يفتل إلى حبات ويطهى بواسطة " البخار " (التفوير في الكسكاس) ويمزج ببعض السمن، ويخلط بمرق وهي خليط من الخضر المحلية، إضافة إلى اللحم عند وجوده بحوزتهم ويتنوع الكسكسي إلى عدة أنواع منها بودشيش، والهريسة من الشعير، والسفة وغير ذلك كثير.[5] أما اللحم فهو استثنائي، يتناوله الأغنياء في يوم الجمعة، أو عند وجود الضيف، أو أوقات الزواج فتذبح لذلك الحيوانات. أما الفقراء فلا يعرفون تناول اللحم إلا في المواسم والأعياد الإسلامية، ولكنهم يخزنون اللحم المجفف " القديد " لبقية الأيام.[6] أما المشروب الأساسي فهو الماء المحفوظ في قربة معلقة في حمارة. وتحتوي ما بين 20 إلى 25 لتر. بينما صار الشاي المشروب المنتشر عند الجميع منذ 1900. أما القهوة فكانت رائجة ولكن استهلاكها محدودا.[7]

---

1 - C. Cauvet – Notes – p 68.

2 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق – ص77.

3 - J. scelles Millie. Op. cit. p 23.

4 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق – ص79.

5 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق. ص78 -77. André Voisin. op. cit. p77.

6 - j. scelles Millie. Op. cit. p p 23- 24. C. Cauvet – Notes –. p 68

7 - André Voisin. op. cit. p78. Bataillon op cit p 99.

أما الأطفال الصغار فيتناولون إلى جانب حليب الأم " المريسة " وشيء من الحمص المسحوق الذي يخلط بالحليب أو الماء ويصنع على شكل عصيدة، وقد يضاف إليها شيء من الزبدة الطازجة أو ما يماثلها.[1]

2) اللباس في المجتمع السوفي:

يمثل لباس الرجال في عدة قطع منها القندورة (القدوارة) من الصوف، وتكون عند البدو ضيقة وقصيرة. ولما استوردوا الكتان المالطي من تونس صنعوا منه السورية (القميص) وهو لباس داخلي في الغالبّ، ويلبسون حولي الصوف (الحايك) المعلم بالقطن فوق اللباس، وعوّض بعد ذلك ببرنوس الصوف، [2] والقشابية يرتدونها في فصل الشتاء، ويغطون الرأس بالشاش (العمامة) لحمايته من أشعة الشمس المحرقة.[3] وكل هذه الألبسة بيضاء اللون.[4] كما يتمنطقون " بالمحزمة " المصنوعة من وبر الماعز الأسود والصوف الأبيض، وبها صور مختلفة الأشكال.[5]

أما أحذيتهم فهي " العفان " المصنوع من شعر الماعز وهو يقاوم كل شيء ما عدا الرطوبة، وهو خفيف ودافئ ويمكن السير به بسهولة وراحة في الرمال، ويستعمل غالبا في الشتاء.[6]

ويتمثل اللباس النسائي في "الملحفة" وهي فستان واسع يسبل إلى الكعبين، مصنوع من أنسجة حريرية أو صوفية وذو ألوان متعددة، وتكون عند المرأة البدوية اقل عرضا واشد قصرا، [7] وتربط بحزام من الصوف.[8] أما " الحولي " فيلبس فوق الملحفة ويوضع على الكتفين، [9] كما يرتدين "البخنوق " من الصوف ويوضع على الرأس، [10] ويكون مصبوغا باللون الأحمر أو الأصفر، ويغلب عليه عموما السواد. ويصحب هذه الألبسة المجوهرات الثقيلة من الفضة غالبا أما الذهب فعند أغنياء الحضر. وهم يغسلون جميع ثيابهم بالجبس أو الطين أو الرماد الأسود أو بالماء وحده.[11]

---

1 - Ahmed Nadjah. op. cit. p p 98 – 99.

2 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق. ص80. Ahmed Nadjah. op. cit. p 96.

3 - André Voisin. op. cit. p76.

4 - يغلب اللون الأبيض على الألبسة لأنه لا يمتص أشعة الشمس بل يعكسها، وقد حث الدين عليه لقول الرسول صلى اللّه عليه وسلم: " البسوا البياض فإنها أطهر وأطيب " رواه النسائي والحاكم.

5 - C. Cauvet – Notes – p p 69 – 70.

6 - Ahmed Nadjah. op. cit. p p 95 – 96.

7 - Ibid. p 96 – 97.

8 - André Voisin. op. cit. p73.

9 - Ahmed Nadjah. op. cit. p 96.

10 - C. Cauvet – Notes –p 70.

11 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق. ص80. Ahmed Nadjah. op. cit. p 96.

3) المسكن في المجتمع السوفي:

إن المأوى الذي يــرتاح فيه الفرد السوفي يختلف باختلاف الظروف والأوضاع التــي يعيشها من حل وتــرحال بــيــن حياة البداوة أو الريف، أو في الأوساط المدنــيــة، وتأخذ هذه المساكن في اغلبها الصفة المؤقتة، وهذا ما جعلها بسيطة في شكلها متواضعة في بنائها، ولكنها ساهمت بمختلف أشكالها في التطور العمراني الحضري باستمرار وتواصل.

أولا: مساكن البدو الرحل:

كان البدو خلال القرن التاسع عشر يسكنون في بــيــت خفيف المحمل أثناء تنقلهم يدعى " الخيمة " أو"بيت الشعر"، وبسبب حرارتها في فصل الصيف أو ضيقها يشيدون بالقرب منها كوخا يأوون إليه عند اشتداد الحرارة، كما يستقبلون فيه الضيوف، وينجز من الأغصان الكبيــرة لشــجر العلندة والازال والطرفاء والرتم.[1] وكان للخيمة أشكال مختلفة، و حجمها في المتوسط 7 على 3 متر، وهي مصنوعة من وبــر الجمال المختلط بشعر الماعز على شكل أشرطة متوازية، وهي تقام وتحمل أطرافها بواسطة أعمدة من الرتم وتشــد الحبال المثبتة بالاوتاد، وفي داخلها تقسـم بسـتار يدعى " الحايل "، وهناك طية تسـدل ليلا على بابها تدعى "الساتــر" وتفرش أرضها بزربــيــة تدعى " الحنبل " وتحوي داخلها أدوات مختلفة منها قصعة العود والطاجيــن من الطين لطهــي " الكســرة " والقدرة والكسكــاس والقنــيــنــة، [2] والرحى [3] والحلاب [4] والمهراس، [5] والغربال والقربة والشكوة والشواري والمزود والغرارة.

والخيمة علامة مميــزة للقبائل البدوية، لأن كل قبــيــلة لها خيمتها ذات الألوان والاشكال الهندسية الخاصة بها، فالشعانبة لهم خيامهم البنــيــة ذات الخطوط البــيــضاء، والقطاطية بنــيــة داكنة مع ثلاثة خطوط حمراء بينما تكون بنية اللون فاتحة بها شرائط في الوسط بنية أو صفراء شديدة الصفرة عند الفرجان، أما الربايع فهي سوداء اللون ذات أشكال ثلاث بيضاء اللون في جوانبها. أما المصاعبة فخيامهم حمراء اللون. [6]

---

1 - C. Cauvet – Notes p 71.

2 - آنيةللشرب.

3 - آلة لطحن الحبوب.

4 - إناء خاص بحلب النوق والماعز.

5 - وعاء لدق الأشياء قبل الطهي ويكون غالبا من العود الأجوف.

6 - André Voisin. op. cit. p74.

ثانيا: المساكن الريفية (مساكن الغيطان):

وهي مساكن متنوعة أقيمت داخل البساتين (الغيطان) أو في أطرافها، ويأوي إليها البدو والحضر ويستعملونها بصفة مؤقتة في اغلب الأحيان ومنها:

- **دار الكاف:** وهي حفر جانبية في سفوح الكثبان في الأراضي الصلبة في شمال سوف، وهي تشبه الكهوف، وتتخذ مخبأ أثناء النهار للاحتماء من رياح الشهيلي وحرارة الشمس ويحفظ بها المنتوج الزراعي حتى يبقى طازجا.

- **الزريبة:** وتسمى أيضا " السقيفة " وتوجد غالبا في الغيطان الجنوبية وهي أكواخ من جريد النخيل،[1] ويمكث بها الفلاح الذي يعمل في الغيطان من سكان البدو أو الحضر لمدة معينة ثم يرتحل من المكان.[2]

- **دار الخزين:** ويتم تشييدها من " شبه البدو " الذين يمثلون جزء من القبيلة التي تستقر بخيامها بالقرب من غيطانها الصغيرة في فصل الخريف أثناء موسم قطع الغلة من التمر، وبعد انتهاء موسم الجني ترجع القبيلة إلى الصحراء.[3]

وحتى تحافظ على مؤونتها بنت بيتا صغيرا جعلت قاعدته في الرمال على عمق نصف متر بحثا عن الماء البارد، وهي تغلق بباب واحد وعند رجوع البدو في الموسم المقبل ينصبون خيامهم أو يشيدون سورا من جريد النخل يحول دار الخزين والخيمة داخل ذلك الفضاء (الحوش) إلى منزل ريفي.[4] ومن دار الخزين تحول المسكن إلى " دار الحوش " والتي برزت بشكل جيد في منطقة عميش،[5] وكانت نواة "النزلة" ونلاحظ عددا كبيرا من النزالي أي القرى التي تمتد من الوادي إلى العقلة.[6]

- **مساكن الحضر الريفية:** وهي بيوت من الجريد " زرايب " ثم صارت فيما بعد من الجبس، أقامها سكان القرى والمدن من الحضر في غيطانهم ويسكنونها أثناء تنقلاتهم الموسمية، والتي تمتد من شهر جوان إلى سبتمبر، إذ يغادرون بيوتهم الساخنة في المناطق الحضرية، إلى هذه البيوت الثانوية في الغيطان لأنها باردة أثناء اليوم،[7] وفي الليل يبرد الرمل فيتمتعون فوقه بنوم هادئ، ومن الدوافع التي تحفزهم على الهجرة الموسمية، وجود الماء العذب، ويتمكنون خلال ذلك من سقي الحرث بسهولة، ولما

1 - Ahmed Nadjah. op. cit. p 50.

2 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق. ص84.

3 - Ahmed Nadjah. op. cit. p 50.

4 - André Voisin. op. cit. p109.

5 - C. Bataillon. op. Cit. P 64.

6 - J. scelles Millie. Op. cit. p 22.

7 - André Voisin. op. cit. p76.

يقتـــرب فصـل الخريف يمكنهم مراقبة منتوج التمر عن قرب. والجديـــر بالذكر أن الرحالة الفرنس" **Duveyrier** " لما مر ببلدة ورماس عام 1860 وجد بها منازل قليلة السكان، لأن سكانها من أهل كوينـيـن لا يسكنونها إلا في الخريف.[1]

وكل هذه المسـاكن الريفية المؤقتة كانت تؤثر وتتأثر بالتطور العمرانـــي الذي كان في تطوره المسـتمر خلال هذا القرن.

ثالثا: التجمعات السكانية (الحوش):

وكانت القرى والمدن في منطقة وادي سـوف تتكون من مساكن ذات أبواب صغيـــرة، تبـــرز من فوق أسـقفها بعض أغصان النخيل، وتتجمع هذه المساكن حول المسجد وعلى أطرافه تنتشر وتتوسع البلدة "النزلة" مع وجود البئر في وسط الرحبة، [2] التي تتصل بالشوارع الحلزونية التي تغطيها الرمال كلية.[3]

ولم يمنع هذا التجمع العمرانى من وجود " زرايب" أو " خيام " تسكن بها العائلات الفقيرة في ضواحي عاصـمة سـوف مدينة الوادي.[4] فقد أكد على ذلك الرحالة الفرنسـي " **Duveyrier** " عام 1860 أن خياما أقيمت داخل المساكن أو في نواحـــي الوادي ليس بعيدا عن المحطة..."[5] والجديـــر بالذكر أن أغلبـيـــة القرى القديمة أقيمت غرب الغيطان، وتم اختـيـــار هذا الاتجاه حتـى تحمـى من الرمال والرياح.[6]

ومنذ القدم راعى مشـيدو المســاكن عدة أمور منها: الظروف المناخية، والعادات والعرف والحشـمة والحياء لصيانة المرأة من الأنظار، إضافة إلى الجوانب الصحية المناسبة.[7]

وقد وصف الدكتور "**Escard** "عام 1885 هذه البـيـــوت أحسن وصف "...من حيث المساكن التـــي شيدت بمواد خام ...تنتهـي بكثيـــر من القباب الصغيـــرة، وشيدت بحجارة صغيـــرة، وما بـيـــن القباب وضعت أخشاب النخيل التـــي ربطت بـيـــنها، وهذا الشكل من البناء أحسن مقاوم للحرارة بالمنطقة من الســقف المســتوي، ولا يوجد هذا النوع من البناء إلا في ســوف، وتعطيه نمط ومظهر خاص بمدنه وأريافه، وأكثـــر هذه المساكن بها الطابق الأرضي فقط، والبعض منها تظهر بشكل بارز تمتلكها الطبقة

---

1 - C. Bataillon. op. Cit. P p 44 – 45.

2 - André Voisin. op. cit. p109.

3 - Isabelle Eberhardt. Victor Barrucand – **Dans l'ombre Chaude de l'Islam** – Imprimerie p. et A Diary. Paris. 1926. P. 258.

4 - إبـراهيم العوامر – المرجع السابق. ص84.

5 - C. Bataillon. op. Cit. P 68.

6 - André Voisin. op. cit. p109.

7 - Ahmed Nadjah. op. cit. p 92.

المرموقة، وتحتوي على طابق أولي. وعموما فإنها لا تتعدى قليلا قامة إنسان عادي، وفارس يتعدى بسهولة المدينة بأكملها. وكل هذه البساتين والبلدان محاطة بسور به أبواب ومحصنة من زواياها وفي كل نواحيها المربعة للدفاع عنها، والآن هذه التحصينات البدائية تحول اغلبها إلى أطلال، وأحسن المناطق المحافظة على ذلك هي الزقم والدبيلة." [1]

والوحدة الأساسية في المسكن السوفي هي الحجرة الصغيرة التي تدعى " الدار" واغلب الناس عندما يريدون بناء الدار يتمددون أرضا فيكون ذلك هو مقياسها طولا وعرضا، أما ارتفاعا فيكون حسب طول قامته، [2] وعلو الجدران لا يتجاوز أربعة اذرع في الغالب، وكانت الحجارة بادية ظاهرة في الجدران من داخل الدار وخارجها لا يسترونها بالجبس، [3] وأرضها غير مبلطة، وعميقة ينزل إليها درجة أو درجتين، ومدخلها ضيق وهو المدخل الوحيد. أما الباب فمصنوع من تجمع أغصان النخلة مثبتة بقطع من نفس الجريد، وأقفالها من نفس أجزاء النخلة، [4] واستعملت أقفال حديدية مثل القفل الذكر".[5]

أما سقفها فأعد من جريد النخلة وأخشابها، [6] ثم انتشرت القباب بشكل واسع، ففي منتصف القرن التاسع عشر لما زارها الرحالة " **Duveyrier** "عام 1860 والرحالة " **V. Largeau** " الذي مر بها عام1875، أكدا على وجود هذه القباب التي تغطي أسقف المنازل السوفية، [7] وفي عام 1900 أطلقت عليها ايزابيل ايبرهاردت مدينة الالف قبة. [8]

ولتوسيع الحجرات الصغيرة المشيدة من قبة واحدة، استحدثت أقواس لإضافة قباب جديدة ، الغرض منها زيادة مساحة الحجرة، [9] كما نقلت إلى سوف طريقة جديدة لبناء الاسقف وهي " الادماس " المستطيلة والتي كانت مستعملة في " مدنين " بالجنوب التونسي، واستقدمت هندستها في حدود عام1900. [10] وكان للضباط الفرنسيين الذين حكموا سوف منذ 1883 دور في تطوير الهندسة العمرانية باعتمادهم طرقا تقنية متطورة واستعمالهم الخيوط والمسامير لتدوير القباب والأقواس

---

1 - D. Escard. Op. Cit. P 38.

2 - لقاء مع السيد الطاهر باقي. 2000/08/09.

3 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق. ص83. Isabelle Eberhardt- Mes journaliers – op. Cit. P 88.

4 - Ahmed Nadjah. op. cit. p 91.

5 - تقييد أسماء أثاث الهالك أحمد بن عبد اللّه كتبها أبو ضياف بن أحمد التاغزوتي في ماي 1884م 1302هـ مكتبة يحي بوضياف التاغزوتى.

6 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق. ص84.

7 - André Voisin. op. cit. p 112.

8 - Isabelle Eberhardt. – Dans l'ombre. P 284.

9 - C. Cauvet – Notes – p 73.

10 - André Voisin. op. cit. p 110.

بدقة، وكان النقيب " **Pujat**" الأكثر تأثيرا في هذا المجال، [1] وقد حكم سوف ما بين 1893 – 1894. [2]

والمنـزل السوفي[3] يدعى " الحوش" [4] نسبة إلى الفضاء الواسع في وسط المنـزل وتحيط به الحجرات والجدران (الأسوار) في الأطراف، وفي هذا الصحن تفتح الحجرات وغيـرها من المرافق، ولا يمكن للسوفي أن يعيش في منـزل بدون حوش، لان اغلب أيام السنة حارة وتحتاج إلى الهواء الطلق حتـى يبـرد الرمل فيستلقـي فوقه ليلا وخاصة في ليالي الصيف الحارة. وبعض الناس يقيم " سدّة " في وسطه وهي بمثابة السريـر، ويوجد في الحوش بئـر في الجهة الشرقية. [5] ويمكن تحديد مرافق البـيـت السوفي وأثاثه فيما يلي:

- **السقيفة:** وهي مدخل البيت وتكون مستورة بحائط حتى لا يتكشف الأجانب على البيت ونسائه، ويمكن استغلالها لجلوس الضيوف[6] العاديين، وشيدت بجانب السقيفة حجرة عرفت " بدار السقيفة " وهي غرفة استقبال الضيوف في الحالات الرسمية الهامة التـي تتطلب احتـرامهم والاعتناء بهم في ظروف حسنة. [7]

- **دار الخزين:** وهي حجرة يخزن فيها أهل البـيـت مؤونتهم وموادهم الغذائية وخاصـة التمر، وقد شيدت للتمر المخزون في " الخابـيـة "[8] وهي دائرية الشكل مبنـيـة بالجبس في أحد نواحي الحجرة، وفي أسفل الخابـيـة قصبة يخرج منها عسل التمر المضغوط، ويجمع هذا العسل في قلة ثم يوضع بالزيـر. [9] كما شيد بالقرب من الخابـيـة " الحد " وهو مربع الشكل، ويوضع فيه تمر النهوش أو الحبوب من القمح والشعيـر، [10] كما تستعمل "السبالة " (قلة كبـيـرة) [11] لحفظ الحبوب، أما الزيـر والقلة فيحفظ فيهما الزيت والشحم، وفي زاوية هذه الدار يتجمع الاحتياطي من الصوف ووبر الجمال والخشب. [12]

---

1 - C. Cauvet – Notes –p 73.

2 - تقاييد الشيخ أحمد خراز وثيقة تحت عنوان" قائمة ذكر أسماء وتاريخ الحكام الفرنسيون الذين تولوا في وادي سوف"

3 - معاينة منزلين أثريين في حي المصاعبة بمعية ومساعدة السيد لزهاري موساوي يوم السبت 2001/03/24 واستعنت بالمعاينة إضافة إلى الوثائق الأخرى.

4 - وثيقة قسمة تركة أحمد بن عبد اللّه التاغزوتى 1885- المصدر السابق.

5 - Ahmed Nadjah. op. cit. p 92.

6 - لقاء مع السيدين أحمد خراز – البشير احمدي. يوم 1998/04/20.

7 - Ahmed Nadjah. op. cit. p 92.

8 - لقاء مع السيدين أحمد خراز – البشير احمدي. يوم 1998/04/20.

9 - C. Cauvet – Notes – p 66.

10 - معاينة منزلي المصاعبة السابقي الذكر – لقاء مع السيدين أحمد خراز- والبشير أحمدي 1998/04/20.

11 - جريدة تقاييد أثاث أحمد بن عبد اللّه – الوثيقة السابقة.

12 - André Voisin. op. cit. p114.

- **المطبخ:** ويكون في حجرة خاصة أو في الساباط، ويشيد بالمطبخ أيا كان مكانه " مدخنة "، [1] والوقود المستعمل هو الحطب الذي يجمعه الحطابة من الصحراء، [2] أو الحطب المجلوب من الغيطان، ويحتوي المطبخ على أدوات بسيطة مثل القدر والغربال والطبق الخشبي والمهراس، [3] وقصعة العود والطاوة، [4] وهي صفيحة حديدية تتخذ لصنع الخبز، والرحى وهي مطحنة صخرية لطحن الحبوب المختلفة. [5]

- **دار النوم:** وفي " الحوش " يخصص للنوم حجرتان أو ثلاث أو أكثر حسب مستوى العائلة وكبرها وتعدد أسرها، وفي بعض الحجرات تنجز " المقصورة وهي بيت صغير داخل الحجرة، تشيد في جهة من قبة هذه الحجرة " دكانة " من الجبس هي بمثابة السرير. [6]

- **الساباط:** هي غرفة مفتوحة للحوش وبها أقواس يدخل إليها الهواء بكثرة، وفي البيت عادة ساباط في الجهة الجنوبية (الظهراوي) ويخصص لفصل الصيف، وآخر في الجهة الشمالية (القبلاوي) ويخصص لفصل الشتاء، [7] وللساباط أهمية في البيت السوفي، فهو مكان للراحة واجتماع الأسرة، ومكان للعمل النسوي يقام به المنسج، ويتم طحن القمح والشعير، [8] كما تقام فيه الحمارة[9] التي تحمل قربة الماء أثناء النهار.

والجدير بالذكر أن الجهات المختلفة للمنزل مدروسة بحكمة ودقة، فالجهة الغربية بها دار الخزين والمطبخ ودار النوم، والجهة الشرقية التي تواجهها الشمس في أكثر النهار، ولأسباب صحية وضمانا للبيت ومحافظة على نظافته من كل أنواع القذارة، خصصت هذه الجهة لبيت الماء " الخربة " أو بيت الخلاء، والإسطبل، [10] وتربى فيه عنزة أو أكثر عند الميسورين، إضافة إلى حيوانات أخرى مثل الدجاج والحمار والبغل، [11] والكلب، وقد تشيد " زريبة " في بعض المنازل تخصص للحيوانات. [12]

---

1 - لقاء مع السيدين أحمد خراز – البشير احمدي. يوم 1998/04/20.

2 - Rapport nommé " Rubrique ". P 7.

3 - André Voisin. op. cit. p144.

4 - جريدة تقييد أثاث أحمد بن عبد الله – الوثيقة السابقة.

5 - Mohammed Rochd – **Isabelle Une Maghrébine d'adaptation** – o p u. Alger. 1992. P 192.

6 - لقاء مع السيدين أحمد خراز – البشير احمدي. يوم 1998/04/20.

7 - Ahmed Nadjah. op. cit. p 92.

8 - لقاء مع السيدين أحمد خراز – البشير أحمدي 1998/04/20.

9 - Isabelle Eberhardt. – Dans l'ombre. P 251.

10 - Ahmed Nadjah. op. cit. p 92.

11 - C. Bataillon. op. Cit. P 43.

12 - Isabelle Eberhardt- Mes journaliers – P 69- 74.

- **البئر:** وتكون غالبا في بيوت الأغنياء، ويستعمل ماؤها للطهي والغسل، ويجلب الماء العذب من آبار القرية الخارجية أو من الغيطان، [1] من طرف الفتيات الصغيرات بواسطة القرَب. [2]

- **الإنارة في البيوت:** في الليل يطبق الظلام الدامس وينتشر في القرى والمدن والبيوت، ما عدا الضوء الخافت الذي ينبعث من وسائل الإنارة التي تستعمل يومئذ بشكل محدود أثناء الأكل خصوصا، وعند الميسورين بصفة أساسية، [3] ومن هذه الوسائل، مصابيح الزيت[4] أو " الفتيلة "، والشمع الذي يوضع فوق الأرض[5] أو يثبت في الجدران، [6] وكذلك يستخدم " كانكي الفينار" وهو غطاء زجاجي توضع بداخله الشمعة أو فتيلة الزيت لحمايتها من الهواء حتى تستمر في الاشتعال عندما تستعمل للإضاءة في الخارج. إضافة إلى الفوانيس الصغيرة، [7] والقناديل التي يستعملها الفرنسيون خصوصا في بيوتهم ومؤسساتهم الإدارية وفي مستشفى الوادي، وتثبت هذه القناديل في الجدران. [8]

والخلاصة أن المستوى المعيشي في وادي سوف خلال القرن التاسع عشر كان يمتاز بالشدة والقساوة، وعيش السكان في حدود الكفاف فقط. وإذا كانت الكتابات الفرنسية الاستعمارية تتحدث عن أفراد هذا المجتمع بنوع من الاستخفاف، بأن " السوفي يبيع أحسن ما عنده من غلة التمر، والمنسوجات الصوفية ويترك لنفسه الرديء منهما من اجل توفير بعض الأموال." [9] فهذا من محاسن الفرد السوفي وايجابياته وحكمته وحسن تصرفه، وقد سلك هذا المنهج في حياته للتغلب على مصاعب الزمن وله في ذلك عدة دوافع ايجابية:

1) أن منطقة سوف لا تنتج سوى التمور ولا يمكن الحصول عليها إلا بشق الأنفس، وكان الفقر منتشرا، مما يجعل البعض يهاجر إلى العمل في مناجم الفوسفات التونسية بالمتلوي وأم العرايس والرديف أو في التل الجزائري، [10] ويصور احد الشعراء[11] المهاجرين إلى تونس للبحث عن العمل بعد ما مسه الفقر واضطره مكرها إلى الرحيل فيقول:

---

1 - لقاء مع السيدين أحمد خراز – البشير أحمدي 1998/04/20.

2 - Isabelle Eberhardt. – Dans l'ombre. P 232.

3 - Rapport nommé " Rubrique ". P 7.

4 - Mohamed Rochd – Isabelle Une Maghrébine P 191.

5 - Isabelle Eberhardt- Mes journaliers -P 93.

6 - Ibid. p 108.

7 - Isabelle Eberhardt. – Dans l'ombre. P 222.

8 - Isabelle Eberhardt- Mes journaliers –P113.

9 - André Voisin. op. cit. p169. C. Cauvet – Notes –. p 66.

10 - C. Cauvet – Notes –p 105.

11 - الشاعر هو السيد عبد القادر بن زغب.

يارب بركه من الدرك يزينا سرّح سواقي الخير بها غنينا
الـــــدرك والـــهانـــــا اما الزلط ما يتحسب بشانه
كان من لبس عكوا على لباسه وكان من تعرى عيب من يرعى له
يا سعد من دفنوه في الجبانه ساتر عيوبه قبر فسط مدينة[1]

2) ادخار المال وتوفيره من اجل " لعمار" المتمثل في تكوين أسرة بالزواج المبكر عند غالبية السكان.

3) بناء مسكن يعتبـــر من الضروريات، [2] فلا بد للفرد من مسكنه الخاص الذي يبنـــيـــه بنفسه ولا يـــرتاح له بال ولا يقر له قرار إلا عند إتمامه لهذا الانجاز، وتوفيـــر المال لمثل هذه الشـؤون يحتاج إلى التقشف والاقتصاد والتقتـــيـــر، وصار هذا سلوكا فيما بعد من اجل مواجهة صعوبات الحياة ونكباتها التـــي تمس الناس، فيكون هذا الفرد دوما على أهبة الاســتعداد لمقاومتها والتصـدي لها بالاعتماد على نفسه أولا وعلى مجتمعه عند اقتضاء الضرورة.

ب) المستوى الصحي وتطوره بالمجتمع السوفي:

كانت الحياة الصحية في المجتمع السوفي في القرن التاسع عشر جيدة نسبيا لتوفر عدة عوامل منها:

1) النظام الغذائي المعتدل، الذي يؤخذ في أوقات محددة، وبصـفة طبـــيـــعية، فقد كانت الأغذية طازجة فالتمور تؤخذ مباشرة من النخلة، أو من الكميات المحفوظة في الخابـــيـــة والتـي تبقى محافظة على خصـائصـها الصحية لمدة طويلة تتجاوز السـنة، كما أن الخضـر والفواكه تقطف في حينها وتوضـع بالقدر لتطهى طعاما شهيا.

2) الطبـــيـــعة الصحراوية تتميـــز بالهواء النقي، وهبوب الرياح والنسائم التـــي تجدد الهواء وتنقل المكروبات بعيدا عن السكان.

3) أشـعة الشـمس المرتفعة والدائمة في كل شـهور السـنة والتي تسـتغرق وقتا طويلا خلال اليوم تؤثر على الأرض الرملية وعلى الهواء، فتـــرتفع درجات الحرارة فوق 50 درجة مئوية وذلك يجعل الوســط الطبيعي لا يساعد الميكروبات على العيش والتكاثر في وادي سوف.

4) انعدام الأوساخ والمياه الراكدة والمستنقعات التـي تتوالد فيها الحشرات الضارة من بعوض وغيـره من الفيروسات والتي تكون عاملا مساعدا على نقل الأمراض والميكروبات.

5) اتصـاف الفرد السـوفي بالفعالية واشـتغاله المسـتمر بالأعمال العضـلية يسـاهم في فتل عضـلاته وتقوية جسمه وتجنيبه كثيرا من الأمراض المزمنة والالآم الدائمة.

---

1 - أحمد محمد زغب – أعلام الملحون. ص176.

2 - Rapport nommé " Rubrique ". P 01.

ومع ذلك تنتشر بعض الأمراض العادية، وتحل بها الأوبئة التـي تنتقل إليها مع الجحافل المهاجرة من المناطق المجاورة لها ومنها:

- **الملاريا:** غيـر موجودة في المنطقة بسبب انعدام الظروف الملائمة لنمو الفيـروسات، وخلو المنطقة من المياه الراكدة والمستنقعات، فتنتقل إليها الملاريا مع المسافرين القادمـيـن من الزيبـان ووادي ريغ وتكون مصحوبة بالحمى في وقت " التهم " الذي يظهر في تقرت والتل.[1]

-**الكـوليـرا:** وقد حلت بالمنطقة عام 1850، [2] وقد انتشرت مرة أخرى بالشمال عام 1867 بصفة واسعة، وقد هددت وادي سوف ولم تصل إليها.[3]

- **مرض الجدري:** وهو الآخر ينتشـر بالمنطقة من وقت لآخر، وقد يستمر لوقت طويل، فقد ظهر هذا الوباء عام 1842 وعرف ذاك العام بعام الجدري، وقتل كثيرا من الأطفال الصغار، ولم يسلم من خطره بعض الكبار.[4] فقد حدث عام 1893، [5] وأودى بحياة 22 نفرا ببلدة صـغيـرة آنذاك وهي تاغزوت في وقت محدود عام 1894، [6] ولا شك أن العدد أكبر من ذلك لو تم إحصاء الموتى يومذاك في كامل أنحاء وادي سوف.

.**التيفوس:** وقد انتشر بكثرة في أواخر القرن التاسع عشر وأودى بأعداد كبيرة من السكان.[7]

.**الطاعون:** قتل أعدادا كبيرة من سكان سوف عام 1898.[8]

وهذه الأوبئة عموما عند حلولها بالمنطقة كانت تحصد الأرواح بشكل رهيب " حكي أن الذين يذهبون لحفر القبور لا يعودون إلى منازلهم من طلوع الشمس إلى غروبها، فكلما انتهوا من حفر قبـر تأتيـهم جنازة أخرى."[9]

- علاج الأمراض والرعاية الصحية للمجتمع:

كان علاج الأمراض خلال القرن التاسع عشر يتم بواسطة الطب الشعبي، لكنه في أواخر القرن ظهر الطب الحديث على يد الفرنسيين.

---

1 - D. Escard. Op. Cit. P 59.

2 - إبـراهيم العوامر – المرجع السابق. ص241.

3 - يحي بوعزيز – كفاح الجزائر من خلال الوثائق – ص164.

4 - إبـراهيم العوامر – المرجع السابق. ص240.

5 - الطاهر اتليلي – الفوائد المنثورة – ص51.

6 - رسالة عثمان بن بلقاسم بن اهويدي إلى أبـي الضياف بن أحمد بتاريخ 5 شعبان13211894-. وثيقة سابقة.

7 - Roger leselle. Op. Cit. P 41.

8 - Calendrier Coutumier. Op. Cit. P 1.

9 - إبـراهيم العوامر – المرجع السابق. ص241.

1- **الطب الشعبي**: كان العلاج في المجتمع السوفي لمختلف الأمراض العادية والحوادث الطارئة والإصابات الخطيـــرة، يتم من طرف الأفراد داخل الأسرة بما تعارفوا عليه من أدوية مجربة مشهورة عند الخاص والعام، أما الحالات المستعصية فتستدعي مراجعة المختصين داخل القرية أو خارجها.

واهم طرق العلاج هي: الكي بالنار، والفصد والحجامة، والكحل لأمراض العين، وهم متأثرون في ذلك بالطب النبوي، فقد ورد في الحديث " الشـــفاء في ثلاث شـــربة عســـل وشـــرطة محجم وكية نار" رواه البخاري، [1] وأما الحث على الحجامة فقوله " خيـر ما تداويتم به الحجامة " رواه النسائي.[2] والاكتحال بالاثمد. ورد في الحديث " عليكم بالاثمد[3] فانه يجلو البصر وينبت الشعر" رواه الترمذي.[4]

- **حمام الرمال:** ويدعى التعريق، ويتم بدفن مريض المفاصـل (الروماتـــيـــزم) في الرمال الســاخنة "الرمضـاء"، [5] ويكون في موسـم " ياوسـو" في فصـل الصـيف عندما تشـتد الحرارة من 15 جويلية إلى 15 أوت، فيدفن المريض نفسـه في الرمضـاء إلى حدود السـرة أو الإبطيـــن ويظلل رأسـه بشـيء، ويمكث على تلك الحال مدة تتراوح من نصف ساعة إلى ساعة كاملة حسب مقاومته للحرارة، وأثناء ذلك يعطى شيئا من الماء حتـــى يتصبب منه العرق الكثيـــر، [6] وبعض الفواكه مثل الدلاع، وبعد خروجه يتدثر في الظل حتـــى يتجنب الهواء، فيتصبب منه العرق الذي يجعل المكان مبللا بالثرى، وبعد استـــيـــقاظه من النوم يتناول وجبة دسمة بها الأعشاب والتوابل.

ـ **الرقـى والتمائم:** وتتمثل في القرآن الكريم والأدعية المأثورة أو بعض العزائم السحرية. فالرقى تكون "من لدغ العقرب والحية والعيـن "[7] وأما التمائم فهي ما يعلق لمنع المرض وعلاجه، واصل ذلك مبثوث في كتب الفقه المالكي المنتشرة بالمنطقة مثل الرسالة فقد ورد بها " ولا بأس بالمعاذة تعلق وبها القرآن ".[8]

.الأعشاب الطبية: ويتناولها السكان كأدوية لتسكين الآلام أو علاج الأمراض، وتستعمل عن طريق الغلي أو السحق أو السف أو البلع. وهم يعتمدون في اقتنائها على الطب النبوي وتوجيهاته، أو ما

---

1 - ابن القيم الجوزية – **الطب النبوي** – دار الكتب العلمية. بيروت. 1957. ص38.

2 - نفسه. ص41.

3 - **الاثمد:** هو حجر الكحل الأسود.

4 - ابن القيم الجوزية – المرجع السابق. ص217.

5 - André Voisin. op. cit. p 200.

6 - Ahmed Nadjah. op. cit. p 102.

7 - - **الثمر الدانـى شرح رسالة ابن أبـى زيد القيـروانـى** – تحقيق الشيخ صالح عبد السميع الآبـي الأزهري. مطبعة المنار. تونس. ص710.

8 - - **متن رسالة ابن ابـى زيد القيـروانـي** – مكتبة رحاب. الجزائر. ص169.

يجدونه في كتب القدماء من أطباء العرب كابن سينا، [1] أو " تذكرة "[2] داود الانطاكي، [3] أو كتاب السيوطي، [4] وغيرها.

أما الحالات الناجمة عن الحوادث المختلفة فكانت كما يلي:

1) الإصابة بالشوك: من جراء وخز جريد النخل ويكون أثناء جني التمور أو زمن انجاز أو إصلاح "الزروب"، وتكون حينئذ الأرجل عارية، وأخطره شوك نخلة تافزوين، ودقلة بيضاء فتكون جروحهما عميقة، ويتم العلاج بعدة اعشاب. [5]

2) اللسع العقربي: تنتشر العقارب من شهر افريل إلى أوت ولكن خطرها يبدأ من شهر جوان، فتخرج بكثرة ليلا بحثا عن البرودة خارج الرمال. فتحدث إصابة خطيرة تؤدي في كثير من الحالات إلى الموت المؤكد. ويتم العلاج بفصد مكان الوخز واستخراج الدم دفعا للسم، وقراءة شيء من القرآن وترقية المصاب مع تمرير اليد على العضو.[6] أما الأفاعي فخطرها أكبر.

3) تجبير الكسور: ويتم بوسائل محلية، فيوضع الجبس الممزوج بالماء فوق العضو المكسور، ويمدد المريض فوق الرمال، كما يوضع فوق العضو شيء من جريد النخل ويربط بخيوط، وتزرع أربعة اعمدة في نواحيه حتى لا يتحرك. كما يستخدم " زهم النعام" المجلوب من تمبكتو ويكون مفعوله سريعا في جبر الكسور.

أما العملية الجراحية الأكثر انتشارا فهي " الختان " والتي تجرى للأطفال في سن مبكرة في السابعة أو قبلها، بواسطة المقص من طرف خبير يدعى " الطهّار " ويلتئم الجرح طبيعيا، [7] وعند ختانه يوجه إلى القبلة ويمسك الصبي بقوة وتستغل غفلته أو اشتغاله بأمر من الأمور فيقص الطهار الغرلة.

أما أمراض النساء فتتولى أمرها عجوز كبيرة متمرسة تصف الأدوية العشبية وتقوم بعملية "التوليد " وتقطع الحبل السري وتنظف الصبي وتقدم للأم كل ما تحتاجه من رعاية. [8]

---

1 - D. Escard. Op. Cit. P 62.

2 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق. ص53.

3 - داود الانطاكي – **تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب والعجاب** – المطبعة الأميرية. القاهرة. 1282هـ.

4 - جلال الدين السيوطي – **كتاب الرحمة في الطب والحكمة** – مطبعة التقدم العلمية. مصر. 1323هـ.

5 - Ahmed Nadjah. op. cit. p 104.

6 Ahmed Nadjah. op. cit. p 106.

7 - André Voisin. op. cit. p 200. D. Escard. Op. Cit. P 62.

8 - André Voisin. op. cit. p p 82 -83.

ولكل الأمراض يتم ضبط وصفات طبيـــة من طرف رجال يشتغلون بالطب الشعبـي ويشرفون على هذه العملية.[1]

2 ـ الطب الحديث: عند مجـيء الفرنسيين إلى منطقة وادي سوف، وجدوا الطب في شكله البسيـط الذي يعتمد على الأعشاب، والعلاجات الشعبـيـــة البدائية التقليدية. وفي أول مركز للقوات الفرنسية المستقرة في منطقة الدبيلة، رافقهم مستوصف متنقل يهتم بشؤون الحامية العسكرية منذ 1883، وتم توظيف رئيس للأطباء بهذا المستوصف المتنقل في صائفة 1884.[2]

ومنذ تأسيس أول بـــيـــرو- عرب، بدأ الاهتمام أكثـــر بهذا القطاع باستقدام مجموعة من الأطباء العسكريين وكانت مهمتهم معالجة السكان المدنيين إلى جانب العسكريين الفرنسيين.[3]

وتم تأسيس النواة الأولى للمستشفى العسكري بمدينة الوادي ملاصقا للثكنة العسكرية، وهذا بعد انتقال الحامية العسكرية من الدبـيـــلة واستقرارها نهائيا بمدينة الوادي، وكان هذا المستشفى يضم في سنة 1900 غرفـا متعددة وأسرّة، ومجهز بمختلف المعدات الطبـيـــة الأولية الحديثة، إضافة إلى غرفة خاصة بالعمليات الجراحية.[4] وخلاصة القول أن السكان يومذاك كانوا يعتمدون كثيـــرا على معارفهم الطبية ورجال الطب الشعبي، ولا يقصدون هذا المستشفى إلا عندما تكون الحالة خطيرة أو اضطرارية أو ميئوسا منها في صفوفهم، عندها يلتجئون إلى المستشفى العسكري الفرنسي الفتي.[5]

3. العادات والتقاليد في المجتمع السوفي:

كان المجتمع السوفي في القرن التاسع عشر يخضع إلى عادات وتقاليد وأعراف اجتماعية تسير المجتمع وتنظم شؤونه المختلفة.

أ) العائلة السوفية ومظاهرها الاجتماعية:

العائلة هي النواة الأسـاسـية في هذا المجتمع، وحجر الأسـاس لبنائه الاجتماعي، والضـامن الحقيقي لتماسكه واتحاده، وتضامنه وتعاونه بصفة مستمرة.

---

1 - إبـراهيم العوامر – المرجع السابق. ص57 .

2 - D. Escard. Op. Cit. P 33.

3 - xxx - **Dis Ans de réalisation communale dans l'annexe d'El-oued** – Bulletin de liaison Saharienne – Immeuble Mouritania – Alger. 1958. P 372.

4 - Isabelle Eberhardt- Mes journaliers –P 115.

5 - André Voisin. op. cit. p 200.

أولا: التطور الاجتماعي للعائلة:

كان يرعى شؤون العائلة ويقودها " الأب "، ويخلفه عند غيابه، أو بعد موته أكبر أبنائه. وهو الرئيس" الذي يتحكم في كل الأمور داخل العائلة، فيحتفظ بمفتاح " دار الخزين " التي تحتوي على مؤونة العائلة، فيُرشِّد الإنفاق بنفسه، ويجنب النساء التصرف الحر في المواد الغذائية خوفا من الإسراف والتبذير لهذه المواد التي تعتبر عزيزة في مجتمع يعيش ظروفا اقتصادية صعبة، ولا يجوز لأحد من أفراد العائلة أن يتصرف بحرية في أحد الأمور الهامة إلا بعد إذن الرئيس.

وعندما يتزوج الأبناء يبني كل منهم أسرته، لكن يبقى الجميع يظلهم سقف المنزل الواحد، فتتضخم العائلة ويعيشون في وضعية صعبة للغاية، فيتناولون غذاءهم بصفة جماعية، ويستعملون أغراض البيت، ومكان الراحة " الساباط " بشكل جماعي. وكل أسرة تملك داخل البيت الكبير حجرة واحدة يأوي إليها الرجل وزوجته وأبناؤه.

أما النفقة فيتحملها أب العائلة وليس لأبنائه المتزوجين ادخار خاص بهم، ولا يملكون حرية التصرف في الأموال التي يوفرونها من أعمالهم، لأن الأب هو المسؤول الأساسي والوحيد عن مالية العائلة. وتبقى العائلة متماسكة محافظة على تلاحمها مدة طويلة، ولا تنفصم وحدتها إلا بعد وفاة " رب العائلة " أو عجزه أو عند مرضه الشديد، حينئذ يعطي الإذن لأبنائه بالانتقال إلى منازل تقام بمساعدته في أغلب الأحيان، فيكوّنون أسرهم التي تكون نواة لعائلة جديدة بعد مدة زمنية محدودة.[1]

ثانيا: توزيع الثروة على أفراد العائلة:

كان رب العائلة يفكر في حال وفاته بالحال التي يصير إليها أبناؤه من بعده، فعندما يبلغ هذا الرئيس سن الشيخوخة يعزم على تقسيم ثروته على الأولاد بالخصوص، فيعطي كل واحد نصيبه، ويخص أبناءهم بالثلث، [2] حسب الأحكام الشرعية التي تقرها المحاكم الإسلامية المنتشرة بالمنطقة، أو يوزع نخيله وعقاره عن طريق البيع[3] الذي يكون صوريا في اغلب الأحيان، ولكنه يوثق ذلك حتى يحفظ لهم حقهم ولا ينازعهم فيه احد، أو يتصدق الأب بحصته من الحوش مثلما فعل محمد بن احنيش المصعبي سنة 1895.[4] وقد يمنح الأب لأبنائه عن طريق " الهبة " جميع ما يملك من نخيل، ويستثني ثلث الغلة

---

1 - Rapport nommé " Rubrique ". P 04.

2 - وثيقة مسجلة بالمحكمة الشرعية بالوادي تحت رقم 796 بتاريخ أكتوبر 1890 وهي في حوزة بن موسى الحاج محمد، بحي الاعشاش – قسم فيها السيد بن روبه بن أحمد نخيله على ابنيه وأبناء أبنائه-.

3 - عقد شراء مسجل بالمحكمة الشرعية بالوادي رقم 279 بتاريخ 1278 في حوزة بن موسى الحاج محمد بحي لعشاش وفيها باع السيد بن موسى بن محمد بن موسى العشي إلى ابنيه محمد وعلي 12 نخلة بجر بوحميد-.

4 - صدقة مسجلة بالمحكمة الشرعية بالوادي تحت رقم 88 بتاريخ 12 جوان 1895 بسجل المحكمة الشرعية الموجود في مركز التوثيق عند السيد بعرة عبد المالك الموثق- نقلتها بمساعدة السيد العربي مصباحي.

التي يستفيد منها لنفسه كل سنة مدى حياته، وترجع بعد وفاته إلى من وهبها إليهم،[1] ومنهم من يستثني غرسا معينا يحبسه على نفسه ويقوم أبناؤه بإخراج غلته في كل موسم صدقة على والدهم، وتدعى هذه العملية باسم " فداوي".[2]

أما الوصية " فتكون لغير الورثة مثل أبناء الابن، " وخاصة الذكور منهم " ولو كانوا في عالم الغيب، ويحدد ذلك بالثلث من كل ما يتـــركه جدهم نخيلا كان أو عقارا أو حيوانا، ويثبت ذلك بعبارة "وصية شرعية تنفذ بعد وفاته ولحوقه بالله تعالى قاصدا بذلك وجه الله العظيم ورجاء ثوابه الوافر الجسيم والله لا يضيع اجر المحسنين " .[3] و تتم في معظم الأحيان إجراءات التقسيم أو البيع أو التصدق أو الهبة، بغرض منع المرأة من حقها الشرعي في " الميـــراث "[4] بحجة أن ذلك المال يستفيد منه الصهر الغريب عن العائلة، وقد يثبت للمرأة حقها في الميراث ولكن لا تأخذه في حينه ويطول الزمن ويترتب على حقها أمور جديدة من الموت، أو تُقنعُ هذه المرأة بالتنازل عن حقها من طرف أقاربها، ولكن ذلك يتطور في مستقبل الأيام إلى خصومات عندما يطالب أبناؤها أو أحفادها بحق أمهم ويلجأون إلى المحاكم الشرعية.[5]

وقد يوصي البعض منهم للمرأة وخاصة " الأخت " بغرارة من التمر كل سنة تأخذها منه أو من ورثته ويشترط عليها أن تكون محتاجة وغير متزوجة، ويعتبر ذلك أجرا عظيما، ومن أفعال البر.[6]

ثالثا: مكانة المرأة الاجتماعية:

كانت المرأة تحتل المرتبة الثانوية في الأسرة، ودورها ينحصر في تنظيم " الحوش " وترتيبه، والعمل في المطبخ بتوفير الغذاء لأفراد العائلة،[7] ورعاية الأطفال وما يتبقى من وقت تقضيه في صناعة الصوف لتوفير المنسوجات المختلفة لأعضاء العائلة أو من اجل بيعها في السوق.[8] وهي دوما ماكثة في البيت ولا

---

1 - وثيقة " هبة " مسجلة بمحكمة قمار الشرعية بتاريخ 30 سبتمبر 1894 وهي في حوزة السيد صالح فالح بالرقيبة.

2 - وثيقة " هبة " مسجلة بالمحكمة الشرعية بالوادي تحت رقم 588 بتاريخ 28 شعبان 1319هـ-1901م- نقلتها من أصلها يوم 2000/10/16. وهي في حوزة السيد شيحاني حسن بالوادي أن الأشيب محمد بن عمار العشي وهب ابنيه البشير وبلقاسم خمس نخلات بجر وازيتن. وأما الغرس المسمى غرس " البهيم " فجعله فداوي -.

3 - وثيقة " وصية " مسجلة بالمحكمة الشرعية بقمار تحت رقم 437 بتاريخ 24 فيفري 1887. وهي في حوزة السيد صالح فالح بالرقيبة.

4 - محمد الساسي معامير – **التقويم الجزايري العام لسنتي 1345هـ-1927م-** – نشر المكتبة التونسية. مطبعة النجاح بتونس. ص ص339 – 340.

5 - وثيقة بتاريخ 1272هـ1855م- كتبها قاضي تاغزوت بلقاسم بن أحمد التليلي – هي في مكتبة السيد يحي بوضياف التاغزوتى المنزلية.

6 - " وصية " مسجلة بمحكمة قمار الشرعية تحت رقم 46 بتاريخ 30 سبمتبر 1894 وهي بحوزة السيد صالح فالح بالرقيبة.

7 - أبو القاسم سعد اللّه – تاريخ الجزائر الثقافي – ج 6 .ص345.

8 - Rapport nommé " Rubrique ". P 04.

تخرج منه إلا قليلا لزيارة أهلها أو تهنئة قريب أو تعزية مصاب ويكون الخروج ليلا، [1] وهي تـرتدي لباسا سابغا يغطي محاسنها، [2] ويستـر كامل جسدها ويكون في بعض الأحيان بـرنس زوجها الذي يكون حارسا ومرافقا لها في تلك الأوقات. [3]

وإذا كانت متزوجة وتسكن بعيدا عن أهلها، وتتغيب عنهم عدة سنوات، يتشوق الجميع لرؤيتها ومنهم والدها، مثلما حدث للشـاعر علي بن حامد، [4] الذي كان ينتظر من زوجها (صـهره) أن يحمل الهدايا من قمح وشعير، ويقدم بها زائرا ويدعو لهما بالحفظ والسلامة فيقول:

هـــــــزي رحـــــــالك * وشوفي حباب لباغيين سـوالك

ومنزالهم يجمـل مع منزالك * تعبي جمالك من حبوب رخية[5]

والله يحمي ضفتك ورجالك * والله لا يخيب عشير النية. [6]

والعرف لا يمنعها بعد وفاة زوجها، أن تبيع ما ترثه مع ابنتها، [7] وتحضر بنفسها إلى المحكمة الشرعية وتسجل ذلك في عقد شرعي. [8]

والجديـــر بالذكر أن العائلة الســوفية يسـود داخلها " الحياء " المفرط فالابن في أيام زواجه الأولى يحتجب عن والـده لمدة ســبعة أيام، ولا يلتقي بزوجتـه إلا بعـد حلول الظلام، ويغـادر حجرتـه قبـل الفجر، [9] وعندما يـرزق بالأولاد فيستحي من حملهم أو تقبـيلهم في حضرة والده، أما زوجته فتمتنع بتاتا عن بعض التصـــرفات في حضـــرة الرجال وخاصـــة زوجها، فتعتبـــــر الأكل أمامه عيبا وعارا، ويتطور التصرف الذي يعتبـر جريمة نكراء إذا تجرأت وطلبت منه أن يحضر لها بعض الأغراض في البـيـت وقد يكون سببا في طلاقها.

---

1 - أحمد بن الطاهر منصوري – **الدر المرصوف في تاريخ سوف** – دار الهدى. ج 1. ص90.

2 - .Isabelle Eberhardt- Mes journaliers – P 98

3 - أحمد بن الطاهر منصوري – المرجع السابق. ص90.

4 - علي بن حامد 1872 – 1930- كانت ابنته متزوجة في مكان بعيد.

5 - إشارة إلى الهدية التـى كانت يومئذ شيء من الحبوب من قمح أو شعيـر.

6 - أحمد محمد زغب – أعلام الملحون – ص154.

7 - عقد " بـــيع " بالمحكمة الشرعية بالوادي تحت رقم 1066 بتاريخ 19 مارس 1896 وفيه أن فاطمة بنت نصر بن قماري العشية وأمها مبـــروكة باعتا إلى قايد لعشاش حصتهما من النخيل- الوثيقة في حوزة بن موسى حاج محمد. حي لعشاش الوادي.

8 - عقد " بـــيع " بالمحكمة الـشرعية بالوادي تحت رقم 280 بتاريخ 16 أوت 1895، سجلته بمعية الـسيد العربـــي مـصباحي من الـسجل الا صلي للمحكمة الشرعية. موجود في مكتب التوثيق للسيد الموثق رزاق بعرة عبد المالك بالوادي.

9 - .Isabelle Eberhardt- Mes journaliers – P 76

وتتعرض المرأة في المجتمع للطلاق إذا كانت عقيما أو تنجب البنات فقط، [1] وتكثر الطلاقات وتتعدد لأتفه الأسباب. [2] وتتنازل له عن صداقها وتزيده مبالغ مالية في بعض الأحيان، [3] وتعطى لها حضانة ابنتها لمدة ثلاث سنين. [4]

رابعا: حقيقة الزواج ودوره في بناء الأسرة السوفية:

كان بناء الأسرة السوفية يقوم أولا بالزواج، وعندما يتكاثر الأولاد تستقل الأسرة في سكن مستقل لتكون نواة لعائلة جديدة تحت سيادة الزوج، ويمر الزواج بمراحل، وأول خطوة هي اختيار الشاب لزوجة المستقبل، إما برؤيتها عند الآبار، عندما تخرج مع زميلاتها لملء قرب الماء، فيقابلها ويحادثها وعادة يحدث هذا في المجتمعات البدوية، [5] وفي بعض الأماكن العريقة مثل الزقم وقمار وكانوا يسمونه " التغرزين ". [6] أو يلمح هذه الفتاة في حفل زواج في الحي الذي يسكنه، ولكن في أغلب الأحيان تتم الخطبة بين الأولياء بدون علم أصحاب الشأن بل هم آخر من يعلم بعد أن تتم الموافقة.

ولكن الشاب الذي يرغب في فتاة ويرفض أهلها الموافقة، يدفعه حبه لها إلى تحين الفرصة السانحة ويخطفها بمساعدة بعض أصدقائه، [7] ويلجأ بها إلى منعزل آمن، إما إلى زاوية دينية أو أسرة احد الوجهاء، [8] "... ويكرم رب المنزل مثواها وما يرجعان إلا بعد تراكن أبويهما أو وليهما بل بالعقد عليهما، ومن أبي فما ينال إلا دعاء الشر هو وعروسه من صالحي البلدة ومشيبها ". [9]

وقد تكون المسافة التي تهرب فيها الفتاة بعيدة مثلا ما بين الحمراية والطيبات، [10] وبعد مدة يتصل الوجهاء بولي الطفلة ويراجعونه في الأمر حتى يقبل مضطرا خوفا من الفضيحة والعار، رغم أن الخاطف يصون عرضها ولا يمسها بأي سوء. [11]

---

1 - André Voisin. op. cit. p 80.

2 - رسالة من أبى ضياف بن أحمد التاغزوتي إلى أهل المغير من أصدقائه بتاريخ 1315هـ .ذكر أن هذه السنة حدثت ست طلاقات وثيقة سابقة.

3 - وثيقة بالمحكمة الشرعية تحت رقم 236 بتاريخ 7 أفريل 1882 طلاق الحاج احميدة لكوينينى لزوجته خديجة بنت عبد اللّه التاغزوتية - وهي في حوزة السيد يحي بوضياف – تاغزوت.

4 - وثيقة مسجلة بالمحكمة الشرعية بقمار رقم 4017 بتاريخ 1291هـ1874م- نقلتها من السجل الأصلي بمعية السيد مصباحي العربى. موجود بمكتب التوثيق للسيد رزاق بعرة عبد المالك. الوادي.

5 - Isabelle Eberhardt- Dans l'ombre. P 232.

6 - Ahmed Nadjah. op. cit. p 112.

7 - تدعى هذه العملية " الهرابة " وتكون في بعض الأحيان بعلم الفتاة وتفاهمها مع خاطفها وأحيانا أخرى بدون علمها.

8 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق. ص343.

9 - محمد الساسي معامير – التقويم – ص343.

10 - Isabelle Eberhardt- Dans l'ombre – P 239.

11 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق. ص11.

ويتم الزواج بـــين مختلف الطبقات والمجموعات المتمايزة، ومع ذلك فهو مكلف بالنسبة للفقراء، ويحتاج إلى بذل المال في أيام العرس، [1] ولهذا فالنســاء يفضــلن صــاحب المال وفي مقابل ذلك تنطلق أصوات الحكمة تدعو الرجال إلى اختيار المرأة على أساس الخلق والدين:

اللي تحبك عن مالك ماتمّنهاش * بعد فقرك اتفارقك في رمشة عين

واللي تحبك عن جمالك ماتسواش * إذا القات خير منك اتبدلك في الحين

واللي تحبك عن دينك ماتسيّبهاش * لو تصبر عن جالها عشر سنين[2]

وقد يطول انتظار أهل المرأة في فترة الخطوبة ويخافون على ابنتهم، ويكون الزوج فقيرا، فيطلب منه أهل الفتاة أن يسرع في إتمام مراسيم الزواج أو يفسخ خطوبته وعند استرساله في التسويف يفسخونها بأنفسهم، وتعطى الفتاة لشاب من بنـــي عمومتها أو غيـــره، وهذا ما حدث لأحد الشعراء، [3] فسجل الحادثة في القصيدة التي قال فيها:

شقرة شقت خاطري بالسهر * غبت جـــــــاني الخبر

طعمت عَطَوْ فالها لمن حضر[4]

وعموم الناس يخافون على بناتهم " البوار " فيزوجوهن في ســن متقدمة عند البلوغ أو قبله بقليل في سن الحادية عشر فما فوق، وقد يكون زوجها شابا، أو كهلا يكبرها بمرحلة هامة من العمر وخاصة إذا كان تاجرا موسرا. [5]

أما هدية العرس فكانت بسـيطة تتمثل في بعض الألبســة أو الخضــر والحيوانات، أو بعض النقود ويتطور ذلك حسب المستوى المعيشي للمجتمع، وقد تأسف الشاعر علي بالجدلة[6] عن القرن التاسع عشــر عندما كانت الهدية متواضــعة، وبتطور الأيام زادت وصــارت في آخر حياته بالآلاف من الفرنكات فيقول:

منين كانت النية كنا نهدو في كابوية * تَوْ .. عَادْ الشرط بالالفية لاعادت براكة فيها[7]

والمهر قد يكون مالا يقدم نقودا تحدد وتكتب في عقد الزواج الذي يسـجل في المحكمة الشــرعية بالعبارات التالية: " تزوج المكرم إبـــراهيم بن احمد بن عمار بن العيد الحمدي بالحرة حده بنت الحاج

---

1 - André Voisin. op. cit. p 80.

2 - حسان الجيلانـي – **من التـراث الغنائي بوادي سوف** – دار الشهاب. باتنة. الجزائر. ص170.

3 - هو الشاعر امحمد بن دغمان المتوفي عام 1882 في الصحراء وكان له مزار في قرية بوعروة.

4 - أحمد محمد زغب – أعلام الملحون – ص188.

5 - Mohamed Rochd – Isabelle Une Maghrébine. P 192.

6 - هو علي بن خليفة بن العربـي بن الغنبازي توفي في حدود عام 1925.

7 - لقاء مع [والدي]الحاج لخضر بن أحمد غنابزية بالجدلة 1995/04/28.

محمد الحيلي القبـــيـــل على صداق مبارك ستة وعشرون ريالا[1] رواج سوف نصفهم معجل ونصفهم مؤجل إلى سنة تزويجها بكلمات الله العلية وسنة نبـيـه المرضية انكحه إياها خالها الحاج إبـراهيم بإذنها ورضاها وتفويضها ذلك إليه..."[2]

وقد يكون المهر مرفقا بأشياء أخرى غيـر المال، وليس هناك فرق كبـيـر بـيـن المرأة البكر أو الثيب مثلما حدث سنة 1895 فقد " تزوج بلقاسم بن الريغي العشي بالثيب فاطمة بنت عبد القادر بن محمد المصعبي على صداق قدره اثنى عشر فرنكية ونصف، وزوجيـن فضة واخلال وعطرية وحولي والحوايج المضافة في أسفل، وعلى شرط أن يلبسها مادامت في عصمته زوجيـــن ذهب وشركه، وزوجيـــن خلخال، زوجها أبوها بعد توكيلها إياه ورضاها بالزوج والصداق والزوج قبل لنفسه ".[3]

وقبل الزواج يتم حمل " قفة العطرية " إلى بـــيـــت الزوجة وتشمل الهدايا المتمثلة في المواد الغذائية والحيوانات كالخروف، إضافة إلى المواد العطرية التـي تتـــزين بها الزوجة من خضاب (الحناء) والعطور والكحل والجوز لتجميل الفم والفتول[4] والبوش[5] والجاوي[6] وبعض الألبســـة مثل الحولي والملحفة والقميص الذي تـــرتديه ليلة الزفاف.[7] إضافة إلى المجوهرات الفضية مثل الخلة التـي تلصق بصدرها ولباسها، والخلخال في أرجلها و "المقاوس" وهي أساور اليد و" المشرف " وهو القرط في الأذن ويكون قطره ما بـيـن 4 إلى 8 سم وتكون المجوهرات مرصعة ببعض النقوش،[8] ويجلب البعض " زوج ذهب "ويحمل لها صندوق صغير يدعى "ربعة" تضع فيه العطور والمجوهرات،[9] أما ألبستها فتعلقها في الجدار في حبل أو ركيزة أو معلاق خاص يثبت في حائط الحجرة (الدار) .

وتتم مراســـيم العقد أمام القاضـي أو الجماعة،[10] ويتولى ذلك إمام المســجد، وحينئذ تبدأ أيام الأفراح ويـدوم العرس لمـدة أســبوع، وتحمـل المرأة يوم " الرواح " فوق ظهر بغـل بعـد حلول الظلام

---

1 - قيمتها حوالي 32 فرنك فرنسي.

2 - عقد زواج مسجل بالمحكمة الشرعية بالوادي تحت رقم 3329 بتاريخ 15 رجب 1290هـــ1873م- نقلته من السجل الأصلي بمعية مصباحي العربـي. موجود في مكتب التوثيق عند الموثق رزاق بعرة عبد المالك. الوادي.

3 - عقد زواج مسجل بالمحكمة الشرعية بالوادي تحت رقم 275 بتاريخ 12 أوت 1895 الموافق لـ 10 صفر 1313هـ، نقلته بمعية العربـي مصباحي في 2000/10/15 من السجل الأصلي في مكتب التوثيق السابق.

4 - **الفتول:** مسحوق يخفف حدة الزيت في الشعر وتدهن به بشرتها لتصبح ناعمة.

5 - **البوش:** الزيت الذي يدهن به الشعر ليصير ناعما به بـريق.

6 - **الجاوي:** تضعه المرأة في "البخارة" أو "المجمرة" الطينية لتطيب المكان ويدعى " بخورا " مع إضافة مواد عطرية أخرى.

7 - أحمد بن الطاهر منصوري – المرجع السابق. ص88.

8 - André Voisin. op. cit. p 86.

9 - أحمد بن الطاهر منصوري – المرجع السابق. ص89. إبـراهيم العوامر – المرجع السابق. ص237.

10 - Mohamed Rochd- op. Cit. P 199.

وخصوصا عند الحضر، ويكون نهارا عند البدو وتحمل فوق الجحفة (الهودج) التـي يحملها الجمل، [1] وعند وصول الموكب إلى منـزل العريس يحملها احد أقاربها، [2] ويدخلها من الباب حتى لا تصاب بالسحر أو نحوه من الأذى.

أما في يوم العرس فيتـزين الضيوف بأبهى ما عندهم من لباس، ويجتمع الرجال مع العريس في مكان خاص يدعى " الحجابة " ويـرافق العريس احد أصدقائه المتـزوجيـن يدعى المزوار أو الوزيـر يسهر على رعايته وتوجيهه. وفي مجتمع النساء تلتف النسوة حول العروس التـي تجلس في وسط الحوش. وفي كلا الطرفيـن يسود المرح والغناء والرقص، وتوزع الأطعمة على المدعوييـن والضيوف من التمر والخبـز في منتصف النهار، والكسكسي باللحم ليلا، إضافة إلى الشاي ويستمر ذلك إلى ساعة متأخرة من الليل، وبدخول العريس إلى مخدعه ينفض جمع الناس إلى منازلهم. [3]

وكل عرس يقام له مهرجان احتفالي يدعى " المحفل " يحضـره الرجال والنسـاء، والشـباب الذين يـرقصون على وقع الدفوف " البنادير " والمزمار " الزرنة " ويصاحب ذلك إطلاق البارود، [4] ويقام هذا المحفل في الشارع وتـرقص الشابات الصغيـرات بشعورهن المتدلية التـي يحركنها يمينا وشمالا وتدعى "رقصة النخ "[5] ويصاحب ذلك من حين لآخر زغردة النساء وغناء الشعراء. [6]

وهكذا كانت العائلة السوفية متميـزة بوحدتها، خاضعة للعادات والتقاليد، التـي تلقى الاحتـرام من المجتمع بأسره، لأنها تسهر على تنظيم شؤونه، والمحافظة على تماسكه.

ب) الأعراف ومكانتها في المجتمع السوفي:

كانت الأعراف الاجتماعية متعددة، ذات أبعاد تضامنيـة، وقواعد وقوانيـن تنظم شؤون المجتمع، وتجد الاحتـرام والتقديـر من كامل أفراده، وكل مخالف لها يعد شاذا تمسه وصمة العار، ويتعرض للعقوبات المختلفة المادية والمعنوية، وهي جزء هام من عادات المجتمع وتقاليده الضـاربة في أعماق التاريخ وأهمها في القرن التاسع عشر.

أولا: نظام التعاون ومظاهر التضـامن في المجتمع: وهي أخلاق سـائدة في المجتمع مرتكزة على القيم الخيرية التي يحث المجتمع أفراده عليها صغارا وكبارا ومنها:

---

1 - C. Cauvet – Notes – p 114.

2 - Isabelle Eberhardt- Mes journaliers – P 76.

3 - André Voisin. op. cit. p 81.

4 - أحمد بن الطاهر منصوري – المرجع السابق. ص89.

5 - Ahmed Nadjah. op. cit. p 40.

6 - C. Cauvet – Notes –p 114.

ـ **العوانة:** وهي " التويزة " ذلك العمل الشريف المحترم الذي تشترك فيه القرية بأسرها، [1] عندما يريد احد الأفراد بناء " حوش " عليه أن يحضر المواد اللازمة ويتعاون كامل سكان القرية في البناء، [2] لعدة أيام حسب الحاجة، ويستعمل نفس الأسلوب إذا احتاج اليد العاملة في غيطان النخيل من اجل التسميد أو العزق أو الجني، ويكون جزاء الجميع وجبة طعام دسمة بها السمن واللحم ويشربون الشاي فقط، [3] دون أن يقدم لهم شيئا من النقود.

- **التضامن المالي:** كما تبرز في المجتمع كثير من صور التضامن والتوسعة على المحتاجين سواء عن طريق " القرض " الذي يتحرون فيه الأجر والثواب والإحسان ويسجلون ذلك بقولهم " سلف الله ولحسان"[4] أو بيع بالأجل، للأرض، [5] أو الحوش، [6] أو النخيل، فجزء يقبضه البائع في حينه، والجزء المتبقي يدفعه بالأقساط لمدة يتفقان عليها تصل حتى سبعة أعوام أو أكثر، والتسديد غالبا يشترط فيه انصرام الشتاء، [7] من كل عام، لأن المدين يكون قد باع غلته من التمر. كما يتعاملون "بالرهن " لأعز ما عندهم وهو النخيل، وعند العجز يستوفي الدائن حقه من ذلك الرهن. [8]

- **الصدقة:** وهي معروفة من ذوي البر والإحسان والأغنياء، وقد تصل إلى الشيء الكبير مثل التصدق بهود بأكمله ويسجل في العقد الشرعي أن المتصدق يبتغي بذلك ثواب الله والدار الآخرة. [9]

- **الهدية:** وهي متبادلة بين السكان، فالفلاح يهدي لجيرانه الزائد من الخضر والفواكه الناضجة وفي موسم الخريف يهدي علاقة من البسر، وفي موسم الأعياد يهدون الطعام الشهي لإدخال البهجة والسرور على العائلات وتمتين أواصر الأخوة والمحبة. [10]

---

1 - C. Bataillon. op. cit. p 97.

2 - Ahmed Nadjah. op. cit. p 53.

3 - أحمد الطاهر منصوري – المرجع السابق. ص90.

4 - كراس تقاييد البيوع المؤجلة – مكتبة سالمي مصباح. الوادي.

5 - عقد " بيع " مسجل بمحكمة قمار الشرعية تحت رقم 158 بتاريخ 28 فيفري 1881 والعقد في حوزة السيد صالح فالح بالرقيبة اشترى صالح بن علي الحميدي قطعة أرض من أحمد بن بقور القماري والمبلغ المؤجل ثلاثة أعوام بالتقسيط-.

6 - عقد " بيع " مسجل بالمحكمة الشرعية بقمار تحت رقم 278 بتاريخ 13 فيفري 1893 والعقد في حوزة السيد صالح فالح بالرقيبة اشترى صالح بن علي الحميدي بن مسعود بن حم باري القماري حوش بقمار منه جزء يقبضه في الحين والباقي للشتاء المقبل-.

7 - عقد بيع مسجل بمحكمة قمار الشرعية تحت رقم 1015 بتاريخ 10 جويلية 1878 وهو موجود بالديوان السياحي بقمار أبناء محمد الصالح القماري باع أحدهم للآخر حصة نخيل والمبلغ المؤجل لمدة 7 أعوام -.

8 - عقد " رهن " مسجل بمحكمة قمار الشرعية تحت رقم 605 بتاريخ 15 مارس 1898 وهو موجود بالديوان السياحي بقمار اشترى محمد بالفتح القماري نصيب من القمح وعجز عن دفع قيمته فرهن جميع حصة نخيله إلى فصل الربيع القادم-.

9 - عقد " صدقة " مسجل بمحكمة الوادي الشرعية تحت رقم 3312 بتاريخ جمادى الثانية 1290هـ 1873م- وقد سجلته من السجل الاصلي بمعية السيد العربي مصباحي يوم 2000/10/15-. وهو موجود بمكتب التوثيق رزاق بعرة عبد المالك. الوادي. بلقاسم بن حدي العوني تصدق على أبناء سي أحمد وشقيقه محمد جميع الهود بجر سيدي عون-.

10 - أحمد بن الطاهر منصوري – المرجع السابق. ص91.

ثانيا: الفراسة والتعرف على الآثار فوق الرمال:

إن تعايش الفرد السوفي مع بيئته الطبيعية الصحراوية، وتنقله الدائم فوق الرمال اكسبه تجاربا، وتمرسا في التعرف على كل أنواع الآثار الإنسانية والحيوانية التي تدب فوق الرمال معتمدا على عدة قرائن منها:

ـ **الرياح:** من خلال تجمعها داخل الاثار يمكن معرفة قوة الرياح وهل المسير تم ليلا أو نهارا، فالرياح الغربية تهب خلال اليوم فقط وتتوقف في الليل، وغالبا تتوقف بنحو ساعة بعد غروب الشمس، بينما تهب الرياح الشرقية خلال الليل وتتوقف عند الفجر، أما رياح الشمال فلا تتوقف. وبهذا يتم التعرف بسهولة على آخر الرياح هبوبا، فيساعد ذلك العراف على استنباط عدة ملامح معتمدا على قرائن أخرى هي:

- **آثار الحيوانات البرية:** والتي تتنقل بمختلف أنواعها في الصحراء الواسعة في أوقات مضبوطة ثابتة، ومن خلال اختلاطها بآثار الإنسان يمكن تحديد الساعة بالتقريب لكلا الأثرين المتتابعين: فالجرذ يخرج ما بين الساعة الخامسة والتاسعة صباحا، والفنك والجربوع والثعلب والقنفذ يخرجون عند حلول الظلام ويرجعون إلى جحورهم قبل الفجر بقليل. أما الشرشمان والغزال فلا يتنقلان إلا في وضح النهار ما عدا وقتا محددا ما بين منتصف النهار والساعة الثالثة يتوقفان بسبب حرارة الشمس.

- **وضعية الإنسان:** يمكن تحديدها من حيث الجنس و العمر أو الصحة والمرض أو الحمولة من خلال تعمق أقدامه في الرمال: فآثار المرأة تكون ضعيفة فوق الرمال، بينما الشخص الكبير تكون أعمق، والشاب الذي قطع مسافات طويلة وأنهكه التعب تكون آثاره متساوية أو متقاربة، والذي به إعاقة في إحدى رجليه، ولو كانت قديمة فانه يترك آثارا بارزة تظهر من خلال ابتعاد الأصابع عن بعضها.

- **التعرف على القوافل والإبل:** إن آثار أخفاف الإبل فوق الأرض يدل على الإبل قبل رؤيتها، وعدد جمال القافلة، ومن أين هي آتية وماذا تحمل ومتى مرت بهذا المكان؟ فقد كانوا يعرفون الجمل في الصيف لا يتنقل ولا يأكل إلا ليلا، وفي الشتاء فان أوقات راحته محددة بدقة، فهو يستريح لمدة ساعة عند مطلع الفجر، وساعتين أو ثلاث خلال اليوم وفي المساء عند غسق الليل. كما يمكن أن يستدل بالبعر على أصل الجمل، وساعة توقفه في المكان، والوقت الذي مضى عليه منذ تناوله للماء في آخر بئر مر بها، وهل تناول العلف في آخر مرحلة توقف بها، ومن أي منطقة قدم. أما مقدار ما يحمله الجمل

فيعرف بواسطة أبعاد اخفافه فوق الأرض، والعراف الماهر له القدرة على التمييز بين الذكر والأنثى ولون الجمل.[1]

بهذه المعارف المعتادة يمكن للفرد السوفي أن يبحث عن حيوانه بسهولة ويسر في العرق الشرقي الكبير.

ثالثا: الضوابط العامة للمواقيت اليومية والسنوية:

كان عامة الناس يعتمدون في حياتهم اليومية على الحوادث والوقائع، فيجعلون منها المواقيت الزمنية التي يرجعون إليها ويؤرخون بها، وتصير من القرائن الثابتة التي يعود إليها الجميع مثل الأحداث السياسية التي وقعت بالمنطقة، فيقولون عام المقارين، عام لاكروا، عام عمار التارزي، عام القايد العربي، أو استنادا إلى الأزمات الاقتصادية التي مست حياة الناس والآفات العابرة فيقولون، عام الشر، عام الخموري الأول وعام الجراد الأول، أو يربطون التاريخ بالأحداث الدينية مثل عام حجة الجمعة وهو العام الذي صادف الوقوف بعرفة يوم الجمعة.[2]

أما فصول السنة وما يقع خلالها فيغلب عليه التقويم الفلاحي، ويتشابه كثيرا مع التقويم التونسي،[3] ولما كانت الحياة الفلاحية هي المحور الأساسي للمجتمع فقد كانوا يتعاملون بالأيام الخاصة بكل فصل، مستعملين الشهور العجمية التي تسبق الشهور الإفرنجية بثلاثة عشر يوما فيدخل شهر يناير العجمي عندما ينقضي من شهر جانفي أربعة عشر يوما. وفصول السنة مرتبطة بعادات وتقاليد يرجع إليها الجميع في حينها ويستندون إليها في تحديد مواعيدهم واحتفالاتهم.

رابعا: المقاييس الجزافية في المعاملات الاجتماعية:

كان الفرد السوفي يستخدم في حياته البسيطة مقاييس بدائية معتمدا على أطراف جسمه وخاصة يده ومنها:

فم الكلب، وهو الطول ما بين طرف إبهامه وسبابته، والقدم المتوسط، والشبر، والذراع، والجمع وهو طول مقدمة اليد المغلقة.[4] وعند قسمة الأشياء أو عدّها يعتمد على أشياء تقويمية بسيطة وفي متناول الجميع مثل العرمة والكدس والحارة (وعددها أربعة) والقرعة التي تضرب عند تقسيم الأشياء، فيأخذ كل واحد سهما، كما تستعمل للحطب والخضراوات الحزمة والربطة.

---

1 - André Voisin. op. cit. p 70 – 71. Ahmed Nadjah. op. cit. p 138.

2 - تقاييد أحمد مفتاح القماري – والشيخ سالمي مصطفى – والشيخ الطاهر اتليلي – الفوائد المنثورة. ص52.

3 - **رسالة الرعدية** – ضمن مجموع - طبع بالمطبعة التونسية. تونس. 1357هـ. ص26.

4 - André Voisin. op. cit. p 172.

خامسا: واجبات الرعاة:

كانت القوانين العرفية تحتم على الرعاة الاهتمام بقطعانهم التي كلفوا برعايتها وحراستها وحمايتها من الاخطار، وإعداد خيامها وجز الصوف المتراكم فوقها، وإزاحة الأوساخ التي تسبب لها الأمراض وتبييض جلدها بما يُغلى من نبات الرتم. وتوجد ثلاث قواعد تحدد الضرر وتحمّل الراعي المسؤولية عندما يتغافل عن مهمته:

1- لو أن حيوانا ضاع، فالراعي غير مسؤول عن ضياعه، ولكنه مطالب بالبحث عنه بشرط أن يترك حارسا في مكانه وغالبا يكون صاحب القطيع.

2- لو أن حيوانا أصابه حادث فالراعي ليس مسؤولا، ولا يطالب بثمن الحيوان إلا في الحادث الثالث.

3- لو أن حيوانا تعب فعلى صاحب القافلة أن يضع عنه الحمولة في الرمل ويرسم حولها دائرة تشير بأن هذا المتاع لا ينبغي أخذه أو لمسه حتى يعود إليه مالكه.[1]

سادسا: سلوكات عرفية عامة:

لقد انتشرت في القرن التاسع عشر عدة قوانين، وسلوكات عامة تعارف عليها المجتمع، نذكر منها:

1. عند البدوي بصفة خاصة إذا اشار إلى شيء من بئر أو عشب أو مكان بأنه وراء " الغرد " أو بعبارة " رمية عصا " فان الوصول إليه يتطلب يوما كاملا من المسير.[2]

2. كل الجمال التي ترعى في منطقة واحدة تجتمع في البئر في مدة معينة وحينئذ يستطيع صاحبها مقابلتها واستغلالها كما يريد.[3]

3. كل ما يسقط من " بلح " النخيل في الغيطان قبل نضجه مباح يمكن للغرباء أخذه، بينما التمر الناضج فان صاحب الغوط يخطط عليه خطوطا في نواحي النخلة، ويعد هذا الفعل اشعار لكل غريب انه يمنع الاقتراب، وإذا خالف ذلك يعتبر مخالفا العرف الاجتماعي والبعض يمسح الرمال وأي اثر للغريب يعتبر سارقا.

4. كانت اغلب المنازل بدون أبواب، فيكتفي صاحبها بوضع قطعة من القماش يسدلها على الباب ويغادر مطمئنا لأنه اشعر الناس بخلو البيت، وحينئذ لا يتجرأ أحد على الدخول وإلا اعتبر سارقا.[4]

---

1 - André Voisin. op. cit. . p p 62.

2 - Ahmed Nadjah. op. cit. p 36.

3 - Ibid. p32.

4 - لقاء مع السيد أحمد خراز 2001/03/24.

5. توجد غرفة تدعى " دار العشـور " واشـتهرت بها بلدة الزقم، وفيها يضـع كل من وجبت عليه الزكاة العشر من تمره، ويشرف أمين الدار على توزيع التمر على الفقراء والمساكين.[1]

6. أما الأماكن ذات البعد الاجتماعي المشـتـــرك مثل المسـاجد والآبار وأماكن الاغتسـال، فكان يسـهر الجميع على إدارة شؤونها وصيانتها، وتعتبر كل عائلة نفسها مسؤولة عن هذه المرافق فتبعث أفرادا منها للقيام بالأعمال اللازمة، أو تمدها بكل ما تحتاجه من أموال.[2]

وهكذا ســاهم العرف الاجتماعي في تجسـيد المعانـــي الســامية للتعاون وبذل المعروف وتحقيق التضــامن، كما كان للســلوكات والقوانـــيـــن الســائدة دور في تنظيم الحياة الاجتماعية، وتحديد المسؤوليات، ورعاية الحقوق والواجبات أثناء التعامل بـــيـــن أفراد المجتمع، وذلك جنبـــهم الوقوع في الفوضى وأبعد عن حياتهم الاضطراب والاختلال.

ج) المنتديات والألعاب في المجتمع السوفي:

أولا: المنتديات العامة:

إن طبـيـعة وادي سوف الساخنة واشتداد الضغط داخل البـيـوت، يدفع الرجال في أوقات فراغهم المسائية إلى الخروج والتجمع بقرب البـيـوت فوق الرمال الناعمة، في شكل جماعات متعددة ويطلق على مكان التجمع اسم الرحبة أو الساحة أو الجماعة.[3] مثل: رحبة بـيـر الجماعة بحي لعشاش، وفي قمار في كل جهة توجد جماعة ومن اشهرها " الجماعة الدخلا "[4] والتـي شيد في مكانها السوق عام 1877 وسمي باسمها فقيل"سوق الجماعة الدخلا ". ونفس الامر في كوينـيـن، [5] وتاغزوت والزقم، ومنها رحبة العرش بحي لعشـاش بالوادي، ورحبة سـعيدة في وسـط الزقم ورحبات أخرى حسـب الجهات، [6] ويكون جلوس هذه الجماعات تحت جدران البـــيـــوت طلبا لظلالها، ولتجنب الحرارة الشـديدة. واعتناء بأمر الشـيوخ الكبار شـيدت في بعض الأماكن "سـباطات"[7] مثل "سـباط الجماعة بتاغزوت، والزقم في وسـط السـوق شمال مسجد العدواني، ويجتمع فيها رجال القرية وقت القيلولة وبين أوقات الصلوات .[8]

1 - أحمد بن الطاهر منصوري – المرجع السابق. ص86.

2 - Ahmed Nadjah. op. cit. p 53.

3 - Ahmed Nadjah. op. cit. p 53.

4 - الطاهر اتليلي – الفوائد المنثورة – ص76.

5 - Ahmed Nadjah. op. cit. p 53.

6 - أحمد بن الطاهر منصوري – المرجع السابق. ص86.

7 - Ahmed Nadjah. op. cit. p 53.

8 - أحمد بن الطاهر منصوري – المرجع السابق. ص ص85 - 86.

وهذه الأماكن تشـــبه النوادي لأنها تجمع أهل الحـــــي في كل مســـاء، فيتعهدون أحوالهم ويحلون مشـــاكلهم ويتشـــاورون في مختلف شـــؤونهم ويتعرفون أخبار بعضـــهم في الغيطان، وكل من يحتاج إلى مســـاعدة في أعمال النخيل، ينظمون له العوانة. كما يتعرفون في هذه المنتديات على المرضـــى منهم فيتعهدونهم بالزيارة، وأي غريب عن القرية يســـتعصـــي عليه أمر الدخول إليها إلا بعد اخذ التوجيهات اللازمة والإذن من الجماعة[1] الساهرة على شؤون القرية ليل نهار وخاصة الشيوخ الكبار.

ثانيا: الألعاب والتسلية:

تتعدد الألعاب في المجتمع السوفي وتتنوع، ويمارسها الكبار والصغار وتـــرتبط بالمواسم والمناسبات ومنها:

- **الألعاب داخل القرية:** أشهرها " الخربقة " ويلعبـــها الكبار بصفة أساسية، وتتم بوضع 24 بعرة جمل و 24 حجرة بيضاء صغيرة في 49 حفرة صغيرة تنجز على وجه الأرض بالرمال على شكل مربع به 20 سم على 20 سم.[2] ويلعب الأطفال العابا تشبه الخربقة مثل " زوزاومات " و " الفوره "[3] إضافة إلى العاب أخرى تحتاج إلى الجري والحركة والاختباء مثل " الحليلة " أو تغميض الأعين مثل " احويط من "[4]

- الألعاب خارج القرية:

ـــ كرة القوس: وتشبه " الغولف " وتلعب بواسطة كرة من الصوف أو الوبـــر، وتضرب بقوس من "الكرناف " المأخوذ من جريد النخيل.[5] وتضم اللعبة فريقين متنافسين وغالبا من قريتين مختلفتين، وعدد اللاعبين غير محدود، فكل من حضر يشارك في اللعب، والملعب يحدد في الفضاء حسب المسافة التي يتفق عليها. وليس هناك مرمى لهذه اللعبة، وإنما يحدد مكان لكل فريق وعليه أن يوصل إليه الكرة حتـــى يسجل الهدف، وقد تمر أياما دون أن يسجل احد الفريقيـــن هدفا، وتحرك الكرة بالقوس ويمنع لمسها بالأعضاء.[6] وأما زمنها فيكون في فصل الخريف.[7]

---

1 - Ahmed Nadjah. op. cit. p 53.

2 - André Voisin. op. cit. p 80.

3 - Paul Bellin – **le Damier d'Abdallah** – Imprimerie lucien Volle. 1960. p p 5 – 6.

4 - Ibid. p p 14 – 15.

5 - C. Cauvet – Notes – p 110.

6 - علي بوصبيع العايش – المرجع السابق. ص ص26 - 27.

7 - C. Cauvet – Notes – p 110.

ـ **الارجوحة:** تلعب بعد منتصف النهار أيام الربيع وأوائل الصيف، إذ يربط حبل من الليف بين جريدتين متجاورتين، [1] أو غصنين يركزان في الرمال ويصنع مقعد، [2] ويلعب بها الأطفال خلال القيلولة.

- **المشاية:** (عكاز البهلوان) [3] وتصنع من الجريد القوي الذي تلصق به قطعة كرناف وتحكم بشدة وتوضع فوقها الأرجل ويمشي بها الأطفال فوق الأرض[4] .

ــ **السباق:** (الجري) ويتخذ إشكالا متعددة على الأرجل، أو بواسطة المهاري خصوصاعند البدو، [5] ويتضح مما سبق أن المجتمع السوفي كان يسوده المرح واللعب والسمر بين الكثبان الرملية، وفي عمق الغيطان، وفي الساحات الفسيحة بين " الحيشان " وكل ذلك يخفف عن الفرد السوفي الضيق الذي تفرضه الطبيعة بجفافها وانتشار رمالها وشدة حرارتها في مختلف الفصول.

د) المعتقدات الغيبية الخرافية:

يغلب على حياة السكان البساطة والسذاجة والإفراط في الاعتقادات الغيبية ذات الطابع الخرافي، والخوف الشديد من الجن والأشباح، والعين الحاسدة، والسحرة، والمشعوذين، وتكرس هذه المعتقدات خلال الممارسات اليومية، والحكايات الشعبية.[6] التي يلقنها الآباء إلى أبنائهم في ظلام الليل فينامون على القصص الخرافية الموغلة في الخيال التي تحكيها الجدة، وهي تصنع عقلية تؤمن بالخرافة وتتخيل الأشباح بمجرد حركة الرياح في الليل أو النهار عندما يكون الشخص وحيدا في غوطه، أو مسافرا في أعماق الصحراء، وتلك التخيلات يشعر بها اقرانه وينسج حولها قصة محبكة يصدقها الجميع ويتناقلونها ويتخذون الاحتياطات اللازمة كلما مروا بالمكان الذي حدثت به القصة المزعومة.

أولا: الاعتقاد في الأشباح والشياطين: يعتقد الأهالي كثيرا في عالم الجن والشياطين، والغول والأشباح، وتشكلها في صور حيوانات أو بشر بأقدام حيوانات، [7] وتثير القصص والحكايات الرعب الدائم وخاصة في الليل عند الاقتراب من المقابر أو المناطق النائية فيتخيل الأشخاص القوى الغيبية الخرافية ومنها:

---

1 - علي بوصبيع العايش – المرجع السابق. ص27.

2 - C. Cauvet – Notes – p 110.

3 - André Voisin. op. cit. p 80.

4 - C. Cauvet – Notes – p 111.

5 - Ahmed Nadjah. op. cit. p 39.

6 - André Voisin. op. cit. p 87.

7 - ثريا التجانى – **دراسة اجتماعية لغوية للقصة الشعبية في منطقة الجنوب الجزائري وادي سوف نموذجا** - دار هومة. الجزائر. 1998. ص43.

- **الغول:** وهو الذكر من الكائنات العملاقة، له رأس مخيف وشعر خشن يشبه الشوك، وأظافر ضخمة، ويصدر منه صراخ مرعب، وهو يسكن الحفر والكهوف ويأكل الفواكه والحيوانات ويلتهم الأشخاص، وأنثاه تدعى " الغولية " وتشبه الذكر في الشكل ولكنها تتصرف بلطافة حتى تتمكن من الفتك بالأشخاص.[1]

- **الشبح:** ويسمى " النيد " وهو الذي يثور في مكان الموتى بالصحراء في المواطن التي حدثت بها جريمة قتل، [2] ففي الليل يعتقد عامة الناس أن الأشباح المخيفة تظهر في ذلك المكان وهي روح ذلك الميت.

- **المصّوْرة:** وهي من الجن وتخرج في منتصف النهار (وقت القيلولة) ولها أرجل تشبه حوافر الحمار، وشكلها الآخر بشري، وتؤذي كل إنسان يتواجد في الأماكن الخالية وحده.

- **الرواحين:** وهم من العفاريت " الشياطين " المؤذية للأطفال الصغار وخاصة قبل سبعة أيام منذ الولادة، والأم السوفية تخاف على ابنها في هذه المرحلة من تبديله من طرف هذه " الرواحين " بصبي آخر عند غيابها عنه، وحتى توفر له الحماية الكافية تحمله دوما بين يديها، وعند نومه تضعه في المهد وتضع بجانبه قطعة حديدية مثل: السكين أو ملعقة من الملح أو قارورة صغيرة مملوءة ماء، وكذلك تستعمل الكحل في عينيه، وتعتقد أن كل هذه الإجراءات تبعد عنه الأرواح الشريرة وتحفظه من التبدل.[3]

ثانيا: الاعتقاد في العين والسحر:

إن الأضرار التي يخشاها الناس من أعين الحساد والقوى الروحية الخفية تدفعهم إلى طلب الحماية من السحرة والمشعوذين.

ـ الاعتقاد في العين الحاسدة: يخاف الناس من شر الحاسدين أصحاب " الأعين الحارة " ويقولون عنهم أنهم أصحاب قلوب سوداء حاقدة، وبعضا منهم اشتهر بذلك وتتولى السلطات المحلية محاربتهم ومنعهم من الحضور إلى الأماكن العامة كالأسواق درءا لخطرهم.[4]

ولتحصين أنفسهم وعقاراتهم وحيواناتهم من الشرور وخاصة العين، يثبتون بعض الأشياء بجدران المنازل مثل قرون الحيوانات وصفايح ارجل الحصان الحديدية، [5] وتعليق التمائم المختلفة في

---

1 - André Voisin. op. cit. p 89.

2 - ثريا التجانى – المرجع السابق. ص51.

3 - André Voisin. op. cit. p 87.

4 - Scelles. Millie. Op. Cit. P p 237 – 238.

5 - Andre Voisin. op. cit. p 89.

الحيوانات الأليفة مثل: تعليق التميمة في عنق العنـزة، [1] و"الخميسة" وهي يد صغيـرة، تعلق في صدور الأطفال، وتأخذ الأم ابنها إلى الطالب ليقرأ عليه. [2]

- **ممارسـة السـحر:** فتتم بأشـكال مختلفة من طرف أشـخاص يتعاملون مع عالم الجن، ويدّعون حماية الناس من تأثيـــراتهم، وهؤلاء منهم الرجال مثل: الطالب والعزام، والنسـاء كالشـوافة والتقازة، ومعظمهم يمارسون السحر والشعوذة.

- **الطالب أو العزام:** وهو الرجل الذي يكتب الأحجبة والتمائم ويدّعي أنه يعتمد على القرآن الكريم، فيقصده الناس لتحصين أنفسهم من شر الجن والإنس، [3] فيكتب لهم الطالب " الحجاب " أو "الكتاب " أو "الحرز " وهو ورقة صغيـرة بها طلاسم أو جداول ذات اشكال هندسية، مربعة، وفي وسطه حرف أو رقم يشيـــر إلى اسم الجان أو النجوم أو الشياطيـــن، ويتم اعداد هذه " الكتب " باعتماد السحرة على كتب خاصة بهذا الشأن، ولها حسابات معقدة والحرف الأخيـر يبـيـن اسم الشيطان الذي يعتمد عليه لتحقيق الغرض المطلوب، لكن بشرط أن يقدم له قربان، بذبح حيوان مثل الديك أو تـيـس بالقرب من الأضـرحة وعندئذ ينفذ لهم الطلب. [4] كما يأمر السـاحر المريض أن يغلق " الحجاب " بعد أن " يحرزه " في مجلد وبعض الناس يعلق كثيـرا من الحروز في عنقه وبـيـن ثنايا ملابسه. [5] ويقصد هؤلاء السحرة كل من يـريد التقريب بـيـن رجل وامرأة بالحب والزواج أو بالتفريق والطلاق، [6] أو من يـريد تقييد شخص وربطه به أو الحاق المكروه بشخصـه، [7] فيقوم السحرة بعملية "الربط " التـــي تسـتغرق كل ما سـبق ذكره. [8]

ويستخدم السحرة بعض الأشياء يثبتون بها سحـــــــــرهم مثل القفل أو العقد، وغالبا تتم اعمالهم السحرية في المقابر والأماكن الخالية على ضوء القمر، وقد يناولون المسحور شيئا في طعامه حتى يتمكن منه السحر. أما عمل الكهانة، فيمارسه الرجال ولكنه أكثـــر شهرة عند النساء الشوافات والقزانات،

1 - Isabelle Eberhardt- Mes journaliers – P 69.

2 - André Voisin. op. cit. p 88.

3 - ثريا التجانـى – المرجع السابق. ص ص44 – 45.

4 - André Voisin. op. cit. p 87.

5 - Ibid. p 88 Bis.

6 - ثريا التجانـى – المرجع السابق. ص45.

7 - André Voisin. op. cit. p 87.

8 - Scelles. Millie. Op. Cit. p 233.

وتدّعي الواحدة منهن معرفة المستقبل مستعملة القمح أو تقرأ راحة اليد، وتقدم العلاج للأمراض معتمدة على العقاقير والأعشاب وأمور سحرية أخرى.[1]

والجدير بالذكر أن البعد الديني كان أساس بعض المعتقدات، ولكنها فيما بعد خرجت عن الأصول والمبادئ ودخلت إليها طلاسم المشعوذين واستبدلت آيات القرآن الكريم بتمتمات غريبة وخزعبلات خرافية كاذبة، وعزائم منكرة، وتجمعت كلها في " السحر " الذي ترفضه المبادئ الإنسانية عامة، والأوامر الدينية بصفة أكيدة لا مراء فيها. والإسلام يسمح بالرقية للمريض ببعض الآيات القرآنية استنادا إلى الآية الكريمة "وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ".[2] والحديث النبوي "عليكم بالشفاءين العسل والقرآن " رواه ابن ماجه والحاكم.[3] ويقر بالحسد والعين وعالم الجن، ولكن لا يجعل لهم سلطان على الإنسان إلى الحد الذي عرفه المجتمع السوفي في فترة الدراسة.

ومجمل القول أن المجتمع السوفي خلال القرن التاسع عشر تميّز بأسسه الاجتماعية والتي تمثلت في بنيته وتركيبته البشرية، التي تجسدت في قبيلتين أساسيتين (عدوان وطرود) اللتين جمعتا كل فئات السكان، ومن خلالهما تطور المجتمع وتوسع خصوصا في النصف الثاني من القرن 19، بفعل تطور المستوى المعيشي، والحرص الشديد على محاربة الأمراض والأوبئة، والعناية الكبيرة بالجانب الصحي، فازداد عدد السكان الذي انقسم إلى قسمين أساسين حسب نمط معيشتهم، البدو الرحل الذين يتواجدون في الشمال والجنوب وتضمهم قبائل مختلفة، وسكان الحضر الذين استقروا في المدن والقرى، وساهموا بفعالية في اتساع الحركة العمرانية والزراعية، وتميزوا بفئاتهم المتعددة، فمنهم أصحاب المسؤوليات ضمن السلطات الفرنسية، ورجال الشؤون الإسلامية، والأثرياء، والعمال، والعبيد، وكانوا يشكلون وحدة متماسكة لخدمة المجتمع وتنميته.

كما تعتبر العناية بالمستوى المعيشي إحدى الأسس الهامة للحياة الاجتماعية، والتي تمثلت في التمر واللبن كغذاء أساسي، إضافة إلى وجبات أخرى تحضّر من القمح والشعير، وارتداء ألبسة خفيفة بسيطة تتوافق مع حرارة المنطقة في معظم شهور السنة، كما هو الشأن بالنسبة للمساكن التي ارتبطت بظروف السكان الاجتماعية ومواقع تواجدهم. فالبدو كانوا يسكنون الخيام، والمهتمين برعاية البساتين (الغيطان) كانوا يأوون إلى مساكن ريفية مؤقتة، تفتقر إلى ضرورات العيش، في الوقت الذي

1 - ثريا التجانى – المرجع السابق. ص45.

2 - الآية 82 من سورة الإسراء.

3 - ابن القيم الجوزية – الطب النبوي – ص27.

كانت مساكن القرى والمدن ذات مستوى رفيع بما احتوته من مرافق كان لها الأثر الإيجابي في تحقيق المتطلبات الضرورية للسكان.

والجدير بالذكر أن مستوى المعيشة كان له آثاره الإيجابية على المستوى الصحي للسكان، بسبب انعدام التلوث البيئي، واعتماد نظام غذائي معتدل ومتوازن.

أما العلاقات الاجتماعية، فتجسدت أولا في نظام العائلات التي كانت مسيرة في مختلف شؤونها من طرف الآباء، ويكون الأبناء رهن اشارتهم في كل شيء، أما النساء فليس لهن أي تدخل في شؤون العائلة، وإنما يشتغلن في عمل مستمر لرعاية الأبناء وتهيئة المساكن ونسج الصوف، وعندما تظهر علامات البلوغ تزف إلى زوجها في وقت مبكر من عمرها، ورغم أن تكاليف الزواج كانت بسيطة، فإن بعض أفراد المجتمع يعرضون عنه بسبب فقرهم وحاجتهم.

وقد تمتنت العلاقات الاجتماعية بانتشار الأعراف الصالحة التي تحث على التعاون والتضامن، وتكرس معاني الأخوة والمحبة، كما أن ضرورات الحياة جعلت السكان يتمرسون في الفراسة، ويحددون ضوابط عامة لمواقيتهم اليومية والسنوية، والتي كانت بمثابة القوانين الاجتماعية التي تلقى الاحترام من جميع السكان، لأنها السبيل الوحيد للمحافظة على النظام العام.

وكان السكان بعد الإرهاق اليومي يركنون إلى منتدياتهم العامة التي ينفسون فيها عن أنفسهم، ويمارسون العابا تدخل عليهم البهجة والسرور، ولكن رغم ذلك فالمجتمع تسوده الاعتقادات الكبيرة في الأشباح والخوف من الشياطين والعين الحاسدة، والإسراف في اللجوء إلى السحرة والمشعوذين وتصديقهم، وحدث ذلك بسبب المستوى الثقافي الذي غلبت عليه البساطة عند عامة الناس، إضافة إلى وقوع انحراف في فهم النصوص الدينية الأساسية، وحينئذ تسربت البدع والخرافات والدجل والشعوذة إلى حياة السكان رغم انتشار المدارس والمراكز الدينية ووجود العلماء في مختلف المدن والقرى .

الفصل الرابع

الحياة الثقافية والدينية للمجتمع السوفي خلال القرن التاسع عشر

1. الحياة الثقافية في المجتمع السوفي

أ) التعليم في المجتمع السوفي

ب) الثقافة الشعبية

2. التراث الفكري المخطوط والمكتبات في سوف

أ) فن النسخ وأشهر النساخين

ب) المكتبات بوادي سوف خلال القرن التاسع عشر

ج) التراث الفكري بوادي سوف في القرن التاسع عشر

3. الحياة الدينية وأثرها في المجتمع السوفي

أ) مكانة الأولياء في حياة السكان

ب) الاعتقاد الكبير في القوى الغيبية

ج) الأعياد الدينية

د) الطائفة اليهودية في وادي سوف خلال القرن التاسع عشر

4.المراكز الدينية في المجتمع السوفي في القرن التاسع عشر

أ) دور المساجد الديني والعلمي في المجتمع

ب) الطرق الصوفية وزواياها في المجتمع السوفي

ج) القباب والمزارات

الحياة الثقافية والدينية للمجتمع السوفي خلال القرن التاسع عشر

إن الثقافة تنبع من تفاعلات المجتمع مع القيم التـي يؤمن بها، والفكر السائد في محيطه الاجتماعي. ويتأثر كل مجتمع بعوامل خارجية ومؤثرات ثقافية متنوعة يتلقاها السكان بواسطة التربية والتعليم في المؤسسات العلمية كالمدارس والمساجد، والتـي يشرف عليها العلماء والمؤدبون بما يعقدونه من دروس لطلبتهم ولكافة أفراد المجتمع، فيكون لهم التوجيه الديني بتربيـة الأفراد على الآداب والقيم النبيـلة. إضافة إلى الهجرة لطلب العلم بجامع الزيتونة بتونس، أو أثناء السفر لأداء فريضة الحج.

أما الثقافة الاجتماعية التـي يتلقاها السكان فمصدرها مؤسسات أخرى منها الأسرة والزاوية والمنتدى، ويشرف عليها الأولياء، ورجال الطرق والمرابطون، وبعض الدجالين الذين يـروّجون الخرافة ويرعون الأسطورة، وتنعكس بعض أشكالها في الآداب الشعبيـة. إن الحياة الثقافية في المجتمع السوفي ذات مظاهر علمية ودينية متشابكة الجوانب متعددة الأبعاد خلال القرن التاسع عشر.

1- الحياة الثقافية في المجتمع السوفي:

أ) التعليم في المجتمع السوفي:

ينقسم التعليم في المجتمع السوفي خلال القرن التاسع عشر إلى تعليم أصيل ينطلق من مقومات المجتمع، وتعليم أجنبـي فرضته الظروف الاستعمارية والتحولات السياسية التـي عاشها المجتمع يومذاك.

أولا: التعليم القرآني في المجتمع السوفي:

كان التعليم منتشرا في كامل أنحاء القطر الجزائري خلال القرن التاسع عشر [1] وخاصة التعليم القرآني الذي لقي رواجا واهتماما بوادي سوف بفضل المؤدبين والزوايا، [2] وأكد على ذلك الشيخ حمزة بوكوشة بقوله "...حتى لا تكاد تجد بسوف أميا لأن التعليم منتشر فيها انتشارا..." [3] كما عبرت على ذلك الكاتبة الفرنسية "سيللي ميللي " بقولها: " ...وليس غريبا أن نجد واحدا من عشرة يحفظ القرآن كله بـينما في باقي إفريقيا الشمالية فإن هذه المعرفة خاصة بالطلبة وبعض الخواص بنسبة **1000/1**..."[4] وتوجد بالمنطقة مجموعة من المدارس القرآنية (الكُتّاب) التي يتعلم فيها الأطفال القراءة والكتابة أولا

1 - محمد العربى الزبيري – المرجع السابق. ص48.

2 - أحمد توفيق المدني – كتاب الجزائر- ص226.

3 - مراسلة خاصة تلقيتها من الشيخ حمزة بوكوشة بتاريخ 12 جانفي 1994. ص03.

4 - J. Scelles Millie. op. cit p 24.

حسب الطرق المستعملة في باقي البلدان الإسلامية.[1] ففي كل قرية أو حـي على الأقل مدرسة أو اثنتان تابعتان للمسجد، أو منفصلتان عنه، [2] ولعل من أقدم المدارس التـي شيدت من طرف العائلة في حـي لعشـاش هي "مدرسـة القروي" في حدود 1890، ومؤسـسـها رجل تاجر وفلاح يدعى محمد القروي بن علي.[3]

ولا يوجد في هذه المؤسـسـات التقليدية أي أثاث أو تجهيـزات، وإنما الجميع يجلس على الرمل أو فراش بسيط محدود الانتشار أثناء فصل الشتاء، وكل طفل ينتمـي لهذه المدرسة لابد له من لوح من الخشب[4] وأحسنه الذي يكون من شـجر الزيتون الذي يستورد من تونس، [5] إضافة إلى الطيـن الذي يمحى به اللوح بعد حفظ ما فيه من القرآن، وكل طالب في المدرسـة كان عليه أن يمتلك مجموعة من الأدوات البسيطة وهي "الصمغ" الذي يستورد ويحرق ويوضع في دواة ومعه شيء من الصوف والماء حتى يصير حبرا صالحا للكتابة، ويصنع لذلك قلم يسن من القصب، [6] إضافة إلى نسخة من القرآن الكريم تحفظ كلها في " مخلاة " صـغيـرة من الصـوف أو الكتان، ووجود هذه الأدوات مع الأطفال دليل على اهتمامهم بالحفظ وانضباطهم في دراستهم.[7]

أما مؤدب الصبـيـان فيدعى " الطالب " أو " نعم سيدي "، وهو شخص متواضع ليست له أجرة محددة إلا ما يحمله إليه الأطفال أو آباؤهم عند مناسـبات ربطت بالتعليم ومراحله، أولها " الفتوح " وهو شيء من التمر أو الطعام الذي يحمل إلى الكُتاّب في أول دخول الصبـي، وكلما تحصل على شيء من القرآن الكريم يأتـي "بالختمة " وهي من الطعام غالبا وجعلت لها سـور معروفة من القرآن وهي سـورة الإخلاص والبينة والأعلى والنبأ وسورة الجن والملك والجمعة والمجادلة والرحمان والفتح ويس والسجدة والفرقان ومريم ويوسف والأعراف والبقرة.

كما يحمل الأطفال لمعلميـهم كل يوم ثلاثاء بعض الأعواد من الحطب " الحضور " أثناء الشتاء من اجل تجفيف الألواح بعد محوها، والتدفئة، أو يحملها إلى بـيـته. وشيء من المال في كل أربعاء ويدعى "الاربعية " ويختلف مقدارها حسب المستوى الاجتماعي، وفي الأعياد والمواسم الدينية يستفيد "الطالب" من "لعبار واللحمة "، وهو شـيء من القمح واللحم في عيد رجب أو شـعبان أو القدري أو عاشـوراء أو

1 - C. Cauvet – Notes. p 106.

2 - Ahmed Nadjah. op. cit p 108.

3 - لقاء مع الشيخ محمود القروي بن محمد. يوم الجمعة 2000/08/18.

4 - Ahmed Nadjah. op. cit p 108.

5 - لقاء مع المعلم – الصادق اقديـري بالوادي في 2 جويلية 2000.

6 - André Voisin. op. cit. P 190.

7 - يقولون عن المتهاون " لا قلم لا دواية لاو امعمل عالقراية " .

المولد و العيد الصغير يمنح بعض الألبسة، وفي العيد الكبير يمنح كسوة وقندورة وشاش.[1] وفي فصل الخريف يقدم الصبيان لمعلمهم شيئا من التمر بعد قطع الغلة.[2]

كان الكُتّاب يستقبل الصبيان منذ طلوع الفجر مهما كان الفصل الزمني، فيكون فطورهم الصباحي هو القرآن، وكان بعض المؤدبين يرشد طلبته إلى أن يكون أول كلامهم عند استيقاظهم من النوم ترديد بعض الكلمات والأدعية مستعينين بها على الحفظ.

أما الأطفال الصغار فيدخلون إلى الكُتّاب في سن الرابعة أو الخامسة من العمر، [3] فيتولى المعلم تلقينهم المبادئ الأولى للحروف بنفسه أو يكلف بهم " عريفا " من طلبته النجباء ويتدرج معهم في التعليم وفق أصول مضبوطة وطرق تربوية حكيمة رغم بساطتها، فهي لا تختلف عن الطرق الحديثة إلا في الشكل والوضع فقط. فأول ما يبدأ معهم " الابجدية القرآنية " وتدعى " اليف " نسبة إلى أول حرف، فيحفظوها حرفا حرفا، وحتى يتمكن هؤلاء الصغار من التمييز بين هذه الحروف، يربطها لهم المعلم بصور وأشكال توافق الوسط الاجتماعي الذي يعيشون فيه، وهي طريقة تشبه الصور التي توضع في الكتب المدرسية العصرية، فيشبه لهم حرف الألف بالعصا، والباء بالسن الصغيرة، والدال التي تكتب بطريقة ملتوية إلى أعلى وأسفل بالجناحين، والهاء التي بها حلقتين يشبهها لهم بالبطنين. وبعد التعرف على شكل الحرف يلفت انتباههم إلى النقط التي توجد فوق الحرف أو أسفل منه أو انعدام النقط تماما وتسمى هذه المرحلة باسم " أليف لا شي عليها ".

أما المرحلة الثالثة، فيعلمهم الحركات على الحروف على أربع مراحل: أولها الفتحة وتسمى " النصبة" وتدعى " آنصب" وثانيها الضمة وتسمى "الرفعة " وتدعى أورفع، وثالثها هي الكسرة وتسمى " الخفضة " وتدعى إ خفض، ورابعها هي السكون وتسمى " الوقفة " وتدعى " أأ قفْ "، وفي الأخير: تجمع كلها مرة واحدة ويقرا كل حرف بالحركات الأربع، وبعد تعلم الصبي الأبجدية جيدا ينتقل لتعلم سورة الفاتحة، أما الكبار فيتجمعون صباحا في حلقات وصفوف متوازية حول مؤدبهم وهم يمسكون بالواحهم وأقلامهم ينتظرون الدور للإملاء عليهم، فيملي المعلم على الجميع حتى ينتهي كل منهم من كتابة لوحه الذي يقوم المؤدب بتصحيحه، ثم يبدأ كل منهم يقرأ بصوت مسموع، فيشكلون دويا يشبه دوي النحل يبلغ مسافات كبيرة. وهم يدرسون يوميا ما عدا مساء الأربعاء ويوم الخميس بأكمله وصباح الجمعة،

---

1 - لقاء مع المعلم – الصادق اقديري في 2 جويلية 2000.

2 - أبو القاسم سعد اللّه – تاريخ الجزائر الثقافي – ج 3. ص49. .C. Cauvet – Notes. p 111

3 -. Ahmed Nadjah. op. cit p 109

وفي مسائه يستأنفون الدراسة، [1] أما الإجازات فلا تكون إلا أيام الأعياد، [2] وخاصة في عيدي الفطر والاضحى، الذي يحتفل فيهما طلبة القرآن برسم " خط العيد " وزخرفته بأشكال فنية وتلوينه، [3] بحجارة تلتقط من الأرض تسمى "المغرة " وهي حمراء مع صفرة، فتحرق وتخلط مع الخل ويزين بها الأطفال ألواحهم.[4] وحينئذ يقول الأطفال مرددين " خط العيد يا جديد يا حنان يا منان الله يفتح علينا القرآن "، وفي أيام خط العيد وهي اثنا عشر يوما قبل العيد وستة أيام بعده يرفع اللوح فلا يكتب فيه أي شيء، وتخصص تلك الأيام للتكرار فقط. [5]

وكان انتشار القرآن الكريم حفظا واتقانا في وادي سوف خلال هذا العهد يعود إلى عدة عوامل أهمها:

1 - المكانة التي يتمتع بها معلم القرآن وهيبته في المجتمع وتقديره واحترامه من طرف الجميع، وخاصة الأولياء، أما الأطفال والتلاميذ فهم أشد خوفا وهيبة منه حتى أن أحدهم لا يستطيع النظر في وجهه أثناء اللقاء، وعندما يصادفه في الشارع مقبلا يتحاشاه فيتحول التلميذ إلى شارع آخر حياء وخجلا منه، فالكل رهن إشارته حتى لقب باسم " نعم سيدي "، لقد كان السيد المطاع لا يحابي أحدا مهما كانت منزلته، وإذا استحق التلميذ العقوبة وخاصة عند تهاونه على حفظ لوحه، فيكون جزاؤه "الفلقة " ويجلد في رجليه، فكانوا يخافونه أكثر من آبائهم.

2 - حرص الأولياء الشديد واعتزازهم بحفظ ابنهم للقرآن الكريم فيكون محل افتخار العائلة في شهر رمضان عندما يصلي بالناس صلاة التراويح، ولذلك يتعاون الأب مع المؤدب، ويسأل عن ابنه ولو كان غائب خارج المنطقة، في أي جزء من القرآن هي سورته. [6]

وعندما يحفظ الطفل القرآن الكريم عن ظهر قلب تقام له وليمة يدعى إليها أصدقاؤه في الكُتّاب، كما يتجول به فوق بغل في أرجاء القرية. [7]

3 - أن حفظ القرآن الكريم يجعل الطفل يعلم القراءة والكتابة، ويوفر له فرصة لمواصلة الدراسة خارج المنطقة، إلى جامع الزيتونة لمواصلة التعليم الثانوي أو العالي. [8]

---

1 - لقاء مع السيد الصادق اقديري يوم 2 جويلية 2000.

2 - Ahmed Nadjah. op. cit p 109.

3 - C. Cauvet – Notes. p 111.

4 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق. ص43.

5 - لقاء مع السيد الصادق اقديري يوم 2 جويلية 2000 .

6 - رسالة أبي الضياف بن أحمد إلى المغير 4 جمادى الاولى 1315هـ يخبر فيها أن البشير سورته في الحشر. وثيقة سابقة.

7 - André Voisin. op. cit. P 190.

8 - Ahmed Nadjah. op. cit p 109.

ثانيا: التعليم العربي الإسلامي:

كان لعلماء وادي سوف خلال القرن التاسع عشر، مهام متعددة في المجتمع، فهم قضاة في المحاكم الشرعية، ورجال للفتوى، وأئمة في المساجد، ومؤدبون للصبيان فضلا عن تعليمهم كبار السن المبادئ الدينية، وأصول العلوم الشرعية، واللغوية، عن طريق الوعظ والإرشاد التي في المساجد والزوايا، كما كانت بيوتهم الخاصة مقصدا لطلبة العلم.

وقد كان بالمنطقة يومذاك ثلاث حواضر علمية هي الوادي، وقمار، والزقم، ضمّ كل منها ثلة من العلماء البارزين، وقد اشتهر منهم في مدينة الوادي:

- الشيخ محمد العربي بن محمد الصالح بن موسى (موساوي)، [1] الذي ولد عام 1290هـ(1873م) [2] وكان غزير العلم، بذل جهودا معتبرة في التعليم بسوف وتقرت، واتصف بالزهد والتواضع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد رثاه تلميذه الطاهر العبيدي عند موته بقصيدة طويلة ومما قال فيه:

ليس للحال بقاء فاحذروا * سطوات الدهر واللهو ذروا

واذكروا قوما صفى الوقت لهم * فرحوا بوقتهم واستبشروا

مثل أهل سوف قد كان لهم * سيد دراكة محرر

نجل موسى العربي المرضى * فهو بحر وسواه جعفر[3]

- الشيخ عبد الرحمان العمودي، وكان زاهدا متصوفا، [4] كثير التجوال ناشرا للعلم، وقد عمل في سلك القضاء بكوينين، وكانت بينه وبين الشيخ المكي بن عزوز رابطة قوية ومراسلات اخوانية علمية.[5]

- الشيخ علي بن صابر وكان مثالا للورع والصلاح، وبلغ درجة علمية معتبرة، وقد ذكره الشيخ محمد المكي بن عزوز في قائمة الجزائريين الذين أجازوه في العلم، وأنه أخذ عليه صلوات بن ملوكة التونسي.[6] وكان الشيخ علي بن صابر كثير الترحال ما بين جريد تونس ووادي سوف واستقر في آخر حياته بالمدينة المنورة.[7]

أما بلدة قمار فكانت زاخرة بكثرة علمائها الذين ذاع صيتهم في الآفاق، ومنهم:

---

1 - مراسلة مع الشيخ حمزة بوكوشة بتاريخ 12 جانفي 1994.

2 - توفي في 17 ذي الحجة 1322هـ 1904م – تقاييد الشيخ سالمي مصطفى.

3 - قصيدة نقلت من ديوان الشيخ الطاهر العبيدي بخط حفيده الأستاذ محمد المدني عبيدي بتقرت بتاريخ 2000/08/18.

4 - ابراهيم العوامر – **البحر الطافح في بعض فضائل شيخ الطريق سيدي محمد الصالح** – مطبعة بيكار وشركائه بتونس 1323هـ-. ص36.

5 - توفي بالوادي سنة 1327هـ 1910م- – تقاييد سالمي مصطفى.

6 - علي الرضا الحسنى – **محمد المكي بن عزوز حياته وآثاره** – الدار الحسنية 1997. ص40.

7 - هاجر إلى المدينة المنورة قبل الحرب العالمية الأولى وتوفي هناك. انظر مراسلة حمزة بوكوشة السابقة.

- الشيخ الحاج أحمد سالم، والذي لقب بـ" اقاية " ولد حوالي 1257هـ(1842م) وقام بدور هام في تعليم القرآن والفقه، ومبادئ العلوم العربية في قمار.[1]

- الشيخ الاخضر بن أحمد بن حمود السوفي القماري[2] الذي اشتهر بالاخضر حمانة، وكان فقيها بارعا، وتولى القضاء مدة في قمار، وله فتاوى دقيقة ومحاورات فقهية مع الشيخ إبراهيم الرياحي التونسي، [3] عام 1255هـ(1838م) [4].

ـ الشيخ الحاج علي بالقيم الذي ولد بقمار سنة 1840 وتعلم في زاوية مصطفى بن عزوز بنفطة، فحفظ القرآن وتعلم مبادئ العلوم، وحفظ متن خليل، وزاد تعلما للفقه على يد قاضي قمار الاخضر حمانة، [5] وكان يكرر القرآن الكريم ومتن خليل بأكمله مرة كل أسبوع، ورغم تأهله لخطة القضاء لم يمارسها وقضى كامل حياته في التعليم الحر.[6]

- الشيخ أحمد بن عبد الله دغمان الذي ولد بقمار وقرأ بها القرآن ومبادئ العلوم، ثم رحل إلى جامع الزيتونة المعمور، وبعد تخرجه درّس مدة بالكاف التونسية، ثم استقدمته الزاوية التيجانية بقمار وعين شبه قاضي يفصل في النوازل ويحل المشاكل، ثم عينته الحكومة الفرنسية قاضيا بالوادي (1864 – 1878) ثم استقال من عمله واعتكف على التدريس بالزاوية التيجانية بين قمار وتماسين تبعا لأهل الزاوية في ظعنهم وإقامتهم، [7] وتخرج على يديه جماعة من فقهاء المنطقة. [8] وكانت له مراسلات مع علماء عصره ومنهم الشيخ المكي بن عزوز وهي مراسلات علمية وأدبية واسئلة واجوبة فقهية، [9] ومنها رسالة بتاريخ 1307هـ(1889م) وفيها شكر وثناء من الشيخ المكي بن عزوز. وللشيخ دغمان منظومات عدة في البسملة والتجويد، [10] منها " الإجابة بحسم خلاف اسوأ السوأى في الكتابة "، [11] وله قصائد شعرية في المدح لحكام الوادي وشيوخ التجانية. وقد توفي سنة 1309هـ(1891م) في الطريق وهو عائد

---

1 - توفي سنة 1927. انظر الشيخ الطاهر اتليلي – من تاريخ وادي سوف – ص97.

2 - إبراهيم العوامر – الصروف- ص234.

3 - عمر بن محمد الرياحي – المرجع السابق. ص ص150 – 154.

4 - عبد الباقي مفتاح – **أضواء على الشيخ أحمد التجاني واتباعه** – مخطوط. ص232. يوجد عند صاحبه بقمار.

5 - تقاييد الشيخ أحمد مفتاح القماري.

6 - توفي الحاج علي بالقيم سنة 1328هـ 1910م- انظر الطاهر اتليلي – من تاريخ وادي سوف – ص94.

7 - الطاهر اتليلي– من تاريخ وادي سوف – ص72.

8 - عبد الباقي مفتاح – المرجع السابق. ص23.

9 - وثيقة كتبت لأحمد بن أبي الضياف التاغزوتي. توجد نسخة مصورة منها في مكتبة عبد الباقي مفتاح وعندي نسخة منها.

10 - الطاهر اتليلي– من تاريخ وادي سوف - ص72.

11 - عادل نويهض – **معجم أعلام الجزائر** – منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع. ط 1. بيروت. 1971-. ص27.

من تماسين فدفن بقمار.[1]

أما بلدة الزقم فجمعت من العلماء:

- الشيخ إبـــراهيم من محمد بن معمر، وكان فقيه البلدة وخطيبـــها، وكان آية في الذكاء والمشاركة في علوم المنقول والمعقول، مع معاشرته لجريد تونس وخاصة بلاد توزر، وقد توفي عام 1257هـ(1841م) .

- الشـــيخ بلقـاســـم بن محمـد بن معمر، وكانـت لـه مشـــاركـة في كثيـــــر من العلوم، توفي عـام 1307هـ(1889م) .

- الشيخ إبـــراهيم بن السلمـــي وكان مشهورا، وبلغت أخباره الآفاق داخل الصحراء، وفي بلاد التل، بسبب فطانته وغزارة علمه.[2]

كان هؤلاء العلماء يدرّسـون طلبة العلم ويخصـصـون لهم وقتا حسـب الظروف في كل بلدة من قرى سوف المختلفة، وأول ما يبدأ به المتعلم في ذلك العصر هو حفظه للقرآن وإتقان تلاوته ورسمه، وقواعد كتابته ومتشابهاته. ويحفظ المتعلم بعض المتون الخاصة بالرسم القرآني مثل: الدنفاسي وغيـره[3] وبعد ذلك يتعلم الطلبة في مرحلة متقدمة أثناء النهار مبادئ اللغة العربيـة مثل متـن الاجرومية. وغيـرها من المتون الدينية.[4]

وكانت دروس العلماء الليلية تنعقد ما بـــيـــن المغرب والعشاء بالمساجد، وهي دروس عامة يستفيد منـها طلبـة العلم أولا، وعامة المصليـن من كبار السن، وتكون اغلبها في مادة تفسيـر القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف، ويغلب عليها الجانب الوعظي. وتخصص بعض الدروس في مادة الفقه يشرح فيها العلماء رسالة ابن أبي زيد القيرواني أو مختصر خليل في الفقه المالكي.

وكانت منطقة الجريد التونسـي - وخاصـة نفطة وتوزر زاخرة بعلمائها الأجلاء ومقصـدا هاما يهاجر إليها طلبة العلم من وادي سوف.[5] وقد نشطت حركة الهجرة نحو جامع الزيتونة في أواخر القرن التاسع عشـر، [6] خاصة طلبة العلم من بلدتـــي قمار والزقم حيث يـــرسـلون كل عام دفعة من حفظة القرآن لمواصـلة دراسـتهم العالية، [7] لكنهم لا يتقيدون بنظام الجامع ويأخذون من الدروس ما هم بحاجة إليه من فقه ونحو، وبعض مبادئ العلوم، بل يختصـرون مدة الدراسـة من سـبع سـنوات إلى سـنة واحدة أو

1 - الطاهر اتليلي – المرجع السابق. ص72.

2 - محمد الساسي معامير – التقويم - ص346. وفيه توفي إبـراهيم بن السلمي سنة 1333هـ 1914م-.

3 - صالح زبدي – **رسم القرآن في المتشابه من كتاب البيـان** – نشر شركة آمال للإعلام الآلي والأعمال المكتبـية. 1999. ص5.

4 - رسالة حمزة بوكوشة 1994/01/12.

5 - رسالة حمزة بوكوشة 1994/01/12.

6 - محمد الساسي معامير – المرجع السابق. ص347.

7 - Ahmed Nadjah. op. cit p 109.

سنتين أو ثلاث حسب استعداد الطالب وإمكانياته المادية، [1] لأن الفقر وقلة ذات اليد كانت تضطرهم إلى الرجوع قبل استكمالهم للتحصيل العلمي، ولكن عصاميتهم تجعلهم يواصلون طلب العلم عن طريق الحلقات المسجدية، والمحاورات العلمية مع شيوخ البلدة التي ينتمون إليها، والاعتكاف على قراءة الكتب ودراستها، وقد تأهل بعض منهم إلى درجة تأليف الرسائل الصغيرة ونظم المتون في مختلف الفنون العلمية السائدة آنذاك.

ثالثا: التعليم في المدارس الفرنسية:

إثر استقرار الإدارة الفرنسية بوادي سوف عملت على فتح أول مدرسة بمدينة الوادي، [2] وسميت "مدرسة الأهالي بالوادي" واستقبلت أول فوج من التلاميذ في الموسم الدراسي 1886 – 1887، وتم تعيين أول معلم فرنسي بها وهو: " **Gry Thiare Sylla** " في 02 نوفمبر 1886، وأول معلم جزائري هو عبد القادر بن طالب السعيد من تقرت وكان حاصلا على الشهادة الابتدائية وتم تعيينه في 9 مارس 1900، ولكنه عزل عن طريق الإقصاء الجبري قبل إتمامه السنة الدراسية في 31 أكتوبر 1900. لأسباب لم تفصح عليها السجلات المدرسية.

وقد بلغ عدد المعلمين الذين وظفوا بالمدرسة خلال الفترة الدراسية منذ فتحها حتى نهاية القرن التاسع عشر، ستة معلمين جلهم من الفرنسيين. وكان إقبال الطلبة على الدراسة في بادئ الأمر محتشما، إذ بدأت المدرسة بأول فوج في الموسم الدراسي 1887/1886 لم يتجاوز ثمانية تلاميذ، جلهم يشتغل أولياؤهم في الإدارة الاستعمارية، ووصل عددهم بعد أربع سنين في الموسم الدراسي 1890/1889 إلى اثنى عشر تلميذا فقط. [3]

أما العدد الإجمالي خلال أربعة عشر سنة، منذ سنة فتحها 1886 وحتى سنة 1900، فقد بلغ 278 تلميذا، تتراوح أعمارهم ما بين (5 إلى 16 سنة) وأغلبهم ما بين (9 إلى 12 سنة)، وفي الحالات الاستثنائية يدخل المعلم الفرنسي ابنه، مثلما حدث مع التلميذ " **Donain George**" الذي كان والده معلما بالمدرسة فادخله إليها يوم 1 فيفري 1894 ولم يتجاوز عمره أربع سنوات.

---

1 - رسالة حمزة بوكوشة – نفس المرجع.

2 - Ahmed Nadjah. op. cit p 109.

3 - Ecole d'indigènes d'El-oued – **Registre Matricule des élèves admis à l'école du 1886 à 1904** – Voir le registre dans l'école de chahid Mihi Mohammed Bel- hadj. El- oued.

ويلاحظ أن إقبال التلاميذ من الأهالي كان قليلا وذلك راجع لأسباب أمنية[1] وعقائدية، وقد أشار إليها حمزة بوكوشة بقوله: " وقد كنا نفر من قراءة الفرنسية فرار السليم من الأجرب لأننا لقنا أن قراءة الفرنسية طريق إلى الكفر، إن لم تكن الكفر عينه..." [2]

وكانت مدة الدراسة غير محددة وتخضع لظروف التلاميذ ووضعيتهم الاجتماعية، ومدة مكوثهم بها تتراوح ما بين عام إلى تسع سنين، وغالبتهم لا يتجاوزون العام الواحد وخاصة أبناء الفلاحين والتجار وكبار الملاك للنخيل وهم يمثلون جل تلاميذ الأهالي، وسبب انقطاعهم عن مزاولة الدراسة، لأن أعمال أوليائهم الخاصة تنتظرهم. أما العنصر اليهودي فقد بلغ عدد التلاميذ به 24 تلميذا، يمتهن أولياؤهم التجارة وصياغة الفضة، ويبقون مدة أطول في المدرسة، وبعد مغادرتهم مقاعد الدراسة يمتهنون نفس المهن السابقة لأوليائهم. والعنصر الثالث من الأهالي هم أبناء الموظفين في المكتب العربي كالقياد والمترجمين والدوائر والخوجات والشواش أو المنتمين للجيش الفرنسي كالضباط والجنود، وقد بلغ عدد أبناء الصبايحية نحو 29 تلميذا. والجدير بالذكر أن بعض الفئات من أبناء الأهالي الذين يمتهن آباؤهم مهنا حرة التحقوا بشكل محدود مثل أبناء الخياطين، والجزارين والخبازين، والاسكافيين، وحتى أبناء بعض معلمي القرآن، ووصل عددهم إلى خمسة تلاميذ، ولم يتخلف أبناء الخدم والبطالين والفقراء، أما أبناء الفرنسيين، كالمعلمين والمعمرين فكان قليلا، [3] لأنهم يتجهوا إلى المدارس المنظمة والمتواجدة خارج إقليم سوف، فيتم التكفل بهم بصفة جيدة، ويكون تكوينهم قائما على قواعد ثابتة ومراحل دراسية متوازنة.

إن الغرض من مدرسة الأهالي هو التكفل بأبناء الموظفين في الإدارة الفرنسية للملحقة أولا، وإيجاد طبقة من أهالي وادي سوف تدين بالولاء لفرنسا وتتقن اللغة الفرنسية ثانيا، [4] وإذا تم إعداد هذا الجيل المتشبع بالقيم الفرنسية فإنه يكون السند القوي للاستعمار.

ولكن بعض الأهالي كانوا يهرّبُون أبناءهم إلى الصحراء أو الغيطان النائية، ويخفون عن الأنظار خوفا من استدعائهم للمدرسة الفرنسية، التي يعتبرون الانتساب اليها وصمة عار، وخضوع للكفار كما صور ذلك حمزة بوكوشة: " ...وقد يبدو لكم أن هذا جمود وركود، ولكنه فيما أرى هو أن القراءة الفرنسية في

---

1 - كانت المدرسة تشبه جهاز الاستخبارات، لأنها تتابع التلاميذ بدقة، بعد خروجهم من المدرسة، فتسجل الصفة التي غادروا بها مثل الموت فقد سجلت 9 حالات. والمهنة التى اختارها التلاميذ، ومنها المهن الحرة، أو الإشراف على أملاك آبائهم أو انتقالهم إلى بسكرة وقسنطينة لإكمال دروسهم في الثانوية أو المدارس الابتدائية أو الهجرة نحو وادي ريغ وبلاد الجريد طلبا للكسب المادي. وتكون المعلومات أكثر دقة إذا تعلق الأمر بأبناء الضباط وجنود الصبايحية وموظفي المكتب العربي بالوادي.

2 - رسالة حمزة بوكوشة السابقة.

3 - Registre Ecole d'indigènes d'El-oued. Op. cit

4 - أبو القاسم سعد اللّه – تاريخ الجزائر الثقافي. ج3. ص285.

تلك الآونة هي من المتشابهات، ومن اتقى الشبهات فقد استبـرأ لدينه وعرضه، فلو اننا فيما مضى اقبلنا على الفرنسية لزاحمنا العربـية أو اهملناها، وتفتح لنا الفرنسية نوافذ على الشهوات والملذات وهي لغة الغالب، والمغلوب مولع بتقليد الغالب".[1]

والجدير بالذكر أن المدرسة الثانية التي فتحها الاستعمار كانت ببلدة كوينين بعد ثمانية أعوام من مدرسة الوادي، في سنة 1893م، [2] ولكن سجلاتها ووثائقها في الفترة التي ندرسها قد أتلفت كما عبرت عن ذلك عبارة مسجلة بالقلم في السجلات المتأخرة. [3]

ب) الثقافة الشعبية:

كانت الحياة الثقافية الشعبية في وادي سوف متعددة الجوانب والمجالات، والتي تجسدت في الكلمة المنظومة شعرا، أو حكمة وأمثالا، وأخذت طابع القصص والحكايات الاسطورية.

أولا: الشعر الشعبي:

كان للشعر الشعبي في وادي سوف خلال القرن التاسع عشر أغراضا عديدة أهمها:

ـ الشعر الديني: وهو الذي يتغنى بالدين ويشمل تعظيم الذات الالهية ومدح الرسالة المحمدية، ومدح صاحبها عليه الصلاة والسلام. وإضفاء مختلف الأوصاف التي تقدس ذاته وتعدد خصاله وأخلاقه. مثلما قال معمر بن صالح التاغزوتي. [4]

باسم الله العظيم جل اجلالى * ليس مثل اشبيه في ملكه واحد

قادر فاعل مريد كل امسالى * رافع سبع اطباق من غير عمد[5]

أما الشاعر قدور بن التومي [6] فقد تشوق لزيارة مقام الرسول:

قلبى شور شاهي نعزم * قاصد بيت الله

لمقام الرسول ندور * زمزم نشرب ماه

حب الرسول مهبلني * لا هاجع مرتاح. [7]

ويعتبر الشعر الصوفي خلال القرن التاسع عشر أحد أقسام الشعر الديني ويدعى " المدح " ويقوم

---

1 - رسالة حمزة بوكوشة 12 جانفي 1994.

2 - André Voisin. op. cit. P 190

3 - Ecole primaire préparatoire de garçons de Kuinine – **Registre Matricule des élèves de l'école du 1 ère Octobre 1921**. Voir le Registre dans l'école de chahid Ahmed Moulati de Kouinine.

4 - ولد عام 1875.

5 - عبد اللّه الركيبي – **الشعر الديني الجزائري الحديث** – الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. ط 1. الجزائر. 1981. ص504.

6 - توفي عام 1942.

7 - أحمد محمد زغب – أعلام الملحون – ص55.

الشاعر بتعظيم الطريقة الصوفية التي ينتمي إليها والإشادة بشيوخها وأعمالها.[1] وقد برز كثير من فحول الشعراء في هذا الميدان منهم بلقاسم بالمشري الكوينيني العزوزي الطريقة وعلي بالليل من بلدة الزقم، ومن شعراء التجانية غادة بن زغب وعبد الله بلقاسم الزاوي، [2] ومن القادرية محمد بن تواتي الكوينيني.[3] وكان هذا الشعر ينشد في المناسبات من طرف فرقة خاصة تدعى " الحضرة "، ولكل طريقة صوفية فرقتها الخاصة.

- **الشعر الاجتماعي:** ومنه الملحمي الذي يفتخر فيه الشاعر بحياة البداوة ويتغنى ببطولة رجالها، ويعدد مناقبهم وانتصاراتهم، [4] وكرم الضيافة، وفي ذلك قال الشاعر علي بالذيب[5]:

كنا نزالي في لبساط الخالي * وقنطاس عالي عاليات ارفافه

ونتقصدو للضيف كيف يوالي * اذا جابنا المكتوب شور صدافه[6]

أما الشاعر خليفة بن قانة[7] فيفتخر على غريمه من أهل عميش بأرضه ونخله الباسق بثماره اليانعة.

تهزى على بلاد لبكار * ورهوط عن كل صيفه

نخل بدع ما زال جبار * بثمار حافل خريفه [8]

أما الشاعر أحمد ملاّك الذي عاش في القرن التاسع عشر، فقد سجل قصة رجل اقسم على ذبح كبش ليته سبعة اشبار عندما يولد له ولد، وإلا طلق زوجته إن لم ينفذ ذلك، وعندما رزق بولد لم يعثر على تلك المواصفات فاتصل بالشاعر الفطن فأمره أن يقيس بشبر الصبي وقال في ذلك شعرا:

الالياش[9] ما يضربو بسيف* ولا يطعمو ضيف باير

لعشب ما يعيش في الصيف * يمنّوه بشبوب[10] داير

عليكم بشبر المولود * يا معميين البصاير[11]

---

1 -. André Voisin. op. cit. P 194

2 - أحمد محمد زغب – أعلام الملحون – ص55.

3 - أحمد محمد زغب – **شعراء القادرية في وادي سوف** – مخطوط. ص2.

4 - André Voisin. op. cit. P 194.

5 - ولد عام 1860.

6 - أحمد محمد زغب – أعلام الملحون – ص128.

7 - ولد عام 1860.

8 - أحمد محمد زغب – أعلام الملحون – ص128.

9 - **الالياش:** الأنذال.

10 - **شبوب:** أمطار خفيفة.

11 - لقاء مع السيد اعماره معامرة. الأحد 2000/07/23 بالمقرن.

- **الشعر الغنائي:** وهو" الموقف " ويقوله الشاعر واقفا مع الجـوق، ولا يصـحبه رقـص ولا ضـرب بالدف.[1]

- **الشـعر الهزلي:** ويقصـد به اللعب والتـرفيه ويدعى " الربط " وفيه نوع من التحدي، ويعتمد فيه الشـاعر على الذكاء والنباهة، ويدفع خصـمه إلى نوع من المبارزة الشـعرية،[2] وله أنواع منها: ربط الآبار، إذ يقول أحدهم شعرا على شكل لغز، وبه يمنع كل إنسان من استعمال البئر حسب العرف، حتى يقوم شـاعر آخر بالرد على اللغز شـعرا ولو اسـتمر ذلك أياما. وكذلك ربط العرس، وهو أخطر من الأول، إذ يقوم أحد المدعوين بـربط العرس بالشعر، ولا يمكن للعرس أن يتم أو يستمر حتـى يـرد أحد الشعراء على ذلك بشـعر مماثل، فإن عجز الجميع، يسـتنجدون بأحد الشـعراء ولو تطلب الأمر اسـتقدامه من منطقة مجاورة.[3]

والجدير بالذكر أن الشاعر الشعبي يعرض في آخر قصائده خصوصا عند شعراء الصوفية، بطاقة تعريفية تحتوي على طريقة الشاعر، ونسبه واسمه وموطنه وقريته، ويختمها بالدعاء لوالديه ولمشايخه مثل قصيدة بلقاسم بالمشري العزوزي الكوينيني الذي يقول:

بن عزوز قلبي منو مرضوف * لا القيت طب باش داويت ابراني
اسمي معين على خمس احروف * اللي يقرا يفهم لفظ الساني
ارفع اليا ولام وسين مع القاف * و قفت الميم يلحق هيا اخواني
اكوينيني هي ابلادي نسكن في سوف * يغفر لوالدي ومن رباني
والفاتحة انادي نطلب معروف * من الشيخ نرسم عنه وانحاجِ
قطب الزمان بن عزوز البرجِ.[4]

ثانيا: القصص الشعبي: كان طابع البداوة والبساطة يغلب على حياة السكان التي تفتقد إلى وسائل الترفيه في أوقات الفراغ وخاصة في ظلام الليل، فاستحدث السكان قصصا شعبية تسردها الجدة والأم ليلا، على أطفالها الصغار، وكان يغلب على هذه القصص الطابع الخرافي[5] الذي يخوض في الأساطيـر والغيبـيـات، وأطلق الناس عليه اسـم "الخُرّاف ". مثل محاجية الغولي، والعفريت ورب العائلة،[6]

---

1 - André Voisin. op. cit. P 194.

2 - Ibid. p 194.

3 - J. Scelles Millie. op. cit p 236.

4 - **السفينة العزوزية في مدح رجال الطريقة الرحمانية**- جمع الشيخ مصطفى سالمي. 9جويلية 1966. مخ- ص ص140 – 141.

5 - ثريا التجانـى – المرجع السابق. ص34.

6 - J. Scelles Millie. op. cit p p 199 – 213.

والجنية والعجوز، وقصص أسطورية خيالية مثل حكاية علي بوكريشة، والستوت، وأم الرواري، وقصة وادي السيسبان، وعيال السلطان، والوصيف، والنعجة والذيب، [1] وقصة جحا السوفي والذي يصوّر في عدة أوضاع، فمنها النقد للمجتمع عندما يتبع جحا الحيل والمكر، وفيها وصف لحالة الفقر التي يعاني منها الناس. [2]

كما تطرح عدة الغاز أو (الأحاجي) للصغار والكبار وفيها طابع الترفيه مع خلق نوع من التنافس والتباري، [3] ومن هذه الألغاز مثلا: " أبيض طليس لا فيه عظام ولا ريش " وحله هو " الحليب " وقولهم "بلادنا الخضره وسكانها عبيد تسكرْ بالقدرة وتتحل بالحديد " والحل هو " الدلاعة " وقولهم " قد الفولة ويملأ الدار " والحل هو " ضوء الشمعة ". [4]

وهكذا كانت الثقافة مجسّدة في التعليم بمختلف أطواره والذي برزت ثماره في مؤسسات المجتمع، الثقافية والإدارية، إضافة إلى الثقافة الشعبية والتي تعددت أغراضها، متمثلة في الشعر الملحون، والقصص والحكايات، والأحاجي والألغاز، والتي كانت تساهم في معالجة الأوضاع الاجتماعية، وإضفاء روح المرح في المجتمع.

2. التراث الفكري المخطوط والمكتبات في سوف:

كان التراث الفكري في المجتمع السوفي متناثرا في المكتبات الخاصة والعامة المنتشرة في مختلف مدن وقرى وادي سوف، وقد تطور هذا التراث وازداد حجمه بواسطة فن النسخ الذي مارسه العلماء والمفكرون بصفة عادية، ومن خلال هذا العمل حفظ بعض التراث أثناء القرن التاسع عشر.

أ) فن النسخ وأشهر النسّاخين:

كان العلم في القرون الماضية يدوّن في القراطيس الورقية بمداد الوراقين، وأيدي النساخين، وتصدى لهذا الفن رجال عرفوا بالنساخين، واستمر عملهم إلى نهاية القرن التاسع عشر، لندرة الكتب المطبوعة، [5] أو صعوبة الحصول عليها بسبب بعد الأقطار، وارتفاع التكاليف، وحالة الفقر التي يعيشها سكان الصحراء وسوف.

---

1 - ثريا التجانى – المرجع السابق. ص129 – 171.

2 - J. Scelles Millie. op. cit p p 247 – 266.

3 - بن علي محمد الصالح – **الألغاز الشعبية في وادي سوف** – ط 1. دار الشهاب. 1998- ص4.

4 - نفسه. ص ص9 – 22.

5 - أول مطبعة في العالم العربي ظهرت سنة 1610 بلبنان، وأخرى بمصر بعد حملة نابليون 1798، ومطبعة الحجاز التى أسستها الدولة العثمانية سنة 1882. أنظر د. أحمد بدر – **المدخل إلى علم المعلومات والمكتبات** – دار المريخ. الرياض 1885، ص ص41 – 42.

وقد أســس هؤلاء النسّــاخون ثقافة خاصــة بهم، وكرّســوا في حياة المجتمع ســلوكا عمليا تناقلته الأجيال، وحفظت جهودهم في صفحات التاريخ المكتوب، لأن الناسخ لا يكتفي بتنميق الخطوط وزخرفة المخطوطات التي يكتبها فحسب، وإنما يذيلها في آخر صفحة بمعلومات هامة يمكن حصر فوائدها فيما يلي:

1 ــ يعرّف الناسخ بنفسه، ذاكرا نسبه وموطن نشأته، ومسكنه يوم نسخه للمخطوط، ومذهبه الفقهي وهو عادة المذهب المالكي، والعقيدة التـــي يتبعها وهي نهج الأشــعري، وهو متأثر في هذا المجال بالفقهاء الذين ينسخ كتبهم[1] مثل المرشد المعين على الضروري من علوم الدين للشيخ عبد الواحد بن عاشر الذي يقول في بدايته:

في عقد الأشعري وفقه مالك * وفي طريقة الجنيد السالك

2 ــ يذكر الناسخ سبب نسخه للكتاب، إما أن يكون ملكا شخصيا له ولأبنائه من بعده [2] أو أنه كلف بنسخه لغيره، وهنا يكون متكسّبا بعمله، أو بدافع الأخوة في الله.[3]

3 ـ يظهر الناسخ تواضعه، ويستعين بالقراء ويدعوهم إلى إصلاح الخلل الذي يجدونه أثناء قراءتهم للمخطوط مثل " انتهى المصحف المبارك بحمد الله وحسن عونه على يد كاتبه العبد الحقير الفقير، المقر بالعجز والتقصير، الراجي عون ربه القدير علي بن مسعود بن إبراهيم ..."[4] ومنهم من يورد البيت الشعري الموالي:

وان تجد عيبا فسد الخللا * جلّ من لا عيب فيه وقلاّ.[5]

---

1 - المصحف الشريف – نسخ بتاريخ 1314هـ 1896م - يوجد بمكتبة مسجد أبـــى موسى الأشعري بحي تكسبت. الوادي. وقد كتب ناسخه: " ...علي بن مسعود بن إبـراهيم يكنى امريقة المالكي مذهبا، الأشعري اعتقادا، الطرودي أصلا، الوادي منشأ ودارا، العشي فرقة أولاد عيسى..." -

2 - كتاب في الفلك مجهول المؤلف والعنوان ونسخ بتاريخ 1298هـ 1880 م-، يوجد بالزاوية الهبـرية بقمار ضمن مخطوطات مكتبة الشيخ خليفة بن حسن وأحفاده وقد ورد في آخره"... كاتبه لنفسه ولمن شاء اللّه بعد عبده أحمد بن الحاج عبد اللّه بن سيدي خليفة بن حسن السوفي القماري ".

3- مخطوط عبد اللّه بن عبد الواحد المسمى عقال الشوارد في نقل الفوائد شرح العاصمية في الفقه- نسخ بتاريخ 1279هـ1862م-. يوجد في مكتبة زاوية سيدي سالم. الوادي. ورد في آخره "... على يد كاتبه... أحمد بن السايح بن أبـــي تـــرعة السعيدي نسبا الوادي منشأ ودارا، لأخيه في اللّه سي محمد العزوزي بن عطا اللّه بن بوغزالة الوادي ثم السوفي... ".

4 - المصحف الشريف – المصدر السابق.

5 - عقال الشوارد – المصدر السابق.

4 ــ كان الناسخ يدعو لنفسه ولعامة المسلمين بالمغفرة والرحمة.[1] وفي بعض النسخ تضاف عبارة "...ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنـــين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات انك سميع قريب مجيب الدعوات آمين يا رب العالمين..."[2]

ويكتب بعض الناسخين في الأخيـــر شعرا سلسا، يطلب فيه من القارئ أن يدعو للناسخ، ويقرأ له فاتحة الكتاب ويهدي ثوابها إليه، ومن هذه الأبيات:

بالله إن نظرت عيناك ما كتبتْ * يد الفقير إلى غفران مولاه

فاقرأ له مهديا أم الكتاب وقل * الله يجعل دار الخلد مأواه

وغيره يقول:

يا قارِ الخط بالعينين تنظره * لا تنس كاتبه بالله واذكره

وهب له دعوة لله خالصة * لعلها لصروف الدهر تنفعه[3]

5 ــ كان بعض النساخيـــن يوجهون موعظة لقرائهم يذكرونهم بالموت، وعليهم أن يأخذوا العبـــرة من ناسخ المخطوط الذي تركه وغادر الحياة الدنيا فيقول:

يا ناظر الخط لا تنس الرحيل غدا * إذ كل ساكن دارٍ سَوْفَ يرتحلُ

كتبته بيدي والعقل يشهد لي * أنى سأتركه يوما وأرتحلُ.[4]

6 ــ كان النسَّاخ يضبط بدقة تاريخ نسخه للمخطوط باليوم والشهر والسنة والساعة[5]، ومنهم من يحدد ساعة الانتهاء من النسخ بالأذان للصلوات الخمس[6] ويضيف آخـرون إلى أرقـام التـاريخ التأكـيد بالحروف.[7]

---

1 - رسالة ابن أبـــي زيد القيـــروانـــي - مخ - نسخت بتاريخ 1133هـــ1720م-، توجد في مكتبة الشيخ البشيـــر أحمدي المنزلية. كوينـــيـــن ورد في آخرها" نجز شـــرح الدر اللوامع بحمد اللّه وحســـن عونه وتأييده ونصـــره على يد العبد المذنب الراجي عفو ربه الكريم الذي يطلب الرحمة من ربه، والشفاعة من نبـــيـــه، أبو القاسم بن أحمد بن أحمد بن محمد، غُفر ذنبه، وسُتـــر عيبه، ءامين، ولوالديه، ولأشياخه، ولإخوانه ولقرابته، ولمن نظره ودعا له بالمغفرة ولجميع المسلمين...".

2 - المصحف الشريف – المصدر السابق.

3 - **ديوان الخطب السنية لمصطفى البولاقي** – نسخه محمد المكي بن علي عام 1303هـ1885م- يوجد بمكتبة مصباح سالمي بالوادي.

4 - عقال الشوارد – المصدر السابق.

5 - كما ورد في المصدر السابق"...نهار الخميس عند العشية نهار عشرة أيام من شهر اللّه صفر سنة 1279 هجرية ..."

6 - مخطوط شرح سيدي خليل في الفقه المالكي، أصله بمسجد القرافين بالبـــيـــاضة، ويوجد عند السيد علي حلواجي. ورد في آخره"... وكان الفراغ من نسخته يوم الأحد عند نداء الظهر نهار ستة وعشرون من شهر اللّه رجب الاصب سنة 1278 وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين. "

7 - مخطوط الفلك، المصدر السابق. ورد في آخره"...وكان الفراغ من كتابته رابع يوم من شهر اللّه شعبان أحد شهور سنة1298، ثمانية وتسعين ومايتـيـن والف...".

وكانت مادة الكتابة عندهم هي الصمغ الأسود، وتستعمل الألوان للتوضيح وتكتب بها المتون لتمييزها عن الشروح، كما تستعمل الألوان أيضا في الزخرفة الجانبية للمخطوطات، وهي مجلدة وذات أحجام متباينة.

أما النساخون فجلهم من حفظة القرآن ورجال العلم، ويتخذ بعضهم فن النسخ مهنة يتكسب منها وخاصة كتابة المصاحف، [1] لأنها مطلوبة في كل بيت. ويوجد في المنطقة الواحدة العشرات من النساخين مثلما كشفت حادثة مخطوط الشيخ خليفة بن حسن القماري، [2] "جواهر الإكليل في نظم مختصر الشيخ خليل"، [3] الذي كان ملكا لأحد أحفاد الشيخ خليفة، فقدم من مصر إلى سوف عام 1899 محمد بن يوسف البارونـي من أجل طبع المخطوط، ولما رفض مالكه ذلك احتال عليه واستعاره في ليلة واحدة وكلف مجموعة من النساخين فاستطاعوا نسخه كاملا في تلك الليلة.[4]

وأشهر النساخين بقمار هم أحمد بن الحاج عبد الله بن خليفة بن حسن، والشيخ محمد الصالح بن الخوصى، [5] والحاج علي بن القيم، وعلي بن الحاج صالح فرحات بلقاسم، والناسخ أحمد بن عمارة بن سعيد العمري، [6] وأبو القاسم بن أحمد بن محمد التاغزوتي.

أما في الوادي فمنهم أحمد بن السايح بن أبي ترعة السعيدي المدعو (ستو)، ومحمد الصغير بن الجلاصي، [7] وعلي بن مسعود بن إبراهيم (امريقة)، وعبد الله بن علي بن عبد الله بن صابر المصعبي،[8] ومبروك بن عمار بن علي بن عمار، [9] وبلقاسم بن عمار بن محمد، [10] والقاضي محمد الشريف بن

1 - الطاهر اتليلي – من تاريخ وادي سوف. ص83.

2 - **خليفة بن حسن القماري:** ولد بقمار 1123هـ-1711م- وتعلم في قمار وخنقة سيدي ناجي وغيرها من المعاهد المشهورة في عصره، وصار من كبار العلماء بسوف وتوفي سنة 1207هـ1793م- بقمار. انظر مخطوط. محمد التجاني زغودة - **خلاصة ما جاد به الزمن من أخبار سيدي خليفة بن حسن** – ص1. توجد عندي نسخة من المخطوط -.

3 - طبع بالمطبعة البارونية بمصر الطبعة الأولى والأخيرة 1317هـ1899م- ولعله أول كتاب طبع من تراث سوف، وتوجد نسخة منه في مكتبة سيدي سالم بالوادي.

4 - الشيخ الطاهر اتليلي – **إتحاف القاري بحياة خليفة بن حسن القماري** – مخ- ص17. لديّ نسخة منه.

5 - الشيخ الطاهر اتليلي – من تاريخ وادي سوف – ص83.

6 - أبو القاسم سعد اللّه – تاريخ الجزائر الثقافي – ج 5. ص ص292 – 299.

7 - مصحف قرآن، نسخ سنة 1304هـ1886م- يوجد بالزاوية الهبرية بقمار ضمن مكتبة أحفاد خليفة بن حسن.

8 - مخطوط في نظم جوهرة التوحيد، نسخت بتاريخ 1312هـ 1894م- توجد بمسجد مهرية بالوادي. لدي صورة سلمها لي السيد خالد قدادرة.

9 - مجموع متون مخ- نسخ سنة 1307هـ 1890م- يوجد في مكتبة أحمد خراز المنزلية بالوادي.

10 - تفسير المنامات لمحمد بن سيرين. مخ- نسخ سنة 1298هـ1880م- يوجد بمكتبة أحمد خراز المنزلية.

نصر الله المصعبي.[1] أما علي بن مبروك[2] الملقب (برقية) والبشير بن بوكوشة فقد اشتهرا بكتابة كثير من المصاحف القرآنية.[3]

وفي بلدة الزقم فقد اشتهر إبراهيم بن معمر وعمه بلقاسم معمري، فقد كان لهؤلاء النساخين دورا فعالا في نشر الفكر الإسلامي وتطوير الخط العربي، واعتبر عملهم الشاق، الذي يتطلب الصبر والتحمل، من أعظم الأعمال وأجلها في حياتهم وبعد وفاتهم لأنها خلدتهم في صفحات التاريخ.

ب) المكتبات بوادي سوف خلال القرن التاسع عشر:

يمكن حصر أهم المكتبات في تاريخ وادي سوف خلال القرن التاسع عشر في القسمين التاليين:

أولا: المكتبات الأهلية:

كانت الزوايا خلال هذا القرن تضم عدة مخطوطات اغلبها في القرآن الكريم، أو الفقه أو المدائح، وهذا يجعلها مكتبات بسيطة لأن اغلب الزوايا كانت حديثة النشأة، وقليلة المهتمين بجمع الكتب، وأغلب المخطوطات كانت مخزونة في بيوت شيوخ هذه الزوايا، وقد تم تأسيس المكتبة العرفانية بالزاوية التيجانية بقمار سنة 1300هـ(1882م) [4] في عهد الشيخ حم عروسي الذي كان له اهتمام بهذا الشأن.

أما المكتبات الخاصة فتوجد في بيوت العلماء وحفظة القرآن الكريم، وأشهرها مكتبة أحفاد خليفة بن حسن القماري، ومكتبة الحاج علي بن القيم، ومكتبة أحمد بن أبي ضياف بتاغزوت، [5] ومكتبة القاضي محمد الشريف المصعبي ـــ، وإبراهيم بن معمر الزقيمي.[6] ولكن هذه المكتبات لم تعرف الاستقرار، وكان مصير أكثرها الزوال، فضلا عن المؤلفات المخطوطة التي احتوت التراث الفكري لعلماء سوف، فقد تزامن وقت ضياعها مع زوال المكتبات السابقة الذكر وذلك راجع لعدة عوامل منها:

1 - أن الكتاب المخطوط كان أحد البضائع التجارية، التي تسد أثمانها بعض احتياجات العائلة عند بيعها، وهذا يجعل الكتاب يهاجر قاطعا الآفاق ما بين وادي سوف وطرابلس، والجريد التونسي وبلاد النمامشة، والأوراس ووادي ريغ.

---

1 - مخطوط ابن سلمون الأندلسي في العقود والمعاملات نسخ بتاريخ 1294هـ 1877م- يوجد بمكتبة أحمد خراز المنزلية.

2 - منظومة محمد المكي بن مصطفى بن عزوز نسخها بتاريخ 2 شعبان 1300هـ1882-.

3 - رسالة حمزة بوكوشة 12 جانفي 1994.

4 - سجل تاريخ إنشائها في معلقة جدارية بالمكتبة العرفانية. سجلتها بتاريخ 1996/12/23.

5 - أبو القاسم سعد اللّه – تاريخ الجزائر الثقافي – ج 5. ص ص387 – 392.

6 - محمد الساسي معامير – التقويم – ص346.

2 - عدم اهتمام الأبناء والأحفاد بتراث الآباء والأجداد، الذي تعرض للإهمال وأصابه التلف، كما ذكر صاحب التقويم عن تـراث إبـراهيم بن محمد بن معمر الزقيمي"...ولولا تضيـيع المهملين والهمجييـن من العائلة لمآثره، ومآثر الاسلاف من الحرق والنهب والتمزيق والبـيـع لكان لنا اليوم مكتبة صحراوية نفاخر بها مكتبات العواصم..."[1]

3 - عدم اسـتقرار علماء سـوف وإكثارهم من التنقل طلبا للرزق في مجال التجارة، [2] أو التعليم جعل تراثهم يضيع من بعدهم. ولم يبق إلا النـزر القليل من المخطوطات العامة متناثرة في البـيـوت وقلما يتنبه اليها من آلت إليهم، وربما اتلفتها الأرضة وصيرتها غبارا منثورا.

ثانيا: المكتبات الفرنسية:

كان الكتاب ملازما للفرنسيين في أواخر القرن التاسع عشر بوادي سـوف، فهو دليلهم في التعرف على طبـيـعة السكان وطبائعهم وخصائصهم الاجتماعية وإمكانـيـاتهم الاقتصادية، واهتماماتهم الثقافية، وهو الزاد الفكري الضروري للقائد والجندي والموظف المدنـي من الأهالي لدى الإدارة الفرنسية، وهذا ما دفعهم إلى تكوين نواة المكتبات التي تكون في متناول أفرادهم ومنها:

- مكتبة (بيرو- عرب) بالوادي:

وكانت تضم كتبا خاصة بتاريخ الجزائر وثوراتها الشعبـيـة[3] وتاريخها السياسي والثقافي والاجتماعي، كما تحتوي على الكتب باللغة العربـيـة وأهمها كتاب العدوانـي وغيـره من الكتب التـراثية.[4] وقد كتب على بعض الكتب عبارات مكتبة بيرو-عرب بالوادي، وفي الأختام أضيفت عبارة ملحقة الوادي.[5]

- مكتبة الحامية العسكرية بالوادي:

وهي مكتبة أنشـأها الضـباط كما دلت على ذلك الأختام الباقية على الكتب " مكتبة الحامية لتجمع الضباط بالوادي" وتحتوي على كتب هامة، ومنها دراسات عن المعارك، [6] وأخرى عن فن قيادة الأفواج

---

1 - نفسه. ص346.

2 - أبو القاسم سعد اللّه – **أفكار جامحة** – المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. 1988. ص172.

3 - Luis Rinn. op. cit.

4 - محمد العدوانـي – المصدر السابق. ص36.

5 - C. Noellet. op. cit.

6 - Colonel Ardant du Piça – **Etudes sur le combat** – Paris. 1880.

والفرق[1] وتاريخ الحضارة الفرنسية، [2] والحياة المعاصرة آنذاك في الولايات المتحدة الأمريكية، [3] إضافة إلى القصص والملاحم، [4] التي تتحدث عن تجارب الأشخاص وإرثهم في الحياة، [5] والعلاقات الحميمية التي تنشأ بينهم.[6] وهذه المكتبات الفرنسية تكشف عن المستوى الثقافي الحضاري لرجال الإدارة الفرنسية في وادي سوف. [7]

ج) التراث الفكري بوادي سوف في القرن التاسع عشر:

كان يغلب على التراث الفكري بوادي سوف أثناء القرن التاسع عشر الطابع الديني، وقد كشفت المخطوطات القديمة عن ذلك. ويعتبر المصحف الشريف أكثر المخطوطات انتشارا بسبب الإقبال الكبير من السكان على حفظه والاعتناء به يوميا، وذلك يتطلب اقتناء نسخة من القرآن، ولو أدّى ذلك إلى استيرادها من التل [8] أو وادي ريغ. ويكتب صاحب المصحف العنوان الشخصي عليه[9] . كما توجد كتب تهتم بالرسم القرآني مثل تنبيه العطشان على مورد الضمآن للخرازي، [10] وكتاب القصد النافع لبغية الناسي والبارع في شرح الدر اللوامع، [11] وكتب تفسير القرآن الكريم.[12] أما الفقه الإسلامي السائد فهو الفقه المالكي، وفي مقدمة كتبه، شروح سيدي الشيخ خليل للشيخ محمد الخرشي، [13] وشرح العلامة الدردير على مختصر الشيخ خليل، [14] وبلغة السالك لأقرب المسالك للصاوي على الشرح الصغير للدردير، [15] ورسالة ابن أبي زيد القيرواني، ورسالة محمد بن عرفة، [16] وشروح نظم

---

1 - Verdy du Vernois – **Etudes sur l'art de conduire les troupes** – Paris. 1875.

2 - M. Guizot – **Histoires de la civilisation en France** – Paris. 1874.

3 - Claude Jannet – **les états Unis contemporains** – Paris. 1877.

4 - Tony Revillon – **les Marquis de Saint – lys** – Paris. 1887.

5 - Frederic Febure – **l'Heritage de Madame Naudin.** Paris. 1895.

6 - Augustin Pillon – **Mérimée et ses Amis** – Paris. 1894.

7 - وقد وضعت الكتب في متحف الوادي، فنهب أكثرها بعد الاستقلال، وبقي القليل يوجد حاليا بمكتبة البلدية بالوادي.

8 - مصحف - مخ- ناسخه أحمد بن عيسى الرحالي الزروالي 1877-. مكتبة بن موسى الحاج محمد. الوادي.

9 - مصحف مخ- نسخ عام 1890. مكتبة سالمي مصباح. الوادي.

10 - نسخ عام 1772 من طرف محمد احديجة بن محمد بن خضير العبيدي. مكتبة أحمدي البشير. كوينين.

11 - نسخة عام 1860 محمد الاخضر بن محمد بن أحمد بن العبيدي الجوينى. مكتبة سالمي مصباح. الوادي.

12 - مخطوط في التفسير – مجهول الناسخ – نسخ عام 1729 من سورة الكهف إلى الناس- يوجد بمكتبة سالمي مصباح.

13 - نسخة عام 1773 محمد المداني بن أحمد الطيب بن عبد اللّه بن علي بن شومة الدراج. يوجد بمكتبة ثانوية بوشوشة. الوادي.

14 - المطبعة العامرة مصر 1292هـ1875م-. مكتبة سالمي مصباح. الوادي.

15 - المطبعة الأدبية مصر ج1. 1221هـ1806م-. مكتبة سالمي مصطفى. الوادي.

16 - مخطوط مجهول الناسخ – نسخ بتاريخ 1878. يوجد بمكتبة البشير أحمدي. كوينين.

عبد الواحد بن عاشر، [1] إضافة إلى كتب أخرى مثل شروح العاصمية والرحبية والدرة البيضاء للأخضري في علم الميراث.

وأغلب العلوم الدينية واللغوية توجد على شكل متون نثرية أو منظومة، وعلى بعضها شروح مختصرة أو مستفيضة، وهي متنوعة الأغراض، في علم الفلك والنحو والآداب والمدائح ويجمع بعضها في كتب تدعى "مجموع متون"[2] أو " مجموع "، [3] ولما كانت الخطب المنبرية ضرورية لخطباء المساجد، تداول أهل العلم دواوين تحتوي على مجموعة من الخطب تخص السنة بأكملها مثل " ديوان الخطب السنية " لمصطفى البولاقي، [4] ومن خلال هذه الكتب والمصنفات يتضح المجال الفكري للسكان واهتماماتهم الثقافية في تلك المرحلة من حياة المجتمع.

3. الحياة الدينية وأثرها في المجتمع السوفي:

اتسمت الحياة الدينية للمجتمع السوفي في القرن التاسع عشر بسلوكات ومظاهر تجسدت في تعلق السكان الشديد بالأولياء، والكرامات، والاعتقاد الكبير في الأمور الغيبية وربط مصالحهم العامة بها، إضافة إلى إحياء المناسبات الدينية بمراسيم احتفالية اختلطت بالعادات والتقاليد وصارت إرثا من الآباء والأجداد يرى الأبناء بحكم الوفاء والاعتقاد لزوم إحياء تلك المناسبات في حينها.

كما تميزت الطائفة اليهودية بخصائصها الدينية، ومع ذلك تعايشت مع السكان في حياتها الاجتماعية والاقتصادية.

أ) مكانة الأولياء في حياة السكان:

إن الولي الصالح هو كل شيخ من شيوخ الطرق الصوفية، أو رجل من عامة الناس ظهرت عليه علامات التقوى، والخلق النبيل والزهد في الدنيا، والتعلق بالآخرة، فيصير مقصدا للتبرك يقبل عليه العامة من الناس فيقبلون يديه، ويتمسحون بملابسه، ويطلبون منه الدعاء، وعند موته يقام له ضريح داخل قبة بيضاء، ويصير قبره مزارا يشد له الرحال، ويتوسل به الزائرون، ويقدمون الزيارات(الهدايا) لخادم ضريحه. [5]

---

1 - **الدر الثمين لميارة** – المطبعة الخيرية مصر. 1306. مكتبة سالمي مصباح الوادي.

2 - مجموع - مخ- نسخة عام 1890 مبروك بن عمار. مكتبة أحمد خراز.

3 - مجموع - مخ- بتاريخ 1810. مكتبة الزاوية الهبرية بقمار.

4 - ناسخه محمد المكي بن علي من عائلة الفكون القسطنطينية. عام 1885. مكتبة سالمي مصباح.

5 -. André. Voisin – op. cit. p 88

وأعظم الأولياء على الإطلاق هم شيوخ الطرق الصوفية، ويغلب على المجتمع يومئذ الانتماء، والتعلق بأحد أولئك الشيوخ، لأن من أصول الاعتقاد " أن من لا شيخ له فالشيطان شيخه " وقد يكون شفيع هؤلاء في هذا الاعتقاد ومستندهم[1] قول ابن عاشر:

يصحب شيخا عارف المسالك * يقيه في طريقه المهالك

ولهؤلاء الأولياء أو (المرابطين) مكانة هامة تتجلى في الألقاب التي يطلقها عليهم الشيوخ والأتباع، ويعتبرونهم في منزلة السلاطين الحقيقيين أو أكثر، وهم يقتسمون البقاع بينهم، فيُطلق عليهم لفظ "سلطان"[2] مثلما كان سائدا منذ قرون في البلاد التونسية.[3] وتسربت هذه الأفكار إلى الصحراء الجزائرية ومنها منطقة وادي سوف، وقد أطلق الشيخ علي بن عمر الطولقي العزوزي، على مريده الشيخ سيدي سالم العايب "سلطان الصحراء ". فقد ذكر محمد العزوزي قائلا: "...أن الجد الشيخ سيدي سالم إذا ذهب لزيارة شيخه يتلقاه خارج طولقة ويقول جاء سلطان الصحراء ويكررها، ويجله، ويعظمه، ويقربه..." [4]

ويعتبر أتباع الطريقة التجانية أن سيدي أحمد التجاني " سلطان " على كل أرض، ويقول في ذلك غادة بن زغب:

سيدي أحمد سلطان بر المغرب * ضامن ضمن لحباب لا من يتعب[5]

ويطلق الشيخ مصطفى بن عزوز عن شيخه علي بن عمر اسم " قطب الدائرة " فيقول: "...وبعد فلا نسوناكم بصالح الدعاء خصوصا عند قطب الدايره الزاهد فيما سوى الله وحبيبنا الاكبر علي بن عمر..."[6]

أما الشاعر بن تواتى القادري فيصف الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني " برئيس الصالحين " فيقول:

يارايس الصلاح * ماك سيدي عبد القادر[7]

---

1 - إبراهيم العوامر – مقدمة الصروف بقلم حمزة بوكوشة – ص ص20 – 21.

2 - أطلق لفظ " **سلطان الجريد** " على سيدي بوعلي النفطي. أنظر صالح باجية – **الاباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى** - دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع. ط 1. تونس. 1971- ص141.

3 - أطلق على الولي الصالح محرز بن رزين الذي عاش في مدينة تونس ما بين 951 – 1022 م اسم " سلطان المدينة " انظر محمد البهلي النيال – **الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي** – مكتبة النجاح للنشر والتوزيع. تونس 1965. ص182.

4 - محمد العزوزي بن عزوز بن محمد الصالح – **التعريف بزاوية سيدي سالم** – مخ- يوجد بزاوية سيدي سالم بالوادي.

5 - أحمد محمد زغب – **ديوان غادة بن زغب** – مخ-.

6 - رسالة الشيخ مصطفى بن عزوز البرجي إلى أهل سوف من العزوزية سنة 1258هـ1842م- وهي ضمن مجموع مخطوط بمكتبة الزاوية العثمانية بطولقة نقلتها يوم الأحد 27 أوت 2000.

7 - أحمد زغب – شعراء القادرية في منطقة سوف مخ- ص03.

وهذه المكانة التـــي يحتلها الشـــيوخ عند أتباعهم دفعتهم إلى التعلق بهم ومحبتهم إلى درجة الوله، والاهتمام بالكرامات التي ميزت شيوخهم وجعلتهم عظماء وقديسين.

وقد عدد مصـــطفى بن عزوز كرامات شـــيخه عند موته " ...كما أنه عند الموت يقول يارب خفف عليّ ثم قال اسـمحوا لي يا خلق الله، ونظر إلى السـماء ورفع يديه الاثنان، وشـهّد فسـهل الله عليه كأنها قطرة خرجت، فدفناه ليلة الجمعة، ثم أن بعض الصـادقيـــن قال عند نظر الشيخ إلى السماء، نزل جبـــريل عليه السـلام، وجنود من الملائكة فحملوا روحه إلى ربه راضـية مرضـية إن شـاء الله، ثم بعد أيام حفروا القبر ليحمل إليه الواح فخرجت رائحة كالمسك أو أقوى، شمها كل من كان في المسجد..."[1]

وقد أكد الشـــيخ محمد بن عزوز على كرامة أخرى أعظم من الســـابقة، وتم ذلك عندما حصـــل له حوار مع شيخه عبد الرحمان الأزهري، والذي أعلمه أن رؤية الأتباع له سبـيـل لدخول الجنة، وأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يفارقه أبدا.[2]

إن ذلك السبيل الذي يسلكه الشيوخ في تلقين اتباعهم، يدفع هؤلاء الأتباع والمريدين إلى " التوسل" بشـيوخهم طالبـــيـــن منهم الإعانة على أعدائهم معتقدين أن الله خصـهم بتلك المزية وحقق لهم تلك المنزلة، مثلما ذكر علي بالليل مؤكدا على كرامات شيخه " محمد بن عزوز " فيقول:

شيخ العرب والبلديا * فكاك المراكب في بحور الزاخرين

بعد الغرق تجي مسويا * فكاك الميسور في بلاد الكافرين.[3]

ويعتبـــر المريد أن شيخه حاضر معه دوما، وخاصة في أوقات الشدة، فما عليه إلا أن يتعزز به ضد الأعداء، وفي هذا الشأن يقول عبد الله بلقاسم الزاوي عن أحمد التجاني:

نبدأ باسم الله نايب * واللي عنده شيخ راو يتعزز بيه[4]

إن هؤلاء المتصوفة يعتبـرون شيخهم هو الناصر المعين لهم يوم القيامة، فهو ضامن لهم ما داموا في طريقته سائرين. يقول غادة بن زغب عن احمد التجاني:

ضامن من ضمن لحباب مثل اولاده لا تتطلب في حساب لا تتعذب.[5]

---

1 - رسالة مصطفى بن عزوز – المصدر السابق.

2 - رسالة محمد بن عزوز إلى سي علي بالليل، وسي الحاج أبـــي بكر ضمن مخطوط عنوانه- مجموع رسائل- بالزاوية العثمانية بطولقة. سجلتها يوم الأحد 27 أوت 2000.

3 - أحمد محمد زغب – أعلام الملحون – ص45.

4 - المرجع السابق. ص98.

5 - أحمد محمد زغب – ديوان غادة بن زغب.

وأما بلقاسم بلمشري، فيعتبـــر شيخه - عبد الرحمان الأزهري - هو الذي يغيثه، ويساعده على محو السـيئات، ولا ندري كيف يكون ذلك، هل الشـيخ هو الذي يقوم بمحو السـيئات، وحينئذ يعتبـــرونها كرامة، أو بإتباع هديه وتوبة المريد، ورجوعه عن غيه وتأثره بصـــلاح شـــيخه، وحينئذ يجد الله توابا غفورا. [1]

وهكذا كان للولاية مكانتها عند غالبـــية السكان، لأن الانتماء إلى الشيوخ، والتعلق بالأولياء يعد رمزا للتقوى، والتمسك بالدين، ومصدر اعتزاز وافتخار عند جميع المريدين.

ب) الاعتقاد الكبير في القوى الغيبية:

إن المظاهر الدينـية لحياة الأفراد في المجتمع، تستمد روحها وحيويتها من الأخبار الغيبـية، والأحوال الخفية ومنها:

أولا: الرؤى والأحلام: وهي التـي يـراها " الصالحون " وشيوخ الطرق، والعباد، ويبلغونها إلى أتباعهم، ويعتبـــرون ذلك التبليغ من الواجبات. كما ذكر محمد بن عزوز في رســالته لأهل ســوف " ...وصـــفو العناصر يعلمه طبـيـبـنا الذي هو شيخنا أو من ورثه، بحيث لا يكتم عن ما يـرى ما تكرر من منام أو خاطر..." [2] وهذا المنام تترتب عليه أوامر وأحكام شرعية، ويـربطونها بالوصايا التـي تنسب إلى الرسول صـلى الله عليه وسـلم والتـــي يبلغها إلى أمته التـــي انحرفت عن الطريق السـوي، واتبعت الشـهوات، واقترفت المحرمات، وملخص إحدى الوصايا التي انتشرت عام 1898 مضمونها أن الرسول أتى في المنام لرجل عابد في بـيـت الله الحرام كان يقرأ القرآن، ويصلي في كل ليلة ألف ركعة، فلما وقف عليه الرسول وبلغه تلك الوصـية أمره أن يبلغها للناس من بعده، ويذكر فيها ألوان من العذاب سـوف تصـيبهم إذا لم يـــرجعوا عن غيهم، وإذا أرادوا التوبة فعليهم بالتصدق، وصيام ثلاثة أيام ابتداء من الخميس، وفي يوم الأحد يذبحوا حيوانا، فينكشـف الشـر عنهم، وفي آخر الوصـية يذكر أن العصـاة يومئذ مات منهم ألف كلهم ساروا إلى النار، إلا عشرة دخلوا الجنة، ومن يشك فيها يتبـــرأ منه الرسول، وأما من يبلغها للناس من بلد إلى آخر أو يقرأها فله الأجر الكبير. [3]

والجديـــــر بالذكر أن هذه الوصـــية تتكرر من حين لآخر، بنفس العبارات تقريبا ويتداولها الناس ويصدقونها، لأنها تتماشى مع الفكر الذي تشبعوا به، وصار يجري في دمائهم. [4]

---

1 - السفينة العزوزية. المرجع السابق. ص24.

2 - رسالة محمد بن عزوز إلى علي بالليل. المصدر السابق.

3 - وصية مخطوطة بتاريخ 26 مارس 1898. مكتبة يحي بوضياف بتاغزوت. ولدي صورة منها.

4 - وصية مخطوطة بتاريخ 9 شوال 1315هـ1897م-. مكتبة يحي بوضياف بتاغزوت. ولدي صورة منها.

ثانيا: حماة القرى والبلدان:

لقد جعل الخوف الشديد - من القوى الغيبيـــة - الناس يصدقوا كل شيء يملى عليهم، معتقدين في ذلك الحماية لقراهم ومدنهم من الخراب. وقد حدث أمر عجيب في بلدة قمار، عندما قدم إليهم رجل أصـله من السـاقية الحمراء، وكان راجعا من الحج، فأشـار على السـكان بإقامة حجر بالباب الغربـــي للبلدة، [1] مدعيا انه يضمنها ويحميها من الاضمحلال، واشتـــرط عليهم أن يذبحوا كل سنة عنـــزا حمراء لاشية فيها، بعد أن يطاف بها على البلدة سبع مرات، ويوزع لحمها على ثلاثين عائلة، بشرط أن يضعوا ذلك الحجر في آخر جدار في جهة الغرب من البلدة ويكون موجها للشمس وقت غروبها. [2]

أما في الشمال الشرقي من مدينة قمار فهناك سيف كبير، [3] في كل سنة ابتداء من شهر أوت وحتى سـبتمبـــر، يقال انه تسـمع أصـواتا غريبة في باطن السـيف معلنة عن قدوم جماعة الديوان والجان والصـالحين من الأولياء بقيادة الولي " سـيدي علي بن خزان " لحماية البلدة وقت جنـــي التمور، وتقام احتفالات كل سنة، يوم أول خميس الموافق للرابع من سبتمبـــر، تاريخ دخول فصل الخريف، فيحضر الناس ويصعدوا إلى هذا السيف يحملون العصي ويضربون الرمال مرددين العبارات التالية:

هذا سيف الديوان * سيدي علي بن خزان

والنخلة ولت حشان. [4]

وأثنـاء الاحتفـال تقـام الولائم، وتلعـب كرة القوس، [5] وبعـد انتهـاء المهرجـان، يتفرق النـاس، وهم يعتقدون أن بلادهم صارت تحت رعاية الأولياء، وحماية الصالحين. ويعتقد الناس أيضا أن جنـيـــة أو "غولية " كانت تسكن بلدة الدبيلة، فأخرجها منها " سيدي علي بن خزان "، فسكنت شمال بلدة قمار في منطقة غمرة والدميثة. [6] واشتهر أمرها بـــيـــن الناس، إنها تقوم بإتلاف التمر، فتصدى لها أحد شيوخ الشـابـــيـــة، وهو أحمد عمار بن رمضـان، [7] في حدود عام 1895 في مكان يدعى هود دخان، [8] ولكنه اختفى، ويعتقد الناس أنها انتقمت منه فقتلته. [9]

---

1 - André Voisin. Op. Cit. P 94.

2 - الطاهر اتليلي – الفوائد المنثورة – ص12.

3 - أحد الكثبان الرملية يبلغ ارتفاعه 125 م يدعى سيف الدبـيـلة.

4 - Scelles Millie. Op. Cit. P p 75 – 77.

5 - André Voisin. Op. Cit. P 97.

6 - إبـراهيم العوامر – الصروف- ص99.

7 - الطاهر اتليلي – من تاريخ وادي سوف – ص68.

8 - الطاهر اتليلي – الفوائد المنثورة – ص51.

9 - André Voisin. Op. Cit. P 95.

وقد استغل شيوخ الشابيـــة هذا الحادث الذي أصاب شيخهم، وفرضوا على كل غوط في غمرة عرجون، أو قصـعة من التمر، تسـلم لهؤلاء الشـيوخ في كل عام عند زيارتهم لقمار في موعدهم المحدد لجمع الزيارة قبل رحيلهم لبلدتهم في بلاد الجريد.[1]

واستمرت هذه الأساطيـر والخرافات، تزرع الرعب والخوف في حياة الناس البسطاء، الذين يلجأون دوما إلى القوى الغيبية لتحميهم من شرور الجان.

ج) الأعياد الدينية:

كانت الاحتفالات خلال القرن التاسع عشر تقام في المناسبات الدينـيـة على مدار السنة في أوقات معلومة لها صلة بأحداث ووقائع تاريخية منذ عهد الرسالة المحمدية، بل إن بعض الشهور صارت تسمى باسم تلك المناسبات، ولكل منها طقوسها ومراسيمها الاحتفالية المتميزة، ومن هذه المناسبات:

- **عاشوراء:** وهي ذكرى العاشر من شهر محرم، الذي أطلق عليه أهل سوف شهر عاشوراء، والذي يحتفل الناس في لياليه بإقامة مهرجانات فيها الغناء وقول الشـعر، ممتـــزجة بالألعاب والتمثيل الفلكلوري، كما يتم فيها التوسعة على العيال بشراء الأطعمة المختلفة وخاصة اللحم.

- **المولـد:** ويطلق على شهر ربـيـع الأول، ويحتفل فيه كل عام بالقصائد منذ دخول الشهر، إلى ليلة الثاني عشـر منه، وهي ليلة المولد النبوي الشـريف، فتسـتمر المدائح في المسـاجد والزوايا إلى الصـباح، وتنشد فيه قصائد الإمام البصيـري،[2] وأشهر قصائده " البـردة " وهي " الكواكب الدرية في مدح خيـر البرية "، و "الهمزية " والتي سماها صاحبها " أم القرى في مدح خير الورى " والمضرية والمحمدية وغيرها من قصائد البصيـري. كما تقرأ المجالس من كتاب " سيدي العروسي "[3] في الصلاة على النبـي ومدحه. وفي هذا الشأن، يتمنى الشاعر العزوزي " علي بالليل " أن يحشر معهم فيقول:

رحلوا علامة الدروسي * في دين الله يرافقو
مولى " البردة " و" العروسي " * مداح عن زين البشر
يارب اجعلنا معاهم * نصفّي لبدان والقلوب[4]

1 - الطاهر اتليلي – من تاريخ وادي سوف – ص68.

2 - ولد بأبـي صير بمصر سنة 608هـ 1211م- واليها نسب.

3 - بـركات بن أحمد بن محمد العروسي القسنطينـى – **وسيلة المتوسلين بفضل الصلاة على سيد المرسلين** – مطبعة البابـي الحلبـى. ط 1. مصر 1965.

4 - أحمد محمد زغب – أعلام الملحون– ص47.

ويقرأ في الصباح مختصر لسيـرة الرسول صلى الله عليه وسلم من كتاب " مولد البـرزنجي " [1] ويتم ختـان الأطفـال ويقـام لهم حفـل بـه إطلاق للبـارود مع اختلاطه بزغردة النســاء والغنـاء والموســيقى والأشعار.[2]

- **المعراج:** وهي ليلة السابع والعشرين من شهر رجب التي يتم فيها إحياء ذكرى الإسراء والمعراج.
- **الشعبانية:** وهي ليلة النصف من شهر شعبان التي يتلى فيها دعاء خاص.

ـ **ليلة القدر:** في السابع والعشرين من رمضان، ويفرح فيها الأطفال وتسلم لهم الهدايا من البـيـوت التي يترددون عليها في الصباح الباكر، وفي المساء حيث تعد لهم وجبة خاصة من الكسكس واللحم.

إضافة إلى عيدي الفطر (الصغيـر) والاضحى (الكبـيـر) وما يصاحبهما من فرحة وابتهاج وزيارات وتبادل الهدايا وخاصة للأطفال الصغار.

والجديـر بالذكر أن كل هذه الأعياد، لابد من اقتـرانها بشراء اللحم والتوسعة على العيال، وبعض الناس يسمي المولود الذي يولد في إحدى هذه المناسبات، بتلك الحادثة تبـركا وتـيـمنا مثل: عاشوري، والمولدي، ورجب، ومعراج، وشعبان، ورمضان، والقدري، والعيد، والجموعي إذا ولد يوم الجمعة.

د .الطائفة اليهودية في وادي سوف خلال القرن التاسع عشر:

كانـت الطائفة اليهودية متواجدة بالمنطقة منذ عهود قديمة، وقد أرجعها العدواني إلى بدايـة الفتـح الإسـلامي للصحراء. [3] وقد سـكنوا في عدة مناطق من سـوف ومنها تاغزوت والزقم وكوينـيـن، ولكنهم اخرجوا منها بسـبب خبثهم وتآمرهم، فاسـتقروا نهائيا في مدينتـي الوادي وقمار، [4] وبعض العائلات من أصول مغربية قدموا من ميزاب واستقروا بقمار.[5]

وقد حملت كثيـر من المناطق القديمة بوادي سـوف أسـماء يهودية مثل: شـوشـة اليهودي، وسـيف اليهودي، ونزلة موشـي [6] وعند اسـتقرارهم بالوادي وقمار ملكوا الكثيـر من المنازل والغيطان، [7] بما اكتسـبوه من أموال لان اغلب حرفهم هي الاشـتغال بصنع حلي الذهب والفضـة، وصنع القرداش لندف

---

1 - هو مفتـى المدينة المنورة جعفر الحسنـي البـرزنجي 1690 – 1766- وعنوان مولده" الجوهر في مولد النبـي الأزهر " طبع بمصر سنة 1889، وله شروح.

2 - D. Escard. Op. Cit. P 61.

3 - محمد العدوانـي – المرجع السابق. ص79. ورد فيه" وأما أهل الصحراء فهم من نسل سيزجوج بن طيـراق اليهودي أصل مسكنهم خيبـر. . . ".

4 - André Voisin. op. cit. p p 62 – 63.

5 - C. Cauvet – Culture – p 64.

6 - إبـراهيم العوامر – المرجع السابق. ص169.

7 - André Voisin. op. cit. p 62.

الصوف، وبيع خمر النخيل، [1] وينزعون الأسنان، ويعملون في مهنة الحدادة، ويبرون النخيل، ونساؤهم يتغلغلن في أوساط السكان لبيع المجوهرات والأدوية والتمائم السحرية. وهم يلبسون مثل السوافة، شاشية في الراس، وقندورة وبرنوس. [2]

ولكن ذلك لم يمنعهم من التميز بالسكن في حي واحد عرف " برحبة ليهود " قرب سوق مدينة الوادي، وكان منهم الربيون وشيدوا معابد لأداء شعائر دينهم، كما كانوا يتعاملون بالربا المدعو "الطلوق" ويتمثل في إقراض الأموال بالفوائد، [3] وكان السكان في عمومهم يحذرون منهم ويعتبرونهم غرباء عن الجماعة فيقولون في أمثالهم "الجماعة صف صف واليهودي وحده " وفي رسالة بتاريخ 1899 يصرح صاحبها بالعداوة الصريحة لهذه الطائفة رغم تعامله تجاريا معهم فيقول " ...وفي شأن اليهودي عليه العنة(كذا) إلى يوم الدين موشي...وسلم لنا على الفقيه السيد الحاج سعد والمرجو منه يخلصني من لهودي(كذا) لان اليهود ليس يفعلون المعروف في الإسلام أبدا... "[4] وحتى يوفروا بعض الحصانة لأموالهم انتسبوا في الظاهر للطرق الصوفية للحصول على الحماية. [5]

لقد كانت مظاهر التدين متأصلة في واقع السكان بوادي سوف خلال القرن التاسع عشر، رغم ما صاحبها من بساطة، وجنوح إلى الغيبيات، واعتقاد بالخرافات والأساطير، والرؤى والأحلام، واعتبارها من مبادئ الدين، وحينئذ تكرست كثير من السلوكات السلبية الغريبة عن أصول الدين الإسلامي. وفي مقابل ذلك كانت الطائفة اليهودية متميزة بمظاهرها الاجتماعية ومعتقداتها الدينية ومعابدها الخاصة، إلاّ أنها كانت تعامل السكان بالحيل وتعاطي الربا، وذلك جعلها مبغوضة عند المجتمع السوفي.

4. المراكز الدينية في المجتمع السوفي في القرن التاسع عشر:

كانت المراكز الدينية خلال القرن التاسع عشر متعددة، وهي المساجد وزوايا للطرق الصوفية، فضلا عن القباب والأضرحة والمزارات المختلفة.

1 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق. ص169.

2 - J. scelles Millie. Op. cit. p p 143 – 144.

3 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق. ص169.

4 - رسالة بلقاسم بن مسعود الجامعي إلى أبي الضياف بن أحمد التاغزوتي بتاريخ 14 جوان 1899. وهي في مكتبة بوضياف بتاغزوت.

5 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق. ص169.

أ) دور المساجد الديني والعلمي في المجتمع:

لقد ارتبط تشييد المساجد وإقامة الجوامع في المجتمع السوفي، بتطور الحياة الفكرية، ورسوخ المبادئ الدينية منذ قرون بعيدة، عندما شُيّد مسجد العدواني بالزقم، [1] ثم نشطت حركة تعمير المساجد على يد شيوخ الشابية منذ بداية القرن السابع عشر، [2] وانتشرت في القرون الموالية حتى وصل عددها في نهاية القرن الثامن عشر حوالي عشرين مسجدا في سوف بأكملها. وكانت تلك المساجد بسيطة في بنائها وشكلها ومرافقها، واستمر تشييدها خلال القرن التاسع عشر بشكل كبير بلغ نحو ستة عشر مسجدا نصفها في مدينة الوادي، والأخرى متناثرة في القرى، وتحتل مدينة قمار المرتبة الثانية بنحو أربعة مساجد. [3]

إن بناء المساجد وإقامتها كان على صلة وثيقة بالتهيئة العمرانية في القرى الجديدة، مثلما نلاحظه في قرية ورماس التي بني مسجدها في حدود 1850، [4] والذي يعتبر تاريخا تقريبيا يحدد من خلاله زمن نشأة تلك القرية، لأن سكان كوينين الذين عمروها كانوا يرحلون إليها بصفة مؤقتة، وبدأ بعضهم يستقر، فتطلب الأمر إقامة المسجد الذي هو الأنيس لهم في الغربة، فهو يجمع السكان الذين تناثرت مساكنهم حول الغيطان، وقد أشار إلى ذلك الرحالة " **Duveyrier** " لما مرّ بسوف عام 1860، أنه وجد منازل قليلة السكان ببلدة ورماس، [5] وبعد مدة معتبرة أقيمت قرية " الدويرة " قرب ورماس، وشُيد مسجدها سنة 1885. [6]

وقد ارتبطت بعض هذه المساجد بالطرق الصوفية، التي أقامت في نطاق زواياها مساجد للصلاة والذكر وقراءة القرآن، مثل مسجد الزاوية بالرباح التابع لزاوية محمد لمام القادرية، ومسجد الشيخ الهاشمي الشريف، بزاوية عميش، ومسجد الزاوية التجانية بقمار، الذي أقامه محمد العيد التماسيني

---

1 - ذكر د. أبو القاسم سعد اللّه في تاريخ العدواني ص20 "... هناك مسجد يحمل اسمه ربما بني قبله أو كان في الأصل زاوية أو خلوة يتعبد فيها، إذ يقولون عن المسجد أن له ثمانية قرون، فإذا ثبت أن العدواني عاش إلى وسط القرن الحادي عشر، فإن الجامع يكون قد بني قبل العدواني بزمن طويل، ولعله جدّده وأحياه ونسب إليه...".

2 - لقد أنشئ مسجد سيدي المسعود الشابى في الوادي عام 1600م أنظر André Voisin op- cit p 118.

3 - بلغ العدد الإجمالي للمساجد بوادي سوف منذ القدم حتى نهاية القرن التاسع عشر حوالي 36 مسجدا.

4 - André Voisin op- cit p 56.

5 - Bataillon op- cit p 45.

6 - André Voisin op cit p 56.

عام 1261 هـ(1845م) [1] ومسجد سيدي سالم الذي بني بعد تمام الزاوية العزوزية بالوادي بعشر سنين (1830) .[2] وأما مسجد مقدم الطريقة العزوزية بقمار سي سعيد فقد أقيم عام 1890.[3]

إن المسجد العتيق في كل بلدة من مدن وقرى سوف، كان يحضى بالمكانة الهامة المميزة له عن غيره من مساجد البلدة، من ناحية إقبال المصلين الذين يفضلون الصلاة فيه. لأنه أقدم المساجد وأكثرها بركة، كما أن الفقه الإسلامي حث على عدم إقامة صلاة الجمعة في غير المسجد العتيق إلا إذا ضاق هذا الأخير بالمصلين، ولكن ذلك لم يمنع من تشييد مساجد بالقرب من المسجد العتيق بدافع التعصب والذي غذته الطرق الصوفية فيما بعد، مثلما وقع في كوينين[4] وفي مدينة الوادي وغيره.

وقد تحكمت عدة عوامل في تشييد المساجد في وادي سوف منها الحرارة الدينية، والرغبة الصادقة، والتعصب للفرقة، والتنافس بين الطرق الصوفية، ويظهر ذلك جليا عندما نأخذ مدينة الوادي كعيّنة، ونحاول القيام بقراءة تاريخية في ثلاثة أحياء متجاورة (لعشاش – المصاعبة – اولاد احمد)، والواقعة في محيط جغرافي لا يتجاوز كيلومترين، فنجد عدد المساجد في تلك الأحياء حتى نهاية القرن التاسع عشر بلغ تسعة مساجد أغلبها في حي لعشاش، الذي يحتوي على خمسة مساجد، منها مسجد سيدي سالم التابع للزاوية العزوزية 1830، وذلك لم يمنع بعض أتباع هذه الطريقة من إقامة مسجد الحسيني، [5] أو مسجد سي موسى[6] سنة 1870 [7]. أما المسجد الثالث في هذا الحي فهو مسجد العزازلة الذي أقيم سنة 1870 .[8]

أما حي المصاعبة المتاخم لحي لعشاش، فقد شيد به مسجد واحد في بداية القرن التاسع عشر من قبل أتباع الطريقة القادرية، وهو مسجد سيدي عبد القادر الجيلاني سنة 1810[9] كما شيد أتباع الشيخ أبو علي السني (النفطي) مسجدا في حي أولاد احمد سنة 1890.

---

1 - لقاء مع شيخ الزاوية التجانية بتاغزوت احميدة ينبوعي يوم 10 فيفري1998.

2 - Bataillon op cit p 68.

3 - الطاهر اتليلي – الفوائد المنثورة – ص43.

4 - شيد المسجد العتيق بكوينين سنة 1634م وصار خلال القرن التاسع عشر تحت إشراف أتباع الطريقة التجانية. وقد أقام إخوان الطريقة العزوزية مسجدا لهم عام 1792م ويدعى المسجد القبلاوي أو مسجد لخوان ولا يفصل بين المسجدين إلا الشارع. أنظر: André Voisin op cit p 55.

5 - نسبة إلى الشيخ الحسين بن علي بن عمر الطولقي الذي ولد سنة 1246هـ 1830م - ببلدة طولقة، وهو فقيه متصوف، أخذ الطريقة العزوزية عن خاله مصطفى بن عزوز، وصاحبه لما انتقل إلى الجريد سنة 1259هـ 1844م-، وبقي ملازما له طول حياته حتى توفي سنة 1309هـ 1891م- أنظر علي الرضا الحسيني- المرجع السابق ص ص70 – 71.

6 - أسّسه أولاد موسى موساوي - على شكل مدرسة قرآنية، واستقدموا الشيخ الحسين بن علي من تونس، وأرادوا تحويل المسجد إلى زاوية عزوزية، لكن قايد لعشاش حم موسى عارض ذلك لوجود زاوية سيدي سالم العزوزية، فبقي المسجد كما شيد في المرة الأولى.

7 - André Voisin op cit p 118.

8 - تمّ تشييده من طرف قبيلة العزازلة، وأكثر رواده من أتباع الطريقة التجانية.

9 - Bataillon op cit p 68.

وكان جلّ هذه المساجد عامرا بالقرآن الكريم، تدريسا للصغار أثناء النهار وطرفا من الليل، ومراجعة من قبل الكبار إذ يقام في كل مسجد (الحزب)، أو اجتماع مجموعة من رواد المسجد على مدار السنة، وقراءة القرآن يوميا جماعيا، بمعدل حزبين، وخلال كل شهر قمري يختم القرآن تلاوة مرة واحدة. كما كان يتم بها تدريس العلوم الشرعية من قبل الأئمة وكبار العلماء بالجهة، خاصة الفقه الإسلامي، وعلوم القرآن، والسير، والحديث النبوي الشريف. كما كانت تقام بها الاحتفالات الدينية في الأعياد المعروفة، بترديد المدائح وقراءة الشعر وإلقاء الكلمات، وفي مختلف الأوقات الأخرى تكون مقصدا لبعض الشيوخ، لأداء صلاة الجماعة والجمعة، التي كانت خطبها المنبرية لا زالت تختم بالدعاء للسلطان العثماني باسطنبول، وهذا ما أكّدته التقارير الفرنسية، ولم يشذ عن ذلك إلا أتباع الطريقة التجانية بقمار، [1] بسبب الخلاف التاريخي بينهم وبين الأتراك بالجزائر وخصوصا مع شيخهم أحمد التجاني.

وهكذا كانت المساجد أهم مؤسسة في المجتمع خلال القرن التاسع عشر، لاستقطابها كل فئات المجتمع، واحتضانها مختلف النشاطات الثقافية الدينية.

ب) الطرق الصوفية وزواياها في المجتمع السوفي:

لقد تجسد التصوف في المجتمع السوفي خلال القرن التاسع عشر في الطرق الصوفية المتعددة، التي يمكن حصر أغلب اتباعها في ثلاث طرق رئيسية، هي القادرية والتجانية والعزوزية، والتي شيد اتباعها زوايا في مختلف أنحاء الإقليم. وإلى جانبها تواجدت بعض الطرق الدينية الأقل شأنا بسبب قلة أتباعها رغم انتشار بعضها في المنطقة منذ القرن التاسع الهجري.

أولا: الطرق الصوفية الرئيسية: وهي الطرق التي اشتهرت بكثرة أتباعها وانتشار زواياها، ومساهمتها في القضايا الاجتماعية والثقافية والسياسية، ومنها:

- **الطريقة القادرية:** وتعتبر من أقدم الطرق الصوفية في العالم الإسلامي، [2] وقد وصلت إلى الجزائر في وقت مبكر عن طريق الحجاج إلى بيت الله الحرام، [3] أو عبر تونس، ومنها تسربت إلى وادي سوف منذ

---

1 - Classe Dirigeante Rapport- op cit.

2 - مؤسسها هو الشيخ عبد القادر الجيلاني، المولود في جيل أو جيلان بالقرب من بغداد، عام 471هـ 1078م-، وقد توفي سنة 561هـ 1166م- ببغداد. أنظر: أنظر فيلالي مختار – **نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني** – دار الفن القرافيكي للطباعة والنشر. باتنة. ص35.

3 - الشيخ أبو مدين الغوث الذي عاش في القرن السادس الهجري ولد عام 520هـ- الذي حج والتقى في مكة بالشيخ عبد القادر الجيلاني، وأخذ عنه في الحرم الشريف كثيرا من الحديث النبوي الشريف وكذلك الطريقة. أنظر: أ. بيل – أبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسي– في – **دائرة المعارف الإسلامية**. دار الشروق. القاهرة. 1933. مج 1. ص602.

القرن السادس الهجري، [1] وأضحى لها مقاديم يمثلونها مع ارتباطهم التام بالمقر العام للقادرية في بغداد وظلت التقاليد القادرية موحدة، ممثلة في الذكر والحضرة.[2]

أما تنظيم الطريقة وقيادة أتباعها، فبدأ خلال القرن التاسع عشر من قبل عائلة الشريف، [3] التي تقطن الجريد التونسي. [4]

وقد وضع النواة الأولى للقادرية في وادي سوف الشيخ إبراهيم بن احمد بن محمد بن عطية الشريف الذي عاش ما بين 1229 – 1292هـالموافق (1813 – 1875م)، [5] وقد أسس زاويته القادرية بنفطة بالجريد التونسي سنة 1251هـ(1835م)، واتجه إلى الجزائر ووضع الأساس الأول لزاوية عميش بالوادي، وكان قد تلقى التصوف بتوزر على يد الشيخ بوبكر بن أحمد[6] بن عبد الله الشريف في زاويته، وقد ذكر ذلك في قصيدة تُدعى النور، بين فيها معالم التصوف، وآدابه، وشيوخه، ومما قال فيها:

فمن شيخنا عن شيخه عن شيوخنا * فسلسلة الأشياخ أهل العناية

فأولهم في الذكر شمس وجودنا * وقطب النهى علومها الادنية

أبو عبيد الاله اسمه أبو بكر * ابن أحمد المعروف شريف لنسبه

عنه أخذنا أعني عن قمر الدجى * ورثنا طريق القوم دون استرابة[7]

واستمرت علاقة الشيخ إبراهيم الشريف بأهل سوف حتى يوم وفاته، ويومها حضر وفد هام من سوف ووادي ريغ، وقد سجل ذلك أحد الشعراء بقوله:

لما قرب للوفاة * أرسل لكل الاخوان

جانا الجواب بالثبات * جينا حفاة للسلطان

اخوان سوف جت اتهات * هم وارجال الحشان[8]

وبعد وفاة الشيخ إبراهيم تولى أمر الزاوية من بعده ابنه الأكبر محمد الكبير، الذي ربط علاقات مع الضابط الفرنسي ديبورتر الذي تولى إدارة المكتب العربي بالوادي سنة 1881، وعمل بعد ذلك في

---

1 - عند رجوع الشيخ أبو مدين الغوث مكث مدة بتونس، وهناك أخذ عنه الطريقة ثلة من العلماء منهم أبو علي النفطي، أنظر: محمد البهلي النيال – المرجع السابق. ص204.

2 - فلالي مختار – المرجع السابق. ص37.

3 - أصلها من الجزائر وتنتمي إلى قبيلة لبازيد- التى كانت تقطن في منطقة الزيبان، وقد هاجر جدهم إلى تونس.

4 - عمار هلال – الشيخ عبد العزيز بن محمد الهاشمي – في – **مجلة الثقافة**. الجزائر. 1986. العدد95. ص274.

5 - Marthe et Edmond Gouvion – **Kitab Aayane El-Marhariba**- Imprimerie orientale Fontano frères. Alger. 1920 p41.

6 - Ibid p p 42 – 43.

7 - القصيدة خُطت بالأغواط بتاريخ 1904، توجد في زاوية ابنه محمد الطيب الشريف، بالرويسات بورقلة. لديّ نسخة منها.

8 - الأبيات ضمن قصيدة بعنوان " يا حي يا قيوم " شاعرها مجهول، نقلتها عن الأستاذ قمعون عاشوري في جويلية 1997.

جهاز الاستخبارات بتونس، وحصل ديبورتر على دبلوم (مقدم القادرية) من الشيخ محمد الكبير، وكان يستخدمه عند الحاجة حتى اعتقد فيه العامة أنه مسلم قادري، وفي المقابل رخص ديبورتر لأبناء إبراهيم الشريف بفتح فروع لهم بعدة أماكن بالجزائر منها:

- زاوية الرباح[1] بمنطقة عميش وأسسها محمد لمام بن إبراهيم الشريف[2]، وكان لها دور في تعليم القرآن وترديد الأذكار، وإكرام الضيوف، وإطعام الفقراء والمحتاجين.[3]

- - زاوية قمار والتي أقيمت في إطار التنافس مع التجانية في تلك الجهة، وتولى أمرها الشيخ الحسين بن إبراهيم الشريف.[4]

- زاوية عميش وتولاها الشيخ الهاشمي بن إبراهيم الشريف[5] الذي كان يومئذ خليفة (نائبا) لأخيه محمد الكبير، [6] وقد قدم للوادي في حدود 1886، فصارت له سلطة روحية على معظم أتباع الطريقة القادرية، وأصبح الرئيس المطاع بوادي سوف.[7]

وقد قام الشيخ الهاشمي بنشاط كبير، فاستطاع تجنيد الأتباع، وأوصل صوت الطريقة إلى أقصى الجنوب، وربط علاقات مع بلاد السودان وغات، وجنّد الكثير من أهل سوف الذين كانوا يجوبون الصحراء للتجارة، فقاموا بهذه المهمة.[8] كما سعى الشيخ الهاشمي من جهة أخرى إلى فتح الزوايا القادرية كلما سنحت له الفرصة، مثل الزاوية القادرية بأولاد جلال بنواحي بسكرة، [9] وزاوية الأغواط التي أوصى بإقامة مدرسة لها وكان يدعو للعلم والنهضة، [10] وكانت زاويته مهتمة بالتعليم الأولي للقرآن، ولكن التكوين الحقيقي يتم في زاوية نفطة القادرية، أو زاوية توزر[11] التي يتولى أمرها الشيخ المولدي بوعرقية.

---

1 - **الرباح:** إحدى قرى عميش تبعد عن الوادي جنوبا بنحو 10 كلم.

2 - تاريخ الجزائر الثقافي – ج 4. ص ص50 – 51.

3 - Isabelle Eberhardt – Mes Journaliers – p 108.

4 - أبو القاسم سعدالله – المرجع السابق. ص51.

5 - ولد بنفطة عام 1853، وتوفي بالبياضة الوادي في 23 سبتمبر 1923. أنظر د. عمار هلال – **أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة 1830 – 1962**– ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر 1995. ص ص320 – 323.

6 - أبو القاسم سعدالله – المرجع السابق. ص47.

7 - حمزة بوكوشة – **الشيخ الهاشمي الشريف وانتفاضة وادي سوف 1918** – محاضرة مرقونة ألقيت بورقلة بثانوية ملاح بمناسبة الموسم الثقافي أفريل 1987. ص1. لديّ نسخة منها.

8 - أبو القاسم سعدالله – المرجع السابق. ص ص47 - 48.

9 - محمد نسيب – **زوايا العلم والقرآن بالجزائر** – دار الفكر دمشق. الجزائر. ص219.

10 - محمد علي دبوز – **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة** – المطبعة العربية. الجزائر. 1969. ج 3. ص ص254 - 255.

11 - أبو القاسم سعدالله – المرجع السابق. ج 3. ص ص234 – 235.

والجديـــر بالذكر أن زاوية توزر القادرية التي أسـسـها الشـيخ أبوبكر بن أحمد بن عبد الله في أوائل القرن الثالث عشـــر الهجري، وتولى من بعده ابنه المولدي، [1] وصـــارت ملاذا لأهل ســـوف، يقصـــدونها لحفظ القرآن الكريم اســـتعدادا لدخول جامع الزيتونة، وكان للشـــيخ المولدي أتباع في ســـوف يأخذون عنه الأذكار متجاوزين في ذلك الشيخ الهاشمي، ويجتمع بعضهم كل سنة ويزورونه في زاويته بتوزر. [2]

وقد مدحه الشـــيخ العوامر في قصـــائد ينشـــدها إخوان الطريقة في مناســـباتهم وتدعو كلها إلى محبة المولدي وزيارته والاقتباس من أنواره. وورد في أحدى القصائد:

واقتبس من سناه نورا بهيا * تبقى ما عشت ساطع الأضواء

وتعطر من طيب يمناه لثما * فمن المولدي شذا الأنحاء [3]

- **الطريقة التجانـيـة:** وهي طريقة صوفية حديثة، تـرجع إلى أواخر القرن الثامن عشر، [4] مؤسسها هو الشيخ أحمد التجانـــي، [5] الذي ارتبطت طريقته بأهل سوف في وقت مبكر، عندما أرسل التجانـــي أحد أتباعه، وهو محمد السـاسـي القماري لينشـر الطريقة بقمار، وقد نجح في دعوة عشـرة أفراد، كوّن منهم ركبا قاده نحو عيـــن ماضـي لزيارة الشـيخ التجانـــي، وأخذوا الطريقة منه مباشـرة عام 1201 هـ(1786م)، [6] ورافقهم في زيارتهم للشيخ سنة 1204 هـ(1789م) الحاج علي التماسيني، [7] الذي دخل في الطريقة، [8] وكان له دور كبير في قيادتها ونشرها خصوصا بوادي ريغ وسوف. [9]

وقد أمر الشيخ أحمد التجاني مريديه بتأسيس زاوية لهم بقمار، فتم ذلك عام 1204 هـ(1789م) على يد المقدم محمد الساسي القماري، وكان المشرف عليها في بداية الأمر، ثم سلّم مفاتـيـحها للشيخ الحاج علي التماسيني وبقيت تحت رعاية أبنائه من بعده. [10]

---

1 - توفي عام 1915. أنظر أحمد البختـري – **الجديد في أدب الجريد** – الشركة التونسية للتوزيع. تونس 1973. ص133.

2 - إبـراهيم العوامر – الصروف – ص21.

3 - ابـــراهيم العوامر – **ديوان في الشعر الصوفي** – مخ-. ص07. يوجد بزاوية سيدي المولدي بتوزر. وقد سلّمنـــى السيد راشدي سليم نسخة منه يوم 1999/01/29.

4 - J. Scelles Millie. Op. Cit. P 113.

5 - هو الشيخ أبو العباس أحمد محمد التجانـــي، من الأشراف، ولد بعين ماضي قرب الاغواط 1150هـــ 1737م-. أنظر: علي حرازم الفاسي – **جواهر المعانـي وبلوغ الأمانـي في فيض سيدي أبـى العباس التجانـي** – دار الجيل. بـيروت. 1988. ج1. ص23.

6 - عبد الباقي مفتاح – المرجع السابق- ص185.

7 - الحاج علي التماسينـــي من الأشراف، يـــرجع نسبه إلى بلدة ينبع ببلاد الحجاز، ولد بتماسين في حدود 1180هـــ1767م-. أنظر: . – Gouvion op cit p p 56 – 65

8 - محمد اخميس القوراري – **رسالة إلى الشيخ محمد الحافظ التجانـي المصري حول الحاج علي التماسينـى وأبنائه** – مرقونة بتاريخ 1969. ص05. لديّ نسخة منها.

9 - C. Noelat op-cit p 100.

10 - لقاء مع شيخ الزاوية التجانية بتاغزوت احميدة ينبوعي يوم 10 فيفري1998.

والجدير بالذكر أن الشيخ أحمد التجاني عمد إلى تأسيس الزوايا في كل مكان يحلّ به، ويعيّن لهم مقدما يأمره بنشر الطريقة في تلك البقعة، وبعد استقراره بفاس أسس زاويته سنة 1215 هـ(1800م).[1] وكان الأتباع يشدون الرحال إنطلاقا من زاويتي قمار وتماسين نحو فاس، لزيارة شيخهم وآخر هذه الزيارات كانت قبل رحيله عن الدنيا، عندما استدعى الشيخ التجاني أخص أصحابه، وأوصاهم بأهله، وهؤلاء الأصحاب منهم الحاج علي التماسيني، وبعض المقاديم من سوف وهم الطاهر بن عبد الصادق لقماري، وأحمد بن سليمان التاغزوتي، وأفراد آخرون[2] وفي تلك الرحلة توفي الشيخ التجاني في سبتمبر 1815.[3]

وكانت زاوية قمار خلال عهد علي التماسيني عامرة بالمريدين، وأراد الحاج علي أن يستقر بهذه الزاوية مدة من الزمن إلاّ أن الظروف حالت دون ذلك، وأدركه الموت عام 1260هـ(1844م) [4] فخلفه نجله الشيخ محمد العيد الذي وسّع زاوية قمار وبني بها المسجد، وشيّد مساكن للعائلة التماسينية، [5] وبدأت يومئذ رحلة الشتاء والصيف بين تماسين وقمار، فكانت عائلة الحاج علي تأتي باستمرار بجلّ أفرادها لقضاء فصل الصيف بقمار، هربا من مرض " التهم " الذي ينتشر في تلك الأثناء في وادي ريغ وتماسين، وكانوا يعتقدون أن الأولاد يموتون إذا بقوا في تماسين في ذلك الفصل.[6]

أما أشهر الشيوخ الذين أشرفوا على الزاوية التجانية بقمار، وكان لهم تأثير في وادي سوف:

ـ الشيخ محمد الصغير بن الشيخ حاج علي: ولد عام 1232هـ(1817م) فحفظ القرآن الكريم، وقرأ المتون وبعض الشروح عن علماء الصحراء، وفي عام 1258هـ(1842م) قدم إلى تماسين العلامة المختار الشنقيطي ومكث بها سنة يدرس مختصر الشيخ خليل وبعض شروح الألفية، فأخذ عنه العلم، كما لازم والده الحاج علي، فتربى على يديه وسلك الطريق، [7] حتى صار مثال العلم والتقوى والفضيلة، وكسب ثقة سكان سوف والصحراء، [8] وتجلت حكمته أثناء غزو بوشوشة للمنطقة، وكان محمد

1 - عمار هلال – **الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء** – منشورات وزارة الثقافة والسياحة. الجزائر. 1984. ص127.

2 - عبد الباقي مفتاح – المرجع السابق. ص111.

3 - عمار هلال – المرجع السابق. ص127.

4 -. Gouvion op – cit p 53

5 - الطاهر اتليلي – الفوائد المنثورة – ص11.

6 - .Cauvet – Notes – p108

7 - محمد اخميس القوراري – المرجع السابق. ص35.

8 -. Gouvion op – cit p p 61 - 62

الصغيـــر يومذاك مقدما على زاوية قمار، فاستطاع بطريقة غيـــر مباشرة أن يصرف بوشوشة عن المنطقة، فحقن الدماء وحفظ الأموال.[1]

وقد تولى محمد الصغيـر أمر الزاوية التجانـيـة بتماسين في 19 نوفمبـر 1875، خلفا لأخيه محمد العيد، واستمر مشرفا عليها إلى يوم موته في 18 رمضان 1309هـ(1891م)، ودفن بقمار.[2]

ـــ الشيخ محمد العروسي التجانـــي: المدعو " سيدي حمّ عروسي " وهو محمد العروسي بن محمد الصغير بن الحاج علي التماسيني،[3] ولد بقمار عام 1850،[4] وتعلم القرآن على طالب شنقيطي اسمه محمد الطيب، وأخذ الفقه على قاضي قمار الأخضر بن أحمد، والتصوف عن والده. وكان متعلما ذكيا، وله اهتمام كبـيـر بالعلوم والمعارف، وقد بـرز عنده التطلع إلى دور الريادة، فتولى في عهد والده وظيفة مقدم زاوية قمار، ونظرا لقوة شخصيته وحكمته، جعل الزاوية محطّ أنظار رجال زاويتـي تماسين وعين ماضي، إضافة إلى السلطات الفرنسية التـي سعت إلى تمتـيـن أواصر الصداقة معه، من أجل طلب المساعدة.[5] لقد كان إخوان الطريقة التجانـيـة يقصدونه لحل معظلاتهم، فقد أرسل إليه أبو ضياف بن أحمد التاغزوتي رسالة في ربيع الأول 1312هـ(1894م) يطلب منه التوسط لحل مشكلة بينه وبين غريمه علي بن نصر التركي[6].

كما كان الشيخ محمد العروسي دبلوماسيا ماهرا، ذا عقل مفكر، يسهر على أتباعه وغيـرهم، فصار مسموع الكلمة في سوف وخارجها، [7] وخاصة في بلاد الهقار وغدامس، التـي انتشرت بهما التجانـيـة، واستطاع حم عروسي أن يمتـن الصلات مع أهلها واستغل ذلك في مساعدة البعثات الفرنسية، وقد كشـفت رسـالة" فورو"، [8] إلى الشـيخ حم عروسـي بتاريخ 12 جوان 1895 تلك المكانة، فهو يطلب منه إخبار الطوارق عن غزو جيش بوعمامة لهم.[9] وقد أزعجت رسائله إلى الطوارق، السلطات التـركية في

1 - إبـراهيم العوامر – الصروف- ص254.

2 -. Gouvion op – cit p 62

3 - أبو القاسم سعد اللّه – تاريخ الجزائر الثقافي – ج4. ص231.

4 -. Gouvion op – cit p 62

5 - أبو القاسم سعد اللّه – تاريخ الجزائر الثقافي – ج4. ص231.

6 - رسالة ابـي الضياف بن أحمد إلى حم عروسي. توجد بمكتبة يحي بوضياف المنزلية.

7 -. Gouvion op – cit p 62

8 - **فـورو:** مستكشف فرنسي كان يحسن العربـيـة ويتظاهر بأنه من إخوان الطريقة التجانية.

9 - أبو القاسم سعد اللّه – أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر – ج2. ص345.

غدامس، وكانوا يـــراســلون مقر ولايتهم ويخبـــرونها على هذه الرســائل، ومنها رســالة بتاريخ 1313هـ(1895م).[1]

وقد اعتمد عليه الضابط " بـيـجا " رئيس المكتب العربـي في سوف، لحل مشاكل الصحراء وتسهيل مهمة الضابط " فـورو " وغيـره من المستكشفيـن، فتعاون محمد العروسي مع قبـيـلة الأزجر وأحد أفرادها الشـيخ عبد النبـي، [2] وسـاهم في تسـهيل مهمة بعثة لامي " **Lamy**" 1898 – 1899.[3] وكانت الوفود التارقية تقدم إلى سوف باستمرار، وبلغ عددها أربعة في مدة سنتيـن، وقد انطلقت بعثة فرنسية من ورماس بالوادي نحو الهقار في 13 جانفي 1894.[4] وكان يتلقى على جهوده بشـكل مسـتمر رسـائل الشكر والتقدير من السلطات الفرنسية العليا.[5]

كما كان يتمتع بإتقان فن الهندسـة والنقش الشـرقي، وسـاهم في تطويـره بسـوف، [6] كما اهـتم بالتأليـف وتسجيل الوقائع والأحداث التاريخية في تقاييد خاصة هي الكناش والمخدرة.[7] وكانت الزاوية في عهده مدرسة لتدريس العلوم على الأقل لعدد محدود من أبناء الزاوية وأصدقائها.[8]

إن الزاوية التجانية بقمار كانت تجاورها زاوية تاغزوت، وكان لها نفوذ، ويشرف عليها مقدم، لكنها لم تبلغ المكانة التي وصلت إليها زاوية قمار في عهد الشيخ حم عروسي.[9]

- **الطريقة العزوزية:** وهي طريقة رحمانية، [10] عُرفت بالعزوزية[11] ووصلت إلى وادي سوف، وانتشرت على يد مؤسسها الشيخ محمد بن عزوز البـرجـي الذي زار سوف قبل وفاته، حيث نصبت له خيمة في

---

1 - أحمد صدقي الدجانـي – **وثائق تاريخ ليبـيـا الحديث –الوثائق العثمانية 1881 –1911** – جمع وتـرجمة الحاج عبد السلام أدهم. منشورات جامعة بنغازي. مطابع دار صابـر. بـيروت. 1974. ص127 – 128.

2 - أبو القاسم سعد اللّه – تاريخ الجزائر الثقافي – ج4. ص232.

3 -. Gouvion op – cit p 62

4 - أبو القاسم سعد اللّه – المرجع السابق. ص235.

5 -. Gouvion op – cit p 62

6 - .Ibid p 63

7 - إبـراهيم العوامر- الصروف – ص336.

8 - أبو القاسم سعد اللّه – المرجع السابق. ص231.

9 - نفسه ص235.

10 - نسبة إلى مؤسسها الشيخ محمد بن عبد الرحمان الأزهري الزواوي الجرجري، المولود حوالي 1720، في قبـيـلة آيت إسماعيل، وتوفي سنة 1793. وعرف يومئذ ببوقبـرين، الأول في جرجرة والثانـي في الجزائر العاصمة. أنظر: فيلالي مختار المرجع السابق. ص ص40 – 43. أبو القاسم الحفناوي – **تعريف الخلف بـرجال السلف** – المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية. الجزائر. 1991. ج2. ص ص298 – 302.

11 - نسبة إلى الشيخ محمد بن عزوز البـرجي، ولد 1170هـ 1756م- بواحة البـرج قرب طولقة، وتلقى الطريقة الرحمانية على مؤسسها الشيخ عبد الرحمان الأزهري، ثم أسس الطريقة العزوزية، وتوفي ببـرج طولقة ودفن هناك سنة 1232هـ1817م-. أنظر: أبو القاسم الحفناوي – المرجع السابق. ص ص329 –334. وعبد الحليم صـيد – "محمد بن عزوز شـيخ العلماء والمجاهدين"- في – **مجلة الثقافة**. الجزائر. 1997. العدد 115. ص ص97 – 113. و عبد الرحمان بلحاج – **الدر المكنوز في حياة سيدي علي بن عمر وبن عزوز** – مطبعة النجـاح. قسنطينة. 13شوال 1350هـ. ص ص02 – 22.

مدينة الوادي، ومكث بها أربعة أيام ناشـرا الطريقة، [1] وكانت مراسـلاته إلى مريديه في سـوف متواصـلة وأشـهرهم علي بالليل من بلدة الزقم والحاج أبوبكر، يذكرهم فيها بالإكثار من الذكر، للارتقاء في سـلم التربية الصوفية. [2] وعرفت الطريقة الرسوخ والتوسع على يد الشيخ سالم العايب.

ـ سيدي سالم وتأسيس الزاوية: هو سالم بن محمد بن امحمد بن نصر بن عطية بن الزايـر بن المحجوب دفين القيروان، ويرفع نسبه إلى عبد السلام بن مشيش. ولد بالوادي عام 1182هـ(1768م) [3] وقد مات والده قبل ولادته، فعاش يتـيـما فقيـرا تحت كفالة أمه، وأصيب بالعرج في رجله وهو لا يزال رضـيعا في مهده، وعرف به طول حياته فصـار يدعى لعرج أو العايب، ولم يمنعه ذلك من الرحلة لزيارة شـيوخه أو طلب الرزق، فقد هاجر إلى نفطة، واشـتغل بمهنة الصـباغة، وكان في الليل مداوما على ذكر الله بصـوت مسـموع، فأزعج الناس، فرفعوا أمره إلى الحاكم فطرده فرجع إلى الوادي، وربط علاقتـه بزاوية طولقة الرحمانية العزوزية، [4] وأخذ الطريقة عن الشيخ علي[5] بن عمر. [6]

كان الشيخ سيدي سالم أمياً قليل الثقافة، إلا أنه يتسم بالسمت الصوفي، والخلق الفاضل، الذي جعل الشيخ علي بن عمر يختاره مقدما على إخوان سوف الرحمانيين، وأشار عليه باتخاذ مكان لذكر الله، فاسـتجاب لأمره، ووضـع نواة زاويته في بادئ الأمر (زريبة) والتـي تطورت إلى زاوية في حدود 1236هـ(1820م)، وازدانت عام 1830 بتشييد مسجد مجاور لها. وقد سهر سيدي سالم على تـربـيـة أولاده وتحفيظهم القرآن والارتقاء بهم في منازل العلم حتـى توفي عام 1277هـ(1860م) ودفن بزاويته في وسط مدينة الوادي. [7] فتولى أمر الزاوية من بعده ابنه وهو:

- مصباح بن سيدي سالم: ولد عام 1839 بالزاوية، وحفظ القرآن بها، ودرس الفقه على الشيخ علي بن قديـري، وتلقن الطريقة على يد الشيخ مصطفى بن عزوز، بإذن من والده سيدي سالم، وقد وصفه محمد العزوزي في مخطوطه بقوله " كان سيدي مصباح رحمه الله قوّاما الليل، مجتهدا في أعمال البـر، سخي الدمعة، كثيـر البكاء شفقة على خلق الله حتـى على الدواب، وكان كلما رأى جنازة يقول لا زلت

---

1 - تقاييد أحمد مفتاح القماري في مكتبة ابنه عبد الباقي المنزلية بقمار.

2 - رسالة محمد بن عزوز إلى علي بالليل. وثيقة سابقة.

3 - محمد العزوزي - المرجع السابق.

4 - تقاييد أحمد مفتاح القماري ومحمد العزوزي. المرجع السابق.

5 - هو علي بن عمر البـرجي، أخذ الطريقة عن الشيخ محمد بن عزوز البـرجي، وأمره بتأسيس زاويته بطولقة، وقد تزوج علي بن عمر ابنة شيخه محمد بن عزوز، وأنجب منها أربعة أبناء هم علي بن عثمان والحفناوي وابـراهيم والحسين. وقبل وفاة محمد بن عزوز أوصاه بأبنائه. وقد توفي علي بن عمر سنة 1842. انظر: الدر المكنوز. المرجع السابق. ص ص21 – 22.

6 - أبو القاسم سعد اللّه – تاريخ الجزائر الثقافي – ج4. ص153.

7 - تقاييد أحمد خراز، نقلته منها في 1997/12/17.

تسمع بهالك حتـى تكون ." [1] وكان يكتم فضائله وكراماته إلا ما ظهر منها للناس، دون ارادة منه (...جرى على طريق الأشـياخ الذين يكتمون أمرهم وهو مقام عظيم يفتخر به كل من له أدنى مسـكة بأحوال القوم..) . [2] وقد انتشرت الطريقة في عهده في الوادي والزقم وكوينين، [3] وقمار وكان سي سعيد هو مقدم العزوزية بها. [4]

وكان للطريقة دور هام في التعليم القرآنـي بزاوية سيدي سالم، التـي استقطبت الطلبة من كامل وادي سـوف، وتعدى ذلك إلى بلاد النمامشـة ووادي ريغ، [5] وكان لهم نظام داخلي، وقد رُصِـدت قوائم هؤلاء الطلبة على شـكل طبقات متعددة [6] وكان لأولاد بكار دور في هذا التعليم، وهما أحمد بكار وابنه العيد، وقد تخرج على يديهما الكثير من القراء وخاصة بوادي سوف. [7]

واشتهرت الزاوية بصومعتها التاريخية التي شيدها سيدي سالم بأمر من شيخه علي بن عمر، [8] وقد وصفها الرحالة هنـري دوفيـرييه سنة 1860 بأنها زاوية ذات منارة طويلة تشرف على سوف كلها، [9] وقد جددت صومعتها سنة 1314هـ(1896م) [10] وتعتبر الصومعة البارزة لوحدها في القرن التاسع عشر.

ثانيـا: الطرق الصوفية الفرعية: وكانت قليلة الاتباع ومحدودة الانتشار، مقارنة بالطرق السابقة، ولم تكن لها زوايا بالمنطقة وإنما ارتبط أغلبها ببعض المساجد المتناثرة بوادي سوف، ومنها:

- **الطريقة البوعـلية:** وأصلها قادرية، وتـرجع إلى القرن السادس الهجري، وظهرت ببلاد الجريد[11] وانتقلت إلى وادي سـوف مبكرا، في حدود القرن التاسـع الهجري. [12] ولكن الجهات الفرنسـية المهتمة بـرصد أخبار الطرق أكدت أنها تكاد تكون غيـر معروفة في الجزائر إلى احتلال تونس(1881)، [13] ويـرجع

---

1 - محمد العزوزي – المرجع السابق.

2 - إبـراهيم العوامر- البحر الطافح – ص36.

3 - Ahmed Nadjah op – cit. P 126.

4 - أبو القاسم سعد اللّه – المرجع السابق. ص154.

5 - G. P. J André – **Confréries Religieuse Musulmanes** – Edition la maison de livre. Alger. 1956. P277.

6 - محمد العزوزي – المرجع السابق.

7 - لقاء مع الشـيخ حفيد أحمد بكار وهو الذي خلف والده في تعليم القرآن بالزاوية، ويدعى سـيدي حمّ بكار، واسـتمر في التدريس إلى عام 1996، تم اللقاء ببيـته ليلا 17 رمضان 1417هـ 26 جانفي 1997-.

8 - محمد العزوزي – المرجع السابق.

9 - أبو القاسم سعد اللّه – المرجع السابق. ص154.

10 - محمد العزوزي – المرجع السابق.

11 - مؤسسها هو أبو علي حسن بن محمد بن عمر النفطي، ولد عام 493هـ- 1099م- وعرف بالسنـي لأنه انتصر لأهل السنة ضد أصحاب المذاهب الأخرى خاصـة الخوارج، فمات على أيديهم سـنة 610هـ 1213م- ودفن بنفطة وله بها قبة تزار. أنظر: أبو القاسـم سـعد اللّه – المرجع السـابق. ص274. ومحمد البهلي النيـال – المرجع السابق. ص211. وأحمد البختـري– المرجع السابق. ص ص64 – 67.

12 - إبـراهيم العوامر – الصروف – ص ص166 – 172.

13 - أبو القاسم سعد اللّه – المرجع السابق. ص274.

ذلك إلى قلة أتباع هذه الطريقة، وعدم وجود تنظيم لها، أو زاوية تبرز شأنها، وقد ارتبط وجودها بسوف ببعض المساجد التـــي حملت اسم الشيخ الذي تنتمي إليه، مثل مسجد سيدي بوعلي بالزقم، ومسجد سيدي بوعلي بجي أولاد احمد بالوادي، وهذا المسجد الأخيـــر " أول من أسسه المرحوم محمد بن ناصر النفطي الأصل المولود عام 1800، وهو أول من أتـــى بطريقة سيدي بوعلي النفطي إلى سوف أخذها من شـــواش ضـــريح ســـيدي بوعلي يقال لهم الطواهرية، ورجع إلى ســـوف ناشـــرا للطريقة، ولكنها لم تنتشـــر فرجع إلى نفطة ومنها ذهب إلى تبسة يخدم عساسا في غابة زاوية سيدي عبد الملك المعروفة بتلك الجهة، ومكث 12 عاما ثم انتقل إلى بسكرة، ومنها أُمر من طرف سيدي أبي علي بطريق الرؤيا المنامية بأن يذهب إلى الوادي ويؤسس المسجد المذكور بمكانه الآن، حيث جعل له فيه خطا، وكانت الجهة آنذاك غير آهلة بالسكان، فأسس المسجد حوالي سنة 1850، وكان في بادئ الأمر عبارة عن خلوة أو زاوية صغيـــرة، [1] وهي الآن مكان الضريح في القسم الجنوبـــي الغربـــي من المسجد، وقد توفي محمد بن ناصر حوالي سنة 1895 ودفن في المسجد فكان الضريح هو الأساس الأول للمسجد المذكور..." [2] وعمومـــا فاتبـــاع هذه الطريقة في سوف يمارسون الرقص الشعبي[3] ولهم حضرة بها مظاهر غريبة.

ـ المرزوقيـــة: وتنسب إلى سيدي مرزوق، وهو رجل أسود كان خادما عند سيدي بوعلي النفطي، فلما توسم فيه الصلاح، وبدت عليه الكرامات، أمره أن يستقل عليه، ففعل، [4] وصار يدين له بالولاء السود في بلاد الجريد ووادي سوف، ويدعون " الوصفان "، وكان لهم في سوف ثلاثة قياد في كوينـــيـــن وعميش والوادي وهم يقيمون احتفالا ســـنويا[5] يجمعهم قاطبة في شـــهر مارس ويدعى " محفل ســـيدي مرزوق " ويتم فيه الرقص والغناء والموســـيقى الخاصـــة بهم، كما يمتنون في ذلك المحفل الأواصـــر ويـــــربطون العلاقات فيما بـــينهم ويتعارفون، [6] رغم أنهم ينتمون إلى الطرق الصوفية الأخرى حسب العائلات التي كانوا ينتمون إليها قبل تحررهم من رق العبودية .

---

1 - شيد المسجد حوالي سنة 1890.

2 - تقاييد أحمد مفتاح لقماري.

3 - أبو القاسم سعد – تاريخ الجزائر الثقافي– ج 4، ص275.

4 - إبـراهيم العوامر- الصروف – ص166.

5 - Andre Voisin. op. cit. p 98.

6 - Roger Leselle op – cit p 66.

ـ الشابـيــة: كان لهذه الأسرة العريقة، [1] دور هام في تاريخ سوف منذ القرن السادس عشر، عندما اخذ جماعة من طرود العهد في القيروان من عرفة بن أحمد بن مخلوف الشابي، [2] وترسخت الطريقة بعد ذلك على يد الشيخ سيدي المسعود وابنه علي، [3] خلال القرن السابع عشر وقام بتشييد عدة مساجد في الوادي وقمار على وجه الخصوص، وحملت تلك المساجد اسم سيدي المسعود الشابي، وكان الأحفاد يأتون سنويا لجمع التمر، وخاصة في قمار، " وقد نصبوا خيمة شعر غربي قرية قمار وسموها بيت الشريعة[4] ثم كانت تلك الخيمة مسجدا وجعلوا في مصلاه عصا ثم خشبة ثم حجرا وبقي الحجر يتبرك به سنين طويلة ثم انتزع واخرج من المسجد[5] بدعوى أنه صار وثنا يعبد من دون الله..."[6].

وعند استقرار بعض العائلات بقمار، وقعت خصومات بينهم وبين السكان حول الجامع، فراسل الشيخ علي بن عثمان شيوخ بيت الشريعة بالجريد، فردوا عليه قائلين " ...لما قدم لنا جوابكم في نازلة الجامع فتحيرنا حيرة عظيمة، ووقعت فينا ضجة حتى كادت أرواحنا تخرج، ولا وقدت نار في دار من ديار الشابية، فها نحن باذلين جهدنا في نازلة الجامع نطلب من الله تعالى النصر على أعدائنا، ولا بد انتم تكونوا حزبا واحدا، ويدا واحدة...فإن لم ننالوا مقصودنا، فنازلة الجامع تكون في الشرع الفرنساوي، وتهيئوا لنا المصاريف، ولا خير في اناس يبيتون على ذلهم..." مشايخ بيت الشريعة في 28 محرم 1305هـ(1887) [7]

وهكذا ظل شيوخ بيت الشريعة من شابية الجريد مهتمين بوادي سوف، لأنها مصدر لجمع التمور، ومن هؤلاء المترددين الشيخ أحمد عمار، [8] الذي كان شيخا لبيت الشريعة في الجريد، وأصدر إجازة في جمادى الثانية 1279 (سبتمبر1862) وكانت متداولة بين أتباعها، وكان لهذه الطريقة أذكار وقواعد

---

1 - تنسب إلى مؤسسها الشيخ أحمد بن مخلوف الشابي 1431 – 1492م- أصيل بلدة الشابة بالساحل التونسي، وقد استقطب المريدين من مختلف أنحاء إفريقيا والمغرب ومنها قبيلة الحنانشة التى تقطن ما بين بلاد الجريد والأوراس. أنظر: علي الشابي – المرجع السابق. ص55

2 - إبراهيم العوامر- الصروف – ص180. و علي الشابى – المرجع السابق. ص57.

3 - سيدي المسعود الشابي، كان يتردد على سوف إلى سنة 1618، وقد توفي ببلدة ششار قرب خنشلة، وذفن بزاويتها الشابية سنة 1619، أنظر: الصروف ص192.

4 - كان للشيخ رمضان – أحد أحفاد الشيخ المسعود الشابي – ابن يدعى عمار، أسس زاوية شابية بتوزر تدعى بيت الشريعة. أنظر: سعد اللّه – تاريخ الجزائر الثقافي – ج 4. ص276.

5 - أخرج الحجر سنة 1354هـ 1935م-

6 - الطاهر اتليلي – من تاريخ وادي سوف – ص68.

7 - رسالة توجد ضمن تقاييد ووثائق الشيخ أحمد مفتاح القماري، لديّ صورة عنها.

8 - الطاهر اتليلي – المرجع السابق. ص68.

تسير عليها تشبه أوراد الطرق الأخرى، [1] وعموما أهم زاوية ومركزا للشابية كان في قمار[2] أما أتباعها في وادي سوف فكان مقتصرا على قمار والدبيلة ممثلا في بعض العائلات التي تحمل اسمها. [3]

- **الطيبية:** تواجدت الطريقة الطيبية[4] في وادي سوف خلال القرن التاسع عشر، وتوجد الزاوية الأم في وزان بالمغرب وتسمى " دار الضمانة "، وفيها دفن شيوخها، ولها زوار كثيرون، وتعاليمها لا تكاد تختلف عن تعاليم الطرق الأخرى، فهي تدعو للتقوى وفعل الخير والقيام بالواجبات الدينية، [5] ولا ينتمي إليها في سوف من الأتباع إلا القليل، [6] وتضمهم زاوية سيدي عبد الله بن أحمد، [7] الذي عاش في القرن الثامن عشر، ودفن بزاويته التي اشتهر الحي الواقعة فيه باسم " زاوية سيدي عبد الله ".

وهكذا كان للطرق الصوفية خلال القرن التاسع عشر مكانة روحية هامة عند الأهالي بوادي سوف، الأمر الذي دفعهم إلى تأسيس زوايا في مختلف قرى ومدن وادي سوف للذكر والتربية، وتعليم القرآن الكريم، وإطعام الفقراء والمحتاجين، وكانت قلوب أتباعها في شوق مستمر للشيوخ المؤسسين لهذه الطرق خارج المنطقة، وذلك يدفعهم إلى شد الرحال، وتنظيم الزيارات وحمل الهدايا إليهم، تأكيدا للمحبة والانتماء الصوفي، وتجسيدا للولاء والطاعة.

ج) القباب والمزارات:

لقد كان موت الأشخاص بوادي سوف خلال القرن التاسع عشر متصلا بعادات وتقاليد ذات جذور شرعية، أضاف إليها الناس على مر الزمن بعض الخرافات والأساطير والطقوس، التي اخترعوها وبالغوا في ممارستها حتى صارت كأنها أصول شرعية واجبة الإتباع.

وكان الدفن يتم في المقابر التي اشتهرت ببساطة شكلها، فلا يظهر من القبر سوى كومة من الحجارة، أو بعض جريد النخل، أو عظم جمل يغرزونه فوقها، [8] وتدعى تلك العلامات " الشواهد " وعددها اثنان بالنسبة للرجل أحدهما توضع في جهة رأسه، والثانية في مكان رجليه، وتضاف ثالثة في وسط القبر إذا كان الميت امرأة، [9] وبعض القبور تغطيها الرمال فتختفي تماما وخاصة عندما يغيب عليها أهل الميت.

---

1 - أبو القاسم سعد – تاريخ الجزائر الثقافي – ج 4. ص276.

2 - الطاهر اتليلي – الفوائد المنثورة – ص42.

3 - Ahmed Nadjah. op – cit. P 125.

4 - تأسست في وزان على يد الشيخ عبد اللّه الشريف المتوفى سنة 1089هـ 1678م-، وتولى الطريقة من بعده أبناؤه وأحفاده ومنهم مولاي الطيب الذي استمر مشرفا عليها إلى عام 1767، وازدهرت في عهده حتى صارت تنسب إليه. أنظر: أبو القاسم سعد – تاريخ الجزائر الثقافي- ج 1. ص515.

5 - نفسه. ج 4. ص ص94 – 95.

6 - Cauvet – Notes – p 106.

7 - إبراهيم العوامر – الصروف – ص308.

8 - Cauvet – Notes – p 108.

9 - André Voisin. op. cit. p 88.

وقد أقيمت على قبور بعض الرجال قبابا تنتشر في مختلف أنحاء سوف، وتعتبر من المزارات الهامة. ومنها:

- **قباب المقابر:** وهي قباب صغيرة أقيمت فوق قبور[1] الأشخاص الذين يتوسم فيهم المجتمع الصلاح ويشهدون لهم بالتقوى والاستقامة وفعل الخير أثناء حياتهم، ويبرز الضريح داخل القبة بشكل واضح مرتفع عن الأرض، مثل قبة سيدي يوسف، [2] بمقبرة القارة، وقبة سيدي قشوط بمقبرة لعشاش وكلها بمدينة الوادي، أما الشيخ محمد القروي الدرويش الذي توفي سنة 1287هـ(1870م) فأقيمت له قبة بمقبرة قمار، [3] وغيرها.

- **قباب المساجد:** تحتوي بعض المساجد على مدافن عديدة، أو ضريح لشيخ كان له دور في بناء المسجد أو أقيم المسجد على قبره إكراما له على صلاحه مثل قبة علي بن خزان في مسجد الدبيلة، [4] وقبة سيدي عبد الله بن احمد بحي الزاوية بالوادي، وقبة محمد بن ناصر النفطي في مسجد سيدي بوعلي بحي أولاد احمد، وضريح الشيخ علي دربال بالمسجد الذي شيده بنفسه في الرباح، بمنطقة عميش، وقبة سيدي عون بمسجده، بالقرية التي حملت اسمه.[5]

- **قباب الزوايا:** اتخذت الزوايا في سوف مدافن لشيوخها وبعض أتباعها، حيث يسجى ضريح مؤسسها بالغطاء الأخضر مثل ضريح سيدي سالم بالزاوية العزوزية بالوادي، وتوجد مدافن الشيوخ وعائلاتهم في الزاوية التجانية بقمار.

- - **قباب الصحراء:** عندما يتوفى أحد الصالحين - - في اعتقاد الناس - يدفن في المكان الذي مات فيه، وبطول الزمن تقام له قبة، ونجد ذلك منتشرا في مدينة الوادي ومنها قبة ضواي روحه، فقد شاهد الناس ضوءا، فبنوا قبة صغيرة في ذلك المكان، [6] ثم أقيم بقربها مسجد ضواي روحه سنة1830. [7] ومنها مدافن العزازلة السبعة الذين قُبروا في الفضاء الخارجي قرب حي ضواي روحه، وانفرد أحدهم ويدعى بلقاسم بلعجال وأقيم ضريحه في الجهة الشرقية، [8] وعرفت هذه المواقع بأسماء المقبورين. [9] كما توجد قبة سيدي الحاج أحمد الغرايسة في جنوب أولاد أحمد، وقبة سيدي مرغني بصحن الماسط

---

1 - Cauvet – Notes – p 109.

2 - وهو من قبيلة طرود، قتل في احدى المعارك، وشاهد الناس نورا فوق قبره، فأقاموا عليه قبة، ثم صارت المقبرة تحمل اسمه. انظر: – الصروف – ص165.

3 - الطاهر اتليلي – من تاريخ وادي سوف– ص69.

4 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق. ص99.

5 - نفسه. ص100.

6 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق. ص ص96 – 97.

7 - Bataillon op – cit. P72.

8 - عُرف الحي الذي دفن به باسم نزلة العزازلة والأخرى نزلة بلقاسم بلعجال.

9 - إبراهيم العوامر – المرجع السابق. ص296.

على بعد كيلومتـــرين جنوب الوادي، [1] وقبة سـيدي مسـطور[2] شـمال حي أولاد أحمد، وضـريح عثمان قشوط قرب مسجد القرافين بالبياضة.

وقد شيدت هذه القباب لاعتقاد البـركة لأصحابها، فيقصدها الناس ويوقدون الشموع في المقابـر[3] أو فوق الأضـرحة داخل القباب، تعظيما للأولياء، وابتغاء الوسـيلة عندهم، والذبح عند قبورهم، وطهي الطعام والأكل منه[4] للاستشفاء وطلب البركة.

أما الزيارات خارج المنطقة فتتم من أتباع الطرق الصوفية لزيارة أضرحة شيوخهم، مثل زيارة إخوان الطريقة التجانـيـة لضريح الحاج علي بتماسيـن، [5] كما كان إخوان الطريقة العزوزية يشدون الرحال لزيارة أضـرحة شـيوخهم في طولقة ونفطة، وكذلك الشـأن عند أتباع الطريقة القادرية ومشـايخها مثل الشـيخ الهاشـمي الشـريف وإخوته الحسيـــن ومحمد لمام الذين كانوا يزورون باسـتمرار ضـريح والدهم بنفطة التونسية.[6]

ويعتبـــر شـيوخ الزاوية من يتخلّف عن زيارة شـيخه مفرّطا، وقد بعث الشـيخ علي بن عثمان شـيخ زاوية طولقة سـنة 1297هـــ(1879م) رسـالة إلى اخوان الطريقة بـــيَّـــنَ لهم فضـل الزيارة وخاصـة في وقت الانشغال بأمور الدنـيـا، وهو زمن جنـي الثمار، لأن مشايخ الطريقة يحثون على ذلك فيقول "... الزيارة التـــي حثوا عليها مشـايخ طريقتنا خصـوصـا الشـيخ التارزي بقوله لا تبطلوا زيارة شـيخكم في كل عام مرتـيـن، وقت الثمار والنوار ولو تضيعوا أموالكم على زيارة شيخكم في هذا الوقتـيـن(كذا) ... ومن كثـر منها يبرا من امراض القلبيا، (كذا) وقد زعموا أقواما أن الفائدة تحصل من كثرة الذكر من حصولها في الزيارة، وذلك هو طمس البصيرة وعدم الذوق..".[7]

وخلاصة القول، فإن الحياة الثقافية والدينـيـــة في المجتمع السوفي خلال القرن التاسع عشر كانت متميـــــزة بمظاهر ثقافية أصـيلة، مثّل التعليم القرآني أحد ركائزها، لمســاهمته في محو الأمية، وربط المجتمع بمقوماته الدينـيـة، عند الكبار والصغار على حد سواء، ووجد ذلك التعليم سندا ثانـيـا بما كان يقدمه علماء المنطقة وأئمتها من دروس تجذر في نفوس السكان المبادئ الدينية وأصول العقائد والآداب والأحكام الشـــرعية، فضـــلا عن الهجرات المتعاقبة لطلبة العلم نحو الحواضـــر العلمية في بلاد الجريد وجامع الزيتونة بتونس للاستـزادة من العلم واستكمال التكوين في شـتـى فروعه، بـيـنما كان التعليم في

---

1 - نفسه. ص91.

2 - قدم إلى سوف نحو عام 1568م. انظر: Bataillon op – cit. P29.

3 - Isabelle Eberhardt – Mes journaliers – p 88.

4 - André Voisin. op. cit. p 87.

5 - Gouvion op – cit p 58.

6 - Isabelle Eberhardt op – cit p167.

7 - رسائل الشيخ علي بن عثمان مخ- بالزاوية العثمانية بطولقة .

المدارس الفرنسية محدودا، نظرا لحداثته بالمنطقة، وإعراض المجتمع عنه، لأنه كان مرتبطا بالاستراتيجية الفرنسية في احتواء السكان وتلقينهم ثقافة غريبة تؤثر على أخلاق ومبادئ المجتمع.

برزت إلى جانب ذلك ثقافة شعبية نابعة من عمق المجتمع وعبرت عن معاناته، وساهمت في نقد سلوكاته، وتمثلت في الشعر الملحون والقصة الشعبية، والحكم والأمثال. كما انتشر في المجتمع فن النسخ للمخطوطات من طرف المثقفين، وقد ساهم ذلك الفن بفعالية في حفظ ونشر التراث الفكري لأكبر علماء الإسلام، ووفر الكتاب للمتعلمين، وللمكتبات الأهلية التي تواجدت بشكل محدود في المساجد والزوايا وبيوت أهل العلم، إضافة إلى المكتبات التي شرع المستعمر في إنشائها في المؤسسات الإدارية والعسكرية لخدمة ثقافته وتدعيم سياسته في المنطقة.

أما الحياة الدينية في المجتمع فقد ارتكزت على الاعتقاد الكبير في الأولياء والصالحين، من الأحياء والأموات، بالانتماء لهم، وابتغاء البركة عندهم، والتوسل بهم في السراء والضراء، كما سيطر على المجتمع الفكر الديني الشعبي، القائم على الاعتقاد الكبير في الأمور الغيبية، واعتبار الرؤى والأحلام، والخرافات والأساطير الرائجة من الأساسيات الدينية التي تجلب النفع للمجتمع، والذي كان يعبر على تمسكه الديني في المواسم والأعياد بإقامة الاحتفالات التي ارتبطت بالأحداث الهامة في التاريخ الإسلامي، إضافة إلى مساهمة المساجد في تلك المهرجانات والاحتفالات فضلا عن دورها في تجسيد مظاهر العبادة وتنشيط الحركة التعليمية، وجمع المصلين على البر والتقوى.

أما الطرق الصوفية فكانت تمثل يومئذ الاتجاهات السياسية التي يدين لها بالولاء كل السكان، واتخذت من الزوايا مراكز للنشاط الديني ممثلا في الذكر والتعليم والإطعام، وتجنيد الأتباع وقيادتهم من طرف الشيوخ ونوابهم (المقاديم) .

كما ارتبطت الحياة الدينية بالقباب المقامة فوق أضرحة رجال الزوايا والمرابطين، والتي لقيت الاهتمام الكبير، وأضفي عليها نوع من القداسة بزيارتها والذبح عندها، والتوسل بأصحابها، وكانت منتشرة بشكل كبير في المقابر والمساجد والزوايا والشوارع والفضاءات المكشوفة. وعموما فإن الحياة الدينية الأصيلة في المجتمع رغم ما أنتابها من بعض المظاهر الساذجة الموغلة في الخرافة والأسطورة، لكنها حافظت على مقومات السكان وحصّنت المجتمع من التفسخ والانحلال.

الخاتمة

إن دراسة مجتمع وادي سوف خلال القرن التاسع عشر، أظهرت الحركية المستمرة، والتفاعلات المتعددة النشاط، والتي تركت انعكاسات بارزة في حياة السكان، وساهمت في تطور المجتمع في مختلف شؤونه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية.

- كانت المنطقة خلال القرن التاسع عشر تعيش حالة من الهدوء والاستقرار النسبي الداخلي، ونتج عن ذلك عدة مظاهر سياسية منها:

ـ سعي وادي سوف المستمر نحو الاستقلال السياسي عن بايلك الشرق بقسنطينة، وسلطة بني جلاب بتقرت، وعدم وجود سلطة تركية أو جلابية مستقرة بها، الأمر الذي دفع الأطراف السابقة إلى تجريد حملات عسكرية نحو وادي سوف لاستخلاص الضرائب عنوة، عند رفض السكان دفع الضرائب المترتبة عليهم. وينتج عن ذلك حروب طاحنة تخلّف خسائر بشرية وتبعات مادية، ولكن بمجرد انسحاب المحلات التركية الجلابية الغازية ترجع وادي سوف إلى حالتها المستقلة.

- معايشة المنطقة وجدانيا وعمليا للأحداث الوطنية، السياسية الخطيرة كالاحتلال الفرنسي، الذي وقع خبره كالصاعقة في نفوس السكان، فهرعوا لنجدة إخوانهم في الشمال، وآزروا المقاومات الشعبية وخاصة الأمير عبد القادر منذ وقت مبكر استجابة لنداء الجهاد، ووجد عندهم أحمد باي قسنطينة الأمن والرعاية عند التجائه إليهم.

- احتضان وادي سوف منذ وقت مبكر لرجال المقاومة الشعبية في الجزائر مثل الثائر محمد بن عبد الله، وبن ناصر بن شهرة، وبوشوشة، وبومزراق المقراني، ومحي الدين بن الأمير عبد القادر وغيرهم، الذين وجدوا الملجأ الآمن والإقامة الهادئة والدعم المادي والمعنوي.

- مثّلت وادي سوف خلال القرن التاسع عشر منطقة عبور القوافل القادمة من أسواق السلاح في ليبيا وتونس، مما سهّل الأمر لأفرادها بتمرير السلاح إلى جبهات المقاومين في الجنوب الشرقي عموما.

- - استياء السلطات الفرنسية، وانزعاجها المستمر من الدور الاستراتيجي الفعّال لوادي سوف الذي أخّر عملية التوغل الاستعماري نحو الجنوب الشرقي المتاخم للحدود التونسية عبر بلاد الجريد، والليبية بمحاذاة غدامس.

- - إقدام الفرنسيين على حشد قواتهم، ووضع ثقلهم العسكري في منطقة الجنوب، واحتلالهم الزيبان سنة 1844، وتقرت ووادي سوف سنة 1854، إلا أن استقرارهم النهائي بوادي سوف تأخّر لمدة

ثلاثين سنة، بسبب المقاومة الشعبية المسلحة، وتشتت القوات الفرنسية في نواحي البلاد المختلفة، إلا أن تصميم فرنسا على تطبيق إستراتيجيتها باحتلال تونس جعلها تكثف قواتها بوادي سوف، لأنها تمثل الدرع الواقي للفرنسيين، الذي يقف في وجه المقاومات الشعبية التونسية في بلاد الجريد، ويقطع عليهم طريق اللجوء إلى وادي سوف.

- سهّل احتلال الفرنسيين لتونس سنة 1881 التحرك في منطقة وادي سوف وشرعوا في الاستقرار النهائي والذي استمر إلى سنة 1887.

- اعتماد الإدارة الاستعمارية بوادي سوف على أعوانها من الأهالي الممثلين في القياد وشيوخ القبائل لتنظيم شؤون السكان، وتسهيل التعامل معهم، ورصد تحركاتهم ومنعهم من مقاومة الاستعمار الفرنسي.

- معالجة الأحوال الشخصية للسكان وفق أحكام الشريعة الإسلامية من طرف المحاكم الشرعية التي يسيرها القضاة التابعين للسلطات الفرنسية، بينما تعالج قضايا الجنايات، والمشاكل السياسية في المحاكم الفرنسية خارج وادي سوف.

- والملفت للانتباه أن الأحداث السياسية الخطيرة التي تعاقبت على المجتمع خلال القرن التاسع عشر لم تؤثر سلبيا على الحياة الاقتصادية التي تميّزت بنشاطاتها المختلفة، ونتائجها الهامة ومنها:

ـ ازدهار الحياة الاقتصادية وتطورها المستمر، ومساهمة مختلف القطاعات الاقتصادية في تنمية المجتمع، باستغلال الطاقات البشرية، والثروات المتوفرة بالمنطقة.

ـ احتلال الزراعة المرتبة الأولى، وخاصة تهيئة الغيطان وصيانتها التي كانت تتطلب جهودا متكاثفة وعملا متواصلا لمقاومة قساوة الطبيعة وتقلباتها على مدار السنة، وذلك جعل السوفي لا يعرف العطلة بتاتا، فصار مثالا للصبر وتحمل المشاق والتفاني في العمل، لأن زراعة النخيل مثلت لديه مصدر رزقه الأساسي.

- استفادة المجتمع المستمرة من الإنتاج الزراعي بتوفير الموارد المالية من مبيعات التمور، والتبغ، وتمكين السكان من الحصول على الخضر والفواكه الطازجة لغذائهم الأساسي من الزراعة المعاشية التي تتم في مختلف غيطان المنطقة.

ـ تدعيم الزراعة للقطاع الصناعي بالمواد الأولية الضرورية، وخاصة أجزاء النخلة، التي جعلت المصنوعات متنوعة، وحققت الاكتفاء الذاتي من الأدوات ذات الاستعمالات اليومية.

- ازدهار صناعة النسيج وتنوع الألبسة الصوفية والوبرية، والحريرية والجلدية الخاصة بالاقتناء الشخصي أو الموجهة إلى الأسواق الخارجية.

- خضوع التطور الصناعي بوادي سوف لعدة عوامل منها تلبية احتياجات المنطقة من المواد الضرورية مثل انجاز (الكوشة) الذي طوّر صناعة الجبس والذي ساهم في ازدهار الحركة العمرانية اثر الاستقرار الفرنسي بالمنطقة، إضافة إلى الاحتكاك والتفاعل الخارجي للبدو الرحل، والتجار، الذين ساهموا في تطوير صناعة الزرابي والحياك، بالاستفادة من تجارب النمامشة والتونسيين والأتراك، ونقل تلك التجارب إلى صناع وادي سوف.

- ازدهار التجارة الخارجية وارتباطها بالمناطق البعيدة بواسطة القوافل بصفة دائمة لجلب المواد الضرورية كالحبوب والألبسة والمواد الكمالية، وتصدير فائض المنتوجات الصوفية، وكان ارتباطها دوليا بتونس وليبيا وبلاد السودان، والتي مثلت تجارة العبيد عاملا مهما، جعل التجارة تفشل مع غدامس بعد التحريم الدولي للعبيد. ولم تُجدِ المحاولات الفرنسية لإنعاش التجارة مع ليبيا.وكان للفرنسيين هدفا سياسيا استعماريا دوليا.

- ارتكاز الاقتصاد السوفي عموما على الإمكانيات المحلية لتوفير الاكتفاء الذاتي من الإنتاج الزراعي والصناعي، مع اعتماده على التصدير والاستيراد الذي جسد الانتعاش الاقتصادي في المجتمع.

- لقد تميز المجتمع السوفي في القرن التاسع عشر بخصائص اجتماعية، برزت آثارها في النتائج التالية:

.اتصاف المجتمع السوفي بأسس متينة، وبنية اجتماعية متماسكة، رغم تعدد قبائله وتشعبها، ولكن ذلك لم يمنع ظهور بعض العصبيات القبلية التي ينجم عنها معارك طاحنة بين السكان، وقد استفاد الاستعمار الفرنسي من التقسيمات القبلية في تنظيم المجتمع، وعمل على بسط هيمنته على السكان مستعينا بالقياد والخلفاء والشيوخ.

- حدوث تطور هام وخصوصا في أواخر القرن التاسع عشر، في المستوى المعيشي وتحسن في الرعاية الصحية، وتوسع في الحركة العمرانية، بإنشاء قرى جديدة من طرف الفلاحين الذين كانوا يمثلون غالبية السكان، وبمؤازرة الأثرياء من التجار وكبار الملاكين.

- تعدد الفئات الاجتماعية التي يتكون منها المجتمع وأهمها فئة الفلاحين والأثرياء والإداريين والمرابطين وسعى أغلبها إلى توجيه المجتمع وتسييره.

- اتصف المجتمع السوفي خلال القرن التاسع عشر ببساطته في المستوى المعيشي وأنماط الحياة فكان غذاؤه الأساسي يعتمد على التمر والحبوب والحليب في أوقات محددة في الليل والنهار، كما كان اللباس متواضعا وخفيفا، يتلاءم مع حرارة المنطقة وطبيعتها الصحراوية.

- متانة العلاقات الاجتماعية، والتي مثلت العائلات الكبيرة محورها الرئيسي، بخضوعها للسلطة الأبوية، بينما كان دور المرأة محصورا في رعاية شؤون الأسرة وترتيب البيت وصيانته، وغزل الصوف على مدار السنة، لأن المنسوجات توفر دخلا إضافيا للعائلة.

- خضوع العلاقات الاجتماعية خارج نطاق الأسرة إلى الأعراف والقوانين الاجتماعية والعادات والتقاليد التي يحترمها الجميع، وتجسد معاني التضامن والتعاون، عن طريق العمل الجماعي التطوعي، والصدقات والهدايا، وصلة الأرحام، وتمتن وشائج المحبة والصداقة.

- إقبال أفراد المجتمع في آخر النهار على المنتديات، التي تقام في الفضاءات الخارجية قرب البيوت وفي ضواحي القرى، وهي تجمعات للسمر والمؤانسة والمرح واللعب، والتي تكشف عن رغبة في الإخلاد للراحة بعد يوم شاق من العمل المتواصل، والذي يختم في الليل بالحكايات والأحاجي التي يجد فيها الكبار قبل الصغار نوعا من التنفيس، وكانت جلها ذات علاقة بالاعتقادات الخرافية التي تجنح إلى الأساطير، وتسرف في الوقوع تحت هيمنة القوى الغيبية مثل الغول والجان والشعوذة، وكلها نابعة من ثقافة المجتمع وأفكاره السائدة.

- أما الحياة الثقافية والدينية خلال القرن التاسع عشر فيمكن حصر أهم نتائجها في ما يلي:

- انتشار التعليم القرآني في كامل أرجاء المنطقة، باعتباره العمود الفقري للحياة الثقافية السوفية، وقد حضي بالقداسة، وصار عاملا للشرف مكّن جلّ المجتمع من حفظ القرآن أو جزء منه، وسهّل عليهم تلقي مبادئ العلوم الدينية واللغوية.

- إسراع السلطات الفرنسية إلى إنشاء المدارس الأهلية خلال العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر في الوادي وكوينين، إلا أن إقبال السكان عليها كان محدودا لأنهم يعتقدون أنها تلقن مبادئ خطيرة على المجتمع وعقيدته.

ـ تنوعت الثقافة عموما وارتكزت على دعامتين بارزتين هما، ثقافة دينية علمية وأخرى شعبية نابعة من عمق العادات والتقاليد، وقد أشرف على الأولى العلماء وحفظة القرآن الكريم الذين عملوا على بث العلم في المجتمع وساهموا في نشر الكتب عن طريق النسخ، وكوّنوا مكتبات في البيوت والمؤسسات الدينية كالمساجد والزوايا، وخاصة المصحف الشريف، فضلا عن الكتب الدينية والأدبية

واللغوية، وكانت محتوياتها تعبـر عن الفكر السائد آنذاك، والذي سيطر عليه الفكر الصوفي، وبـرزت مظاهره عند إحياء المناسبات الدينـيـة، والتـي تبـرز مدى التمسك بالأصالة الإسلامية. أما الثقافة الشعبيـة فقد عبـرت بصدق عن معاناة المجتمع وتفاعلاته اليومية، وتمثّلت في الشعر الملحون والقصة والحكاية، والمثل الشعبي، والحكمة البليغة، وغيرها من الأغراض الأدبية الشعبية .

- تعددت التـيـارات الفكرية والسياسية في المجتمع، وانضوت تحت لواء الطرق الصوفية التـي سعت إلى تجنـيـد الأتباع وقيادتهم وتوجيههم من طرف الشيوخ وخلفائهم وأعوانهم، فتوزع ولاء السكان على الطرق الصوفية الثلاث القادرية، والتجانـيـة، والعزوزية، وحدث نوع من التنافس في استقطاب الأتباع، والتباهي بالطريقة والافتخار بشـيوخها ومنزلتها في صـفوف الأشـراف والصـالحين، وعبـروا عن محبتهم للشيوخ بزيارة أضرحة الأموات، للتبـرك، وشد الرحال خارج المنطقة وحمل الهدايا للشيوخ كعربون ولاء واستقامة على سبيل صاحب الطريقة.

- تعددت المراكز العلمية الدينـيـة في المجتمع من مدارس وزوايا ومسـاجد، وسـاهمت جميعا في المحافظة على مقومات السكان، وحصنتهم ضد الانحراف، وجنبتهم التفسخ والانحلال. فجعلت المجتمع يحافظ على أصالته العربية الإسلامية في مواجهة الغزو الاستعماري.

والجديـر بالذكر في آخر هذا البحث الذي حاولت التعمق في مختلف جوانبه، ووصـلت إلى بعض النتائج الهامة، لكن بعض العناصـر لم تحض بالدراسـة الكافية بسـبب قلة الوثائق والمصـادر وتضخم البحث واتسـاعه مما يجعلها في حاجة ماسـة إلى بحوث مسـتقلة، ومنها العلاقات السـياسـية لبايلك الشرق مع وادي سوف، والنشاطات السياسية لسلطة بني جلاب في المنطقة، والحروب الداخلية بـيـن السـكان، ومع المناطق المجاورة لهم في بلاد الجريد التونسـية، والوجود الاسـتعماري الفرنسـي بوادي سوف ودوره الإيجابي في تقدم الإقليم، وتطويـر آلياته الاقتصادية، ومظاهره السلبـيـة التـي أثرت على الحياة الاجتماعية والثقافية، والعلاقات السياسية والثقافية بـيـن وادي سوف وبلاد الجريد وغدامس الليبية وغيرها من القضايا التي تحتاج إلى مزيد من البحث والشرح والدراسة المتأنية.

وعموما فإن البحث رغم صـعوبته، واتسـاع مجاله، وتشـابك عناصـره، اسـتطاع تقديم صـورة عامة عن مجتمع صحراوي محلي وذلك يسـاهم في كتابة التاريخ العام للمجتمع الجزائري العربـي الإسـلامي خلال القرن التاسع عشر.

المـــــلاحق

جداول – وثائق – صور

1. النقود الرائجة في وادي سوف خلال القرن التاسع عشر والمكاييل المستعملة.
2. قائمة المساجد بوادي سوف خلال القرن التاسع عشر.
3. نموذج " مرسوم صدقة " مصوّر من سجل المحكمة الشرعية بالوادي 1895.
4. تقرير صادر عن المكتب العربي بالوادي خاص بالوقائع التي حدثت في شهر أوت 1883.
5. استدعاء موجه من حاكم مقاطعة قسنطينة إلى قايد لعشاش محمد بن موسى بالوادي 1885 وتسريح سفر ممنوح للسيد أبي الضياف بن أحمد من عرش اولاد سعود بتاريخ 1883.
6. صور لشخصيات تاريخية ومنزل بحي المصاعبة.

- صورة الرحالة الفرنسي " هنري دوفيريه " الذي زار سوف سنة 1860.
- صورة شيخ القادرية بوادي سوف الشيخ الهاشمي بن إبراهيم الشريف.
- صورة منزل من الداخل شّيد بحي المصاعبة خلال القرن التاسع عشر.

7. صور منشآت تاريخية بسوف.

- صورة رحبة القمح بسوق مدينة الوادي والتي شيدها الفرنسيون عام 1886.
- صورة أقدم صومعة بسوف بمسجد سيدي سالم 1896.
- صورة الزاوية التجانية بقمار.

الملحق الأول:

النقود الرائجة في وادي سوف خلال القرن التاسع عشر

	اسم العملة	قيمتها	المراجع والملاحظات
النقود الأميرية	المحمدية النصفية	0,05 فرنكا 0,02 فرنكا	الجيلالي عبد الرحمان – حول سكة الأمير عبد القادر ص 26.
النقود الجزائرية	الريال بوجو ربع بوجو	1,805 فرنك(1829) 2 فرنك 0,75 فرنك	سعيدوني– النظام المالي ص 208. أحمد خراز. سعيدوني – النظام المالي ص 108
النقود التونسية	الريال التونسي الفلس الناصري الخروبة	16 خروبة 12 صوردي ونصف أو نصف ريال رواج سوف نصف ناصري فلسين 6 ناصري	سعيدوني – النظام المالي ص 203. أحمد خراز. أحمد خراز. سعيدوني – النظام المالي ص 203. سعيدوني – النظام المالي ص 203. أحمد خراز.
النقود الفرنسية	الصوردي الفرنك الدورو الريال رواج سوف	5 سنتيمات 20 صوردي 5 فرنكات فرنك وخمسة صوردي	أحمد خراز – علي السعيدي – الطاهر باقي هو قيمة للفرنك الفرنسي فقط

المكاييل المستعملة

المكيال	مقداره	المراجع والملاحظات
الخموسي	القلبة مقسومة على 20 جزء	تختلف القيمة بالكيلوغرامات حسب المادة، فالقمح يختلف عن التمر. **المرجع:** أحمد خراز . علي السعيدي. البشير امباركي.
العشوري	القلبة مقسومة على 10 – 2 خموسي	
الربعي	**4 خموسيمن 4,5 إلى 5 كلغ**	
النصافي	2 ربعي	
القلبة	4 ربعي – 16 خموسي	
الصاع	ربعي	

الملحق الثاني: قائمة المساجد بوادي سوف خلال القرن التاسع عشر

الرقم	اسم المسجد	تاريخ تأسيسه	مكانه
1	مسجد فشير	1805	مدينة قمار
2	مسجد سيدي عبد القادر	1810	حي المصاعبة – الوادي
3	مسجد سيدي سالم	1830	حي لعشاش – الوادي
4	مسجد ضواي روحه	1830	نزلة ضواي روحه – الوادي
5	مسجد الظهارة	1836	حي الظهارة – كوينين
6	مسجد بلقاسم بلعجال	1841	نزلة بلقاسم بلعجال – الوادي
7	مسجد ورماس	1850	قرية ورماس
8	مسجد النخلة الغربية	1860	قرية النخلة
9	مسجد علي دربال	1870	قرية الرباح
10	المسجد الحسيني	1870	حي لعشاش – الوادي
11	مسجد العزازلة	1872	حي لعشاش – الوادي
12	مسجد العمامرة	1878	مدينة قمار
13	مسجد الدويرة	1885	قرية ورماس
14	مسجد سيدي بوعلي	1890	حي اولاد أحمد – الوادي
15	مسجد سي سعيد	1890	مدينة قمار
16	مسجد الزرايطة	1891	مدينة قمار [1]

1 - **المراجع:** Bataillon – le Souf. Andre Voisin – le Souf

تقاييد أحمد خراز – تقاييد سالمي مصطفى. الطاهر اتليلي – الفوائد المنثورة. محمد العزوزي – التعريف بزاوية سيدي سالم.

الملحق الثالث:

نموذج " مرسوم صدقة " مصور من سجل المحكمة الشرعية بالوادي 1895

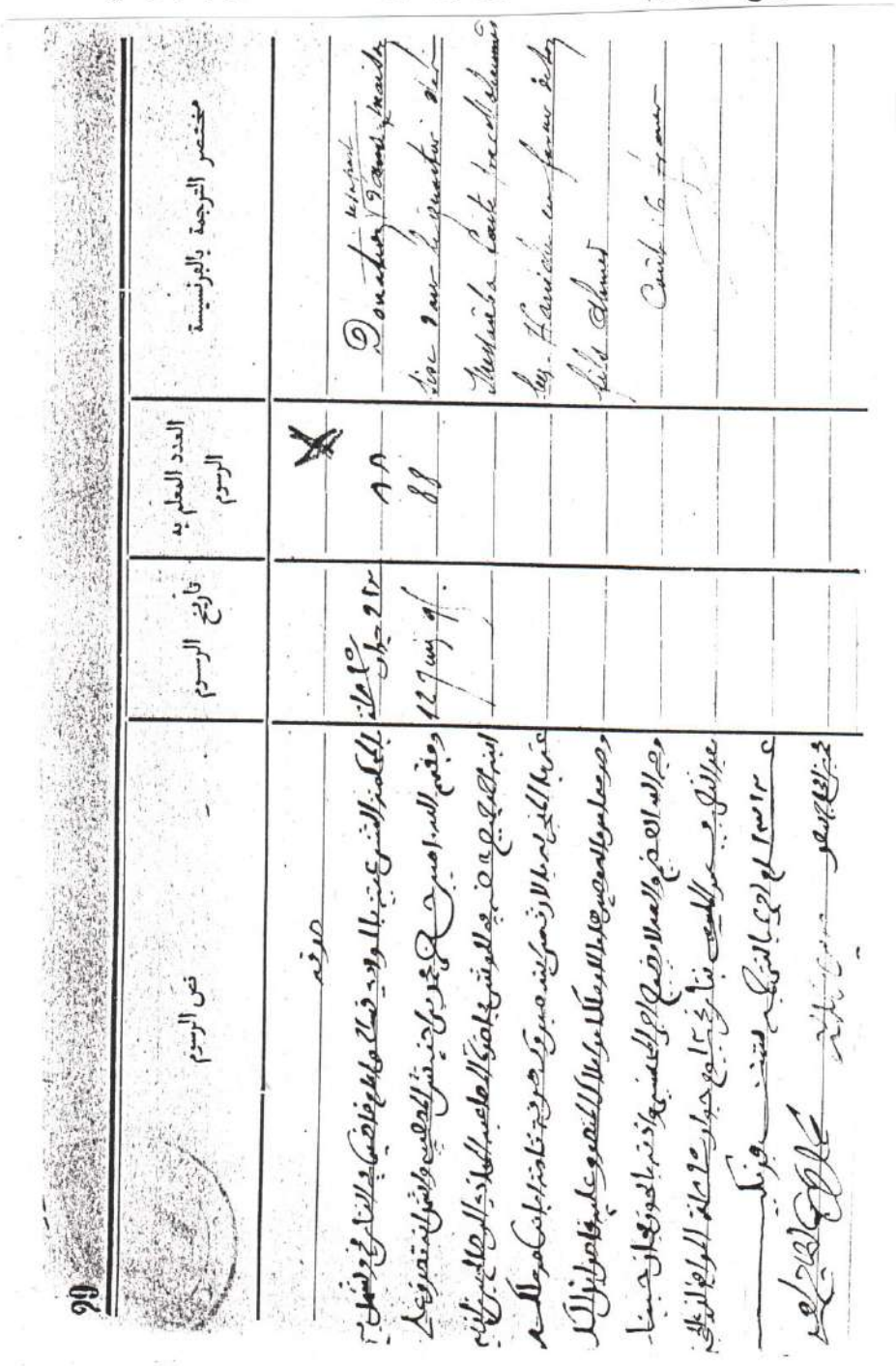

الملحق الرابع:

تقرير صادر عن المكتب العربي بالوادي خاص بالوقائع التي حدثت في شهر اوت 1883

Division de Constantine

Subdivision de Batna

Cercle de Biskra

Poste d'El Oued.

Rapport

concernant les faits accomplis pendant le mois d'Août

Situation politique

La situation politique continue à être ses plus satisfaisante. Les meilleurs rapports existent entre les partis des Troupes et leurs chefs. Aux Ouled Sahid aussi, les esprits sont calmes. Chacun ne paraît s'occuper en ce moment que de la récolte qui vient de commencer.

Nouvelles en Circulation

Le bruit a couru qu'un Spich fort de 25 à 30 cavaliers aurait attaqué vers le 9 Août la petite oasis d'El Jerein entre Douaj et Hebilli et aurait enlevé seulement quelques chameaux.

Un Spich, fort d'une quinzaine de Bédara montés par des Touaregs Hoggar a razzié 40 chameaux appartenant à nos gens au lieu dit Gouâ Roumat entre Bir el Bedeau et Bir Djoubeiz. Les chameaux ont été abandonnés peu après par le razzia et repris par leurs propriétaires. Un Hoggar, blessé pendant la razzia, est mort de ses blessures.

Administration en général

Aucune réclamation n'a été portée contre les chefs indigènes pendant le mois écoulé.

196

Faits saillants

Nouvelles agricoles et Commerciales

Néant

Les pâturages sont toujours rares et de mauvaise qualité. Il n'est tombé qu'une petite quantité de pluie et dans quelques endroits seulement du Sahara.

La récolte des dattes commence. Celles dites Rers sont mûres et se vendent sur les marchés à un prix encore assez élevé. La récolte, sera bonne comme quantité et qualité.

Quelques convois de grains de la nouvelle récolte ont été vendus sur les marchés du Souf. Le blé se maintient toujours à 37 f, le sac. L'orge est descendue à 16 francs

Etat sanitaire

L'état sanitaire est excellent.

Delhi le 12 Septembre 1883

Le Sous Lieutenant adjoint au Bureau arabe

Signé: Blacheu

Pour copie conforme

Biskra Le 21 Septembre 1883

Le Chef de Bon Commandant supérieur.

V - Laffrey

Vu

Le Général Cdt la Subdivn.

Cajard

الملحق الخامس:

استدعاء موجه من حاكم مقاطعة قسنطينة إلى قايد لعشاش محمد بن موسى بالوادي 1885.

- Invitation –

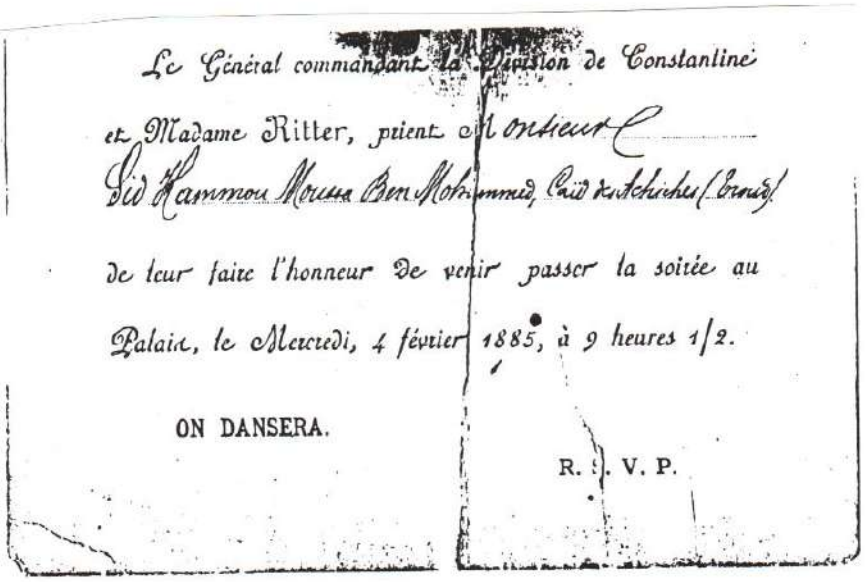

Le Général commandant la Division de Constantine
et Madame Ritter, prient Monsieur
Sid Hammou Moussa Ben Mohammed, Caïd des Achiches (Cercle)
de leur faire l'honneur de venir passer la soirée au
Palais, le Mercredi, 4 février 1885, à 9 heures 1/2.

ON DANSERA.

R. S. V. P.

–تسريح سفـــر–

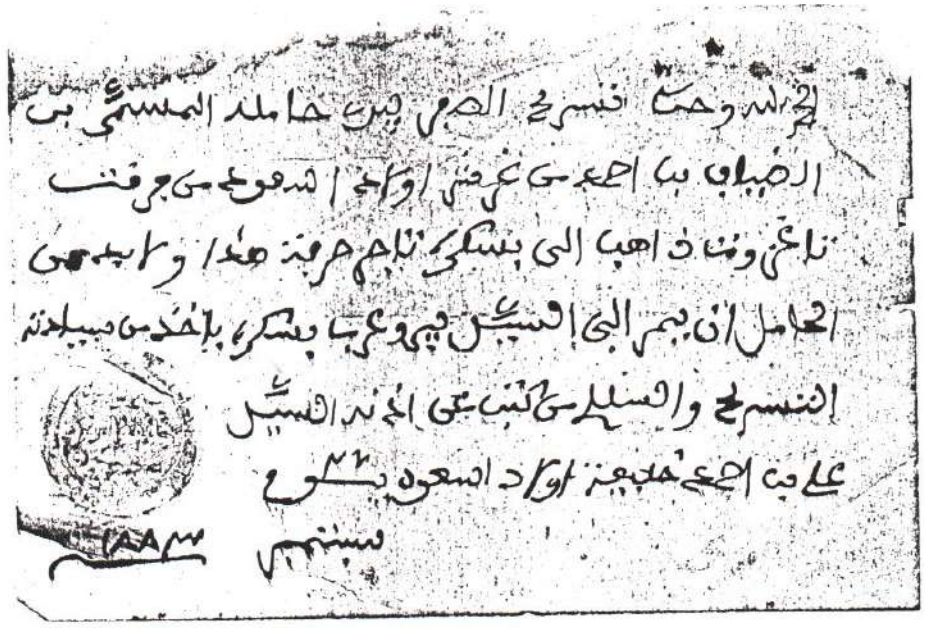

الملحق السادس:

الرحالة الفرنسي الذي زار سوف 1860

هنري دوفيرييه

المرجع: " أندري فوازان"

شيخ القادرية بوادي سوف

" الهاشمي الشريف "

المرجع: كتاب أعيان المغاربة

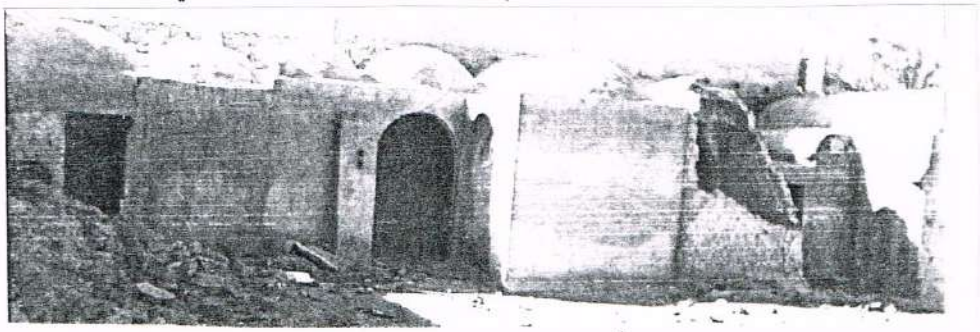

منزل من الداخل شُيّد بحي المصاعبة خلال القرن التاسع عشر

صورة التقطتها من المنزل المذكور يوم 2001/03/02

الملحق السابع:

رحبة القمح بسوق مدينة الوادي

شيدها الفرنسيون عام 1886

من تصور الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر

أقدم صومعة بسوف

بمسجد سيدي سالم 1896

التقطت سنة 1998

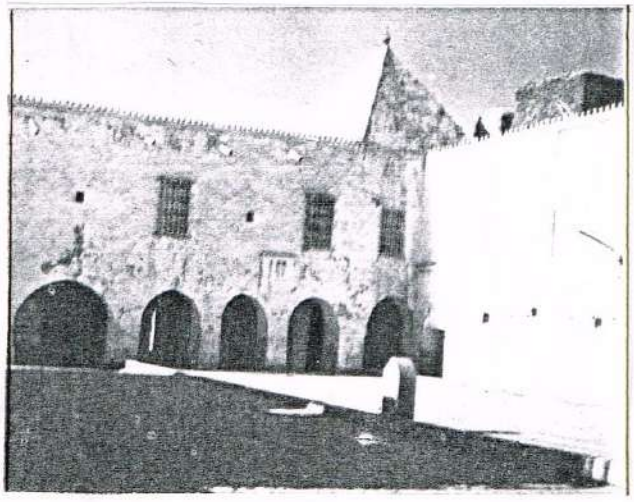

الزاوية التجانية بقمار

التقطتها في أوت 2000

نبذة عن الوثائق المصادروالمراجع

1- الوثائق

2. المصادر

3. المراجع

نبذة عن المصادروالمراجع

لقد تنوعت الوثائق والمصادر، وتعددت المراجع والدراسات، والبحوث والمخطوطات التي اعتمدت عليها عند دراسة المجتمع السوفي خلال القرن التاسع عشر، وكانت موزعة بين اللغتين العربية والفرنسية، وقد قسمتها إلى مجموعات متوازية يمكن إعطاء تعريف لأهم عناصرها.

1. الوثائق:

أ) وثائق باللغة العربية: وتتوزع على ثلاث مجموعات أهمها:

ـــ وثائق المحاكم الشرعية: وتوجد عند الأفراد في مكتباتهم الشخصية، بالمنازل في وادي سوف أوخارجها، أو في مؤسسات المجتمع العامة والرسمية الحكومية، وهي متنوعة منها وثائق قسمة التركات والمواريث، وعقود تسجيل البيع والشراء الخاصة بالنخيل والأراضي والعقارات، ووثائق تسجيل الصدقات والهبات والوصايا والرهن، وعقود الزواج والطلاق. ويوجد أغلبها في مكتبات الأشخاص ومنها مكتبة يحيى بوضياف بتاغزوت، وابن موسى الحاج محمد بحي الأعشاش بالوادي، وأحمد خراز بالوادي، وحسن شيحاني بالوادي، وصالح فالح بالرقيبة، وأخرى في مكتب التوثيق التابع للسيد رزاق بعرة عبد المالك بالوادي والذي يحتوي على سجلات المحكمة الشرعية، وقد استخرجت بعض الوثائق منها بمساعدة السيد العربي مصباحي، إضافة إلى وثائق الديوان السياحي بقمار الذي يحتوي على متحف هام يضم الوثائق والمقتنيات الأثرية.

- **الرسائل المتبادلة:** والتي تمت بين الأفراد والجماعات، ومنها الرسائل التجارية التي تحدد الأسعار والمواد الرائجة وخصوصا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وأغلبها بين السيد أحمد أبي الضياف التاغزوتي ومجموعة من التجار في سوف وخارجها، وتوجد في مكتبة يحي بوضياف بتاغزوت. وكذلك رسائل موجهة من شيوخ الطرق الصوفية أو أتباعهم وتوجد متفرقة في مكتبة الزاوية العثمانية بطولقة، ومكتبة يحي بوضياف بتاغزوت، ومكتبة عبد الباقي مفتاح بقمار، ورسالة قايد لعشاش والمصاعبة إلى الحاكم الفرنسي بالوادي وتوجد بمديرية المجاهدين بالوادي.

- **الوثائق العامة:** وتخص مجالات عديدة منها بيان يحدد بعض الغارات التي حدثت ما بين 1800 – 1877 بين قبيلة طرود السوفية وسكان الجريد التونسي وتوجد في مديرية المجاهدين بالوادي، ونص تحرير بتاريخ 1791 من صالح باي قسنطينة إلى الشيخ عون بن مهلهل ولديّ صورة عنه، وقائمة حكام

وادي سوف مابـــيـــن 1881 – 1900 وتوجد عند السيد أحمد خراز بالوادي، ووثائق أخرى ذات طابع اقتصادي وسياسي وثقافي مثل تسريحات السفر والحوالات البـريدية ووصول إثبات دفع المال المقدم أو المؤجل ووصايا دينية وتوجد في مكتبة يحي بوضياف التاغزوتي.

ب) الوثائق باللغة الفرنسية: وأغلبها تقارير وتسريحات سفر وشهادات شرفية، ومنها:

- التقاريـــر الخاصة بالمكتب العربـي بالوادي وعددها أربعة بتاريخ 1883 من توقيع الضابط بلاشيـــر وهي رصد للحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينـيـــة بالمنطقة من شهر أوت إلى ديسمبـــر، وتوجد في أرشيف متحف شركة الورود بتاغزوت.

- تقاريـــر ملحقة الوادي الخاصة بحياة السكان الاجتماعية والثقافية والعمرانـيـــة، وتطور صناعة الزربية، إضافة إلى حوليات حول الحوادث السنوية، وتوجد بمديرية المجاهدين بالوادي.

- تســريحات ورخص الســفر الصــادرة عن المكتب العربـــي في تقرت 1873 والوادي 1885 وتوجد بمتحف الديوان السياحي بقمار.

- وثائق خاصــة بقايد لعشــاش محمد بن موسـى ومنها شــهادة شــرفية مقدمة من الجمعية الفلاحية بباتنة سنة 1895 كوسام استحقاق عن صناعة الزربـيـــة بسوف، واستدعاء موجه له بتاريخ 1885 من حاكم مقاطعة قســنطينة يدعوه لحضــور أحد الاحتفالات الفرنســية، وهذه الوثائق توجد بحوزة أحد أحفاده وهو بن موسى الحاج محمد بحي لعشاش بالوادي.

2. المصادر:

أ) المصادر باللغة العربية: وأغلبها مخطوطا ومنها:.

- **كتاب الصروف في تاريخ سوف** لمؤلفه الشيخ إبـــراهيم العوامر، (نسخة أحمد مفتاح القماري)، ويوجد في مكتبة ابنه عبد الباقي بقمار، وهو أشمل من كتاب الصروف المطبوع، إذ يزيد عليه بالمعلومات الهامة عن المعارك الأهلية التي حدثت بالمنطقة خلال القرن التاسع عشر. والجديـر بالذكر أن العوامر يعتبـــر من العلماء والمؤرخين المخضرمين الذي عاش عقدين من شبابه في أواخر القرن التاسع عشر، فكتب عن الأحداث والوقائع التـــي عايشـها عن قرب، وسجل الأحداث السـابقة لولادته عن الشـيوخ الكبار الذين عاصرهم، كما كان يقرض الشعر الشعبي، وله ديوان في الشعر الصوفي به إشارات هامة، ويوجد بمكتبة زاوية سيدي المولدي بتوزر، ولديّ صورة عن الديوان.

- **قصـائد ودواوين الشـعر الشـعبـــي** لشـعراء عاشـوا في القرن التاسـع عشـر وتوجد آثارهم ضـمن التقاييد والبحوث المتناثرة في مكتبات شيوخ المنطقة السابق ذكرها..

- مخطوط محمد بن أحمد البابوري حول بايات قسـنطينة وهو مجهول العنوان وبه أخطاء لغوية وعبارات عامية ونقص في الصفحات، ويوجد في مكتبة مصباح سالمي بالوادي.

- **المخطوطات الدينـيـة** مثل المصحف الشريف والكتب الفقهية والفلكية واللغوية التـي تؤرخ لفن النسخ وتحدد الفكر السـائد آنذاك وهي متناثرة في مختلف المكتبات الخاصـة في البـيـوت والمسـاجد والزوايا ويوجد تحديد لأماكن تواجدها في بيبلوغرافية البحث.

- **دفاتـروسجلات المحاكم الشرعية:** وتتضمن معلومات هامة عن الحالة الاقتصادية والاجتماعية ومنها سجلات محكمة الوادي (1874-1881) وكوينـين (1873 – 1890) وقمار (1872 – 1887) وتوجد بمكتب التوثيق لدى السيد رزاق بعرة عبد المالك بالوادي..

- **كراريس تسجيل البـيـوع المؤجلة** من طرف التجار وتوجد في المكتبات الخاصة منها مكتبة سالمي مصباح بالوادي، ومكتبة الزاوية الهبـرية بقمار، ومكتبة يحي بو ضياف بتاغزوت، وبها معلومات هامة عن المنتوجات الرائجة وفنادق الأسواق ووسائل النقل والعملات السائدة والمعاملات المالية.

- **أما المصادر المطبوعة:** فهي قليلة وأهمها كتاب الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، والبحر الطافح في فضائل شيخ الطريقة سيدي محمد الصالح للشيخ العوامر إبراهيم.

- كتاب التقويم الجزائري لمؤلفه الشيخ محمد الساسي معامير الزقيمي المخضرم الذي عاش عقدين من عمره في أواخر القرن التاسع عشر، وأشار في مؤلفه إلى بعض القضايا الهامة.

- رحلة ابن الدين الاغواطي1829 وقد تـرجمها أبو القاسم سعد الله ونشرها في كتابه أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر الجزء الثاني.

-كتاب فندلين سلوصر حول تاريخ قسنطينة أيام أحمد باي 1832 – 1873.

ب) المصادر باللغة الفرنسية:

- سجلات المدارس الفرنسية، ومنها سجل مدرسة الأهالي بالوادي ويوجد في مدرسة الشهيد ميهـي بالحاج بحي أولاد احمد بالوادي، سجل المدرسة الابتدائية للأطفال بكوينـين ويوجد في مدرسة الشهيد أحمد مولاتي بكوينين.

- مؤلفات الرحالة الفرنسية ايزابـيـل ايبـرهاردت التـي زارت وادي سوف في سنة 1899 – 1900 وتحدثت عنها كثيـرا، وخاصة كتاب " يومياتـي " وكتاب " في الظل الدافـئ للإسلام ". وكتاب الكولونـيـل نيوليت "الجزائر في 1882 " ولويس رين " حول المقاومات الشعبية عام 1871 ".

- دراسات الضابط كوفي حول النخيل والسوافة، والدكتور ايسكار والذي قدم دراسة مناخية وطبية واجتماعية حول وادي سوف سنة 1886.

3. المراجع:

وهي ثرية ومتنوعة، منها المخطوط والمطبوع باللغتين العربية والفرنسية، وأهمها:

- **المخطوطات والتقاييد:** التـــي كتبها علماء المنطقة وشيوخها مثل الشيخ الطاهر اتليلي حول تاريخ سوف السياسي والثقافي والدينـــي ومنها ، إتحاف القارئ والفوائد المنثورة، وتوجد في مكتبته المنـــزلية، وكتاب الشيخ محمد العزوزي الذي يعرّف فيه بزاوية سيدي سالم، ورسالة القوراري إلى الشيخ محمد الحافظ المصري حول حياة الحاج علي التماسينـــي، وكتاب أضواء على حياة الشيخ أحمد التجانـــي وأتباعه لعبد الباقي مفتاح، وكتاب القول المعروف في عمران ســوف للشــيخ أحمد مفتاح وتوجد كلها في مكتبة عبد الباقي مفتاح المنزلية بقمار.

- **الكتب المطبوعة:** وهي كثيـــرة ومنها التاريخية والمراجع المســاعدة ذات الطابع العام، والقواميس والمعاجم التاريخية والكتب الجغرافية والخرائط التاريخية باللغتين العربية والفرنسية.

- **المقالات والدراسات:** المتناثرة في المجلات والدوريات المتخصصة باللغتيـن العربيـة والفرنسية، أما الدراســات فهـــي نتاج المحاضـرات والأبحاث التـــي قدمت في المنتديات الثقافية، والملتقيات الدورية التاريخية المحلية والوطنيـة التي احتضنتها المناطق الصحراوية، وتعرضت لجوانب هامة في تاريخ وادي سوف خلال فترة الدراسة.

والجدير بالذكر في آخر هذه النبذة، هو الملاحظات التالية:

أولا: لقد تم التعامل مع الوثائق والمصـادر والمراجع بحذر ونقد لمحتوياتها وخاصـة الوثائق والمصـادر الفرنسية والتي غطت جزءا هاما من البحث.

ثانـيـا: دفعتنـي بعض القضايا إلى عقد جلسات خاصة مع الشيوخ الكبار مستعينا بهم في تفسيـر حادثة تاريخية، أو إثراء قضـية ثبت أصـلها في المصـادر، أو تصـويب معلومة أو نقدها، وبعض تلك اللقاءات كانت عملا متقدما زمنـيـا عن البحث، وأصحابها صاروا في عداد الأموات، لكن معلوماتهم تم استثمارها في موضعها الحقيقي.

ثالثا: رغم الصعوبات التي واجهتني، أثناء البحث على الوثائق الأصلية والمصادر في البيـوت والمساجد والزوايا والمؤسسات الخاصة والعامة، إلا أنني تمكنت في الأخير من جمع عدد هام منها والتي صنفتها في مجموعات في بيبلوغرافيا البحث في العنصر الموالي.

ببلوغرافية البحث

1. الوثائق الأهلية
2. المخطوطات الأهلية
3. الكتب المطبوعة
4. الدوريات والمدونات
5. المعاجم والمراجع الجغرافية
6. المراسلات واللقاءات الشخصية

1. الوثائق الأهلية:

أ) الوثائق باللغة العربية:

.وثائق المحاكم الشرعية:

- وثيقة قسمة تـركة أحمد بن عبد الله التاغزوتـي. الصادرة عن محكمة وغلانة بوادي ريغ بتاريخ 27 أفريل 1885. مكتبة يحي بوضياف المنزلية. تاغزوت.

- وثيقة بتاريخ 1272هـ(1855م) كتبها قاضي تاغزوت بلقاسم بن أحمد التليلي – هي في مكتبة السيد يحي بوضياف التاغزوتي المنزلية.

- عقد شـراء مسـجل بالمحكمة الشـرعية بالوادي رقم 279 بتاريخ 1278 (1861) في حوزة بن موسـى الحاج محمد بحي لعشاش.

- وثيقة بـيـع حصة نخيل بجر وزيتـن بالريال رواج سوف تحت رقم 1526 سنة 1872. نسخة منقولة عن الأصل بمكتب التوثيق بالوادي توجد عند السيد احمد خراز.

- عقد " صـــدقة " مسـجل بمحكمة الوادي الشـــرعية تحت رقم 3312 بتاريخ جمادى الثانـــي 1290هـــ(1873م) وقد سجلته من السجل الأصلي بمعية السيد العربـي مصباحي يوم 2000/10/15) . وهو موجود بمكتب التوثيق رزاق بعرة عبد المالك. الوادي.

- عقد زواج مسجل بالمحكمة الشـرعية بالوادي تحت رقم 3329 بتاريخ 15 رجب 1290هـــ(1873م) نقلته من السجل الأصلي بمعية مصباحي العربـي. موجود في مكتب التوثيق عند الموثق رزاق بعرة عبد المالك. الوادي.

.وثيقة مسجلة بالمحكمة الشرعية بقمار رقم 4017 بتاريخ 1291هـ(1874م) نقلتها من السجل الأصلي بمعية السيد مصباحي العربي. موجود بمكتب التوثيق للسيد رزاق بعرة عبد المالك. الوادي.

- وثيقة رقم 4465 لعام 1875. سـجل محكمة قمار الشـــرعية.يوجد بمكتب التوثيق رزاق بعرة عبد المالك بالوادي.

- عقد شـراء غوط بالريال رواج سـوف بتاريخ 18 مارس 1875 تحت رقم 120 ومسـتخرجة عن الأصل بمكتب التوثيق بالوادي توجد عند السيد احمد خراز.

- عقد بـــيـــع مسجل بمحكمة قمار الشـرعية تحت رقم 1015 بتاريخ 10 جويلية 1878 وهو موجود بالديوان السياحي بقمار.

- وثيقة بمحكمة قمار تحت رقم 1343 بتاريخ جانفي 1878. توجد عند السيد صالح فالح بالرقيبة.

- عقد "بيع " مسجل بمحكمة قمار الشرعية تحت رقم 158 بتاريخ 28 فيفري 1881 والعقد في حوزة السيد صالح فالح بالرقيبة.

- وثيقة بالمحكمة الشرعية تحت رقم 236 بتاريخ 7 أفريل 1882 وهي في حوزة السيد يحي بوضياف - تاغزوت.

- وثيقة " وصية " مسجلة بالمحكمة الشرعية بقمار تحت رقم 437 بتاريخ 24 فيفري 1887. وهي عند السيد صالح فالح.

- وثيقة مسجلة بالمحكمة الشرعية بالوادي تحت رقم 796 بتاريخ اكتوبر 1890 وهي في حوزة بن موسى الحاج محمد.

- عقد شراء منزل مسجل بمحكمة قمار الشرعية تحت رقم 278 بتاريخ 13 فيفري 1893. توجد عند السيد صالح فالح.

." وصية " مسجلة بمحكمة قمار الشرعية تحت رقم 46 بتاريخ 30 سبمتبر 1894 وهي بحوزة السيد صالح فالح بالرقيبة.

- عقد بيع حصة نخيل مسجل بمحكمة الوادي الشرعية تحت رقم 637 بتاريخ 23 أفريل 1894، نقلتها يوم 2000/10/16 من السيد شيحاني حسن بالوادي.

- صدقة مسجلة بالمحكمة الشرعية بالوادي تحت رقم 88 بتاريخ 12 جوان 1895 بسجل المحكمة الشرعية الموجود في مركز التوثيق عند السيد بعرة عبد المالك (الموثق) نقلتها بمساعدة السيد العربي مصباحي.

- عقد زواج مسجل بالمحكمة الشرعية بالوادي تحت رقم 275 بتاريخ 12 أوت 1895 الموافق لـ10 صفر 1313هـ، نقلته بمعية العربي مصباحي في 2000/10/15 من السجل الأصلي في مكتب التوثيق السابق.

- عقد بيع حصة نخيل بنفس المحكمة تحت رقم 280 بتاريخ 16 أوت 1895، يوجد بمركز التوثيق رزاق بعرة عبد المالك بالوادي.

- عقد " بيع " بالمحكمة الشرعية بالوادي تحت رقم 1066 بتاريخ 19 مارس 1896، الوثيقة في حوزة بن موسى حاج محمد.

- وثيقة قسمة في غوط الجدلة صادرة عن المحكمة الشرعية بالوادي تحت رقم 794 بتاريخ أوت 1896. ولديّ نسخة منها.

- عقد " رهن " مسـجل بمحكمة قمار الشـرعية تحت رقم 605 بتاريخ 15 مارس 1898 وهو موجود بالديوان السياحي بقمار.

- وثيقـة " هبـة " مسـجلـة بـالمحكمـة الشـرعيـة بـالوادي تحـت رقم 588 بتـاريخ 28 شـعبـان 1319هـ(1901م) . نقلتها من أصلها يوم 2000/10/16. وهي في حوزة السيد شيحاني حسن بالوادي.

- الرسائل المتبادلة:

- رسالة الشيخ مصطفى بن عزوز البـرجي إلى أهل سوف وأتباع العزوزية سنة 1258هـ(1842م) وهي ضمن مجموع مخطوط بمكتبة الزاوية العثمانية بطولقة نقلتها يوم الأحد 27 أوت 2000.

- رسـالة محمد بن عزوز إلى سـي علي بالليل، وسـي الحاج أبـي بكر ضـمن مخطوط عنوانهمجموع رسائل- بالزاوية العثمانية بطولقة. سجلتها يوم الاحد 27 أوت2000.

- رسائل الشيخ علي بن عثمان الطولقي إلى كافة اخوان الطريقة العزوزيةبتاريخ 1297هـ(1879م) هي ضـمن مخطوط "رسـائل الشـيخ علي بن عثمان " يوجد بالزاوية العثمانـيـة بطولقة. نقلتها منه يوم2000/8/27.

- رسـالة شـيوخ بـيـت الشـريعة بالجريد التونسي إلى الشـيخ علي بن عثمان الشـابـي بقمار بتاريخ 1305هـ(1887م)، توجد ضمن تقاييد ووثائق الشيخ أحمد مفتاح القماري، لديّ صورة عنها.

- رسالة من أبي قاسم بن المشري بسوف إلى السيد أبي ضياف بن أحمد. 16 شعبان 1311هـ(1893) . مكتبة يحي بوضياف المنزلية. تاغزوت.

- رسالة أبي الضياف بن أحمد إلى الشيخ حم عروسي التجاني بقمار في ربـيع الأول1312هـ(1894م) في مكتبة يحي بوضياف..

- رسـالة عثمان بن بلقاسـم بن اهويدي إلى أبـي الضـياف بن أحمد في 5 شـعبان 1312هـ(1894م) موجودة في مكتبة يحي بوضياف المنزلية بتاغزوت.

- رسـالة موجهة إلى الحاكم الفرنسـي بالوادي من طرف قايد لعشـاش بن موسـى محمد. وقايد المصـاعبة الحاج مسـعود بن بدادي بتاريخ 22 مارس 1895. الوثيقة محفوظة بمديـرية المجاهدين بالوادي.

- رسـالة من بن علي حم إلى أبـي الضـياف بن أحمد بتاريخ 1896. موجودة بمكتبة يحي بوضيـاف المنزلية. تاغزوت.

- رسـالة الجموعي بن بلقاسـم إلى أبـــي الضـياف بن أحمد في 13 أفريل 1896.مكتبة يحي بوضـياف، تاغزوت.

- رسالة من العيد بن اتليلي بسوف إلى أبي الضياف بن احمد بالمغيـر في 25 فيفري 1897. مكتبة يحي بوضياف المنزلية. تاغزوت.

- رسالة سعد بن أحمد بن كلكامي إلى السيد أبي الضياف بن أحمد يوم 25 فيفري 1897. مكتبة يحي بوضياف المنزلية. تاغزوت.

- رسالة الجموعي بن بلقاسم بالمغيـر إلى أبـي الضياف بن أحمد بتاريخ 13 مارس 1897. وهي في مكتبة يحي بوضياف المنزلية بتاغزوت.

- رسالة مبارك بن اتليلي بالمغير إلى أبي الضياف بن أحمد في تاغزوت 22 ربيع الثاني 1315هـ(1897م) مكتبة يحي بوضياف المنزلية. تاغزوت.

- رسالة أبي الضياف بن أحمد إلى أهل المغير 1315هـ(1897) . مكتبة يحي بوضياف المنزلية. تاغزوت.

- رسـالة عمار بن ارحومة إلى ابـــي الضياف بن أحمد في المغيـــر بتاريخ 26 جانفي 1899. مكتبة يحي بوضياف.

- رسالة بلقاسم بن مسعود الجامعي إلى أبـــي الضياف بن أحمد التاغزوتـــي بتاريخ 14 جوان 1899. وهي في مكتبة بوضياف بتاغزوت..

- رسالة أحمد بن شنوف بالمغير إلى أبي الضياف بن أحمد في سوف بتاريخ 29 جانفي 1900. موجودة بمكتبة يحي بوضياف المنزلية. تاغزوت. الوادي.

- الوثائق العامة:

- نص التحريـــر (إعفاء من الضرائب) المرسل من صالح باي قسنطينة إلى عون بن مهلهل بسوف في أوائل شعبان 1206هـ(1791م) لدي نسخة منه.

- بـيـان بعض الغارات الواقعة من اناس الشرق على اناس طرود ما بـيـن 1800 - 1877 وثيقة أهلية توجد في مديرية المجاهدين.الوادي.

- " قائمة ذكر أسماء وتاريخ الحكام الفرنسيون الذين تولوا في وادي سوف ما بـيـــن 1881 – 1900، تقاييد الشيخ أحمد خراز، لديّ نسخة منها.

- وثيقة كتبت لأحمد بن أبـي الضياف التاغزوتـي غيـر واضحة الكاتب والتاريخ، توجد نسخة مصورة منها في مكتبة عبد الباقي مفتاح وعندي نسخة منها.

-تسريح كتبه علي بن أحمد بن خليفة للسيدين إبراهيم وأخيه أحمد بوضياف من عرش أولاد اسعود بتاغزوت للسفر إلى وادي ريغ بتاريخ 27 سبتمبر 1883. وهو موجود في مكتبة يحي بوضياف المنزلية.

- تسريح من علي بن أحمد بن خليفة إلى بوضياف بن أحمد للسفر إلى التجارة نحو بسكرة بتاريخ 27 سبتمبر 1883. موجود في مكتبة يحي بوضياف المنزلية. تاغزوت.

- وثيقة بريدية (حوالة) بتاريخ 2 جانفي 1881 أرسل فيها أحمد بن أبي الضياف التاغزوتي 60 فرنكية إلى السيد أحمد بن الهبي القماري. توجد في مكتبة يحي بوضياف المنزلية بتاغزوت.

- وصل إثبات دفع مقدم من أبي الضياف بن احمد إلى أبي بكر التجاني 60 ريال صرف سوف ثمن قمح بدون تاريخ. مكتبة يحي بوضياف المنزلية بتاغزوت.

- عقد بيع جملين كتبه سعد بن فرج بن البحري 2 ربيع الثاني 1302هـ(1884م) . موجود في مكتبة يحي بوضياف المنزلية. تاغزوت. الوادي.

- جريدة (جرد) تقييد أسماء أثاث الهالك أحمد بن عبد الله كتبها أبو ضياف بن أحمد التاغزوتي 1302هفي ماي (1884م) مكتبة يحي بوضياف التاغزوتي.

- وصية مخطوطة بتاريخ 9 شوال 1315هـ(1897م) . مكتبة يحي بوضياف بتاغزوت. ولدي صورة منها.

- وصية مخطوطة بتاريخ 26 مارس 1898. مكتبة يحي بوضياف بتاغزوت. ولدي صورة منها.

ب) الوثائق باللغة الفرنسية:

- Calendrier Coutumier Employé dans le Souf et basé sur les faits marqués de l'année – Voir Direction de Moudjahidine d'El-oued.

- Diplôme Décerne par Comice Agricole de Batna – le 10 Octobre 1895 . Aujourd'hui ce document est chez Mr Ben Moussa Hadj Mohamed . cité l'acheche . El-oued.

- Histoire succinct de l'Administration du Souf dans les deux dernières siècles avant l'Arrivée des français. d'après Gaid Zobeidi Si Hocine - 1952. Direction de Moudjahidine – El-oued.

- Industrie des Tapis au Souf – d'après l'Annexe d'El-oued juillet 1919.Doc dans l'archive du Direction de Moujahidine. El-oued.

- Passeport à l'intérieur donner à la nommé Ahmed el'Hadj Abdallah de Guemar par bureau arabe de Touggourt – le 29 Avril 1873. Voir Office du Tourisme de Guemar.

- Permis de Voyage – donner à la nommé Salah ben kalifa – par le chef de poste d'El-oued le 20 Mars 1885. Voir Office du Tourisme de Guemar.

- Rapport nommé - **classe dirigeante** –d'âpres l'Annexe d'El-oued. Doc dans l'archive du Direction de Moudjahidine . El-oued.

- Rapport nommé " Rubrique 3 – Habitat – D'âpres l'annexe d'El-oued. Doc dans l'archive de direction de Moudjahidine . El-oued.

- Rapport sur la population du souf – D'après l'annexe d'El-oued. Doc dans l'archive de la Direction de Moudjahidine . El-oued.

- Plusieurs Rapports (mensuel) écrives par S L Blachere chef de poste du bureau arabe d'El-oued (Debila) dans l'archive de Sarl El wouroud . Taghzout . El-oued:

*** Rapport mensuel (Aout)** – Debila le 12 septembre 1883.

*** Rapport mensuel** . 10 Octobre 1883.

*** Rapport mensuel** . 10 Novembre au 10Decembre.1883.

2. المخطوطات الأهلية:

أ) المخطوطات العامة:

-ابن دومة الطاهر التقرتي ، **نبذة تاريخية عن سكان وادي ريغ**، لديّ نسخة منه.

-اتليلي الطاهر، **اتحاف القاري بحياة خليفة بن حسن القماري** ، لديّ نسخة منه.

- (- - - - - - - - ، - - - - - - -)، **الفوائد المنثورة من المطالعات المبتورة**، مخ. توجد نسخة في النادي السياحي بقمار.

-(- - - - - - - - - ، - - - - -)، **من تاريخ وادي سوف** ،مكتبته المنزلية. قمار. الوادي.

- البابوري محمد بن أحمد،**مخطوط حول بايات قسنطينة** ،مجهول العنوان والتاريخ. مكتبة سالمي مصباح المنزلية بحي لعشاش. مدينة الوادي.

- العدواني محمد ، **تاريخ العدواني**، نسخة أحمد خراز، لديّ نسخة منه.

- العزوزي بن محمد الصالح، **التعريف بزاوية سيدي سالم** ، يوجد بمكتبة زاوية سيدي سالم بالوادي.

- العوامر ابراهيم ،**الصروف في تاريخ سوف** ، نسخة أحمد مفتاح، توجد في مكتبة إبنه عبد الباقي بقمار.

- القوراري محمد اخميس، **رسالة إلى الشيخ محمد الحافظ التجاني المصري حول الحاج علي التماسيني وأبنائه**، مرقونة بتاريخ 1969. لديّ نسخة منها.

- خراز أحمد ، **تقاييد**، توجد بمكتبته المنزلية بالوادي.

- زغب أحمد ، **التطور الدلالي في لهجة منطقة سوف** ، رسالة الماجستير، سنة 2000، جامعة الجزائر.

- زغودة محمد التجاني ، **خلاصة ما جاد به الزمن من أخبارسيدي خليفة بن حسن** ، لديّ نسخة منه.

- سالمي مصطفى ، **تقاييد**، مكتبة المنزلية بالوادي.

- مفتاح أحمد القماري ، **تقاييد** ، مكتبة المنزلية بقمار.

- (- - - - - - - - - ، - - - - -)، **القول المعروف في عمران سوف** ، في حوزة ابنه عبد الباقي مفتاح بقمار.

- مفتاح عبد الباقي ، **أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه**، يوجد عند صاحبه بقمار.

- **سجلات المحكمة الشرعية بالوادي** ، لسنوات1851 – 1857 – 1859 – 1860 – 1864 – 1872 – 1874، توجد بمكتب التوثيق للسيد عبد المالك رزاق بعرة. موثق بالوادي.

- **سجلات المحكمة الشرعية بكوينين**، لسنوات 1873- 1881 – 1886 – 1887 – 1890، توجد بمكتب التوثيق للسيد عبد المالك رزاق بعرة، موثق بالوادي.

- **سجلات المحكمة الشرعية بقمار**، لسنوات 1872 – 1874 – 1875 – 1877 – 1878 – 1881 – 1887، توجد بمكتب التوثيق للسيد عبد المالك رزاق بعرة، موثق بالوادي.

- **كراس تقاييد البيوع المؤجلة** ، من سنة 1884 إلى 1888، توجد بمكتبة سالمي مصباح المنزلية. حي لعشاش. الوادي..

- **كراس تقاييد البيوع المؤجلة** ، لسنة 1891. يوجد بمكتبة الزاوية الهبرية بقمار..

- **كراس تقاييد البيوع المؤجلة** ، لسنة 1899. يوجد بمكتبة يحي بوضياف بتاغزوت.

- **مجموع رسائل** ، يوجد بمكتبة الزاوية العثمانية بطولقة.

ب) المخطوطات الدينية:

- **المصحف الشريف** ، ناسخه أحمد بن عيسى الرحالي الزروالي (1877) . مكتبة بن موسى الحاج محمد.

- **المصحف الشريف**، نسخه محمد الصغير بن الجلاصي سنة 1304هـ(1886م) يوجد بالزاوية الهبرية بقمار ضمن مكتبة أحفاد خليفة بن حسن.

- **المصحف الشريف** ، مخطوط في عام 1890، يوجد بمكتبة سالمي مصباح. الوادي.

- **المصحف الشريف**، نسخه علي بن مسعود بن إبراهيم امريقة بتاريخ 1314هـ(1896م)، يوجد بمكتبة مسجد أبي موسى الأشعري بحي تكسبت. الوادي.

- **رسالة ابن ابي زيد القيرواني**، نسخت بتاريخ 1133هـ(1720م)، توجد في مكتبة الشيخ البشير أحمدي المنزلية.كوينين.

- **مخطوط في التفسير** ،مجهول الناسخ، نسخ عام 1729(من سورة الكهف إلى الناس) يوجد بمكتبة سالمي مصباح.

- **تنبيه العطشان على مورد الضمآن**، للخرازي، نسخ عام 1772 من طرف محمد احديجة بن محمد بن خضير العبيدي. مكتبة أحمدي البشير. كوينين.

- **شرح خليل لمحمد الخرشي** ، نسخه محمد المداني بن أحمد الطيب بن عبد الله بن علي بن شومة الدراج عام 1773. يوجد بمكتبة ثانوية بوشوشة، الوادي.

- **مجموع**، نُسخ بتاريخ 1810. يوجد بمكتبة الزاوية الهبرية بقمار.

- **الدر اللوامع** ، نسخه محمد الأخضر بن محمد بن أحمد بن العبيدي الجويني عام 1860. يوجد بمكتبة سالمي مصباح، الوادي.

- **مخطوط شرح سيدي خليل** ،نسخه أحمد بن السايح بوترعة (ستو) سنة 1278هـ(1861م)، أصله بمسجد القرافين بالبياضة، ويوجد عند السيد علي حلواجي.

- **عقال الشوارد في نقل الفوائد (شرح العاصمية في الفقه)**، عبد الله بن عبد الواحد نسخه أحمد بن السايح بن أبي ترعة السعيدي بتاريخ 1279هـ(1862م) . يوجد في مكتبة زاوية سيدي سالم.الوادي.

- **مخطوط ابن سلمون الاندلسي في العقود والمعاملات** ، نسخه القاضي محمد الشريف بن نصر المصعبي بتاريخ 1294هـ(1877م) يوجد بمكتبة أحمد خراز المنزلية.

- **رسالة محمد بن عرفة** ، مخطوط مجهول الناسخ، نسخ بتاريخ 1878. يوجد بمكتبة البشير أحمدي. كوينين.

- **تفسير المنامات لمحمد بن سيرين**، نسخه بلقاسم بن عمار بن محمد سنة 1298هـ(1880م) يوجد بمكتبة أحمد خراز المنزلية.

- **كتاب في الفلك**، مجهول المؤلف والعنوان، نسخه أحمد بن الحاج عبد الله بن خليفة بن حسن بتاريخ 1298هـ(1880م)، يوجد بالزاوية الهبرية بقمار ضمن مخطوطات مكتبة الشيخ خليفة بن حسن وأحفاده.

- **منظومة محمد المكي بن مصطفى بن عزوز**، نسخها علي بن مبروك المدعو برقية بتاريخ 2 شعبان 1300هـ(1882) .

- **ديوان الخطب السنية**، لمصطفى البولاقي، نسخه محمد المكي بن علي عام 1303هـ(1885م) يوجد بمكتبة مصباح سالمي.

- **مجموع متون** ، نسخه مبروك بن عمار بن علي بن عمار سنة 1307هـ(1890م) يوجد في مكتبة أحمد خراز المنزلية بالوادي.

- **نظم جوهرة التوحيد** ، نسخه عبد الله بن علي بن عبد الله بن صابر المصعبي بتاريخ 1312هـ(1894م) توجد بمسجد مهرية بالوادي.

ج) مخطوطات الشعر الشعبي:

- زغب أحمد محمد ، **أعلام الملحون في منطقة وادي سوف نماذج وانطباعات**، في حوزة كاتبه.

- (- - - - - - - - - - - ، - - - - - - - - - - -)، **شعراء القادرية في وادي سوف**، في حوزة كاتبه.

- شاعر مجهول- قصيدة بعنوان **" يا حي يا قيوم "**، نقلتها عن الأستاذ قمعون عاشوري في جويلية1997.

- الشريف ابراهيم بن أحمد - قصيدة بعنوان " النور" خُطت بالأغواط بتاريخ 1904، توجد في زاوية ابنه محمد الطيب الشريف، بالرويسات بورقلة. لديّ نسخة منها.

- العوامر ابراهيم – قصيدة، **وصف رحلة من بسكرة إلى وادي سوف 1902**. لديّ نسخة منها.

- (- - - - - - - - - - - ، - - - - - - - - - - -)، **ديوان في الشعر الصوفي**، يوجد بزاوية سيدي المولدي بتوزر.لديّ نسخة منه.

- غادة بن زغب، **ديوان**، جمع أحمد زغب. يوجد بحوزة جامعه.

- **السفينة العزوزية في مدح رجال الطريقة الرحمانية**– جمع الشيخ مصطفى سالمي جويلية 1966.

د) المخطوطات الفرنسية:

- Ecole d'indigènes d'El-oued – **Registre Matricule des élèves admis à l'école du 1886 à 1904** – Voir le registre dans l'école de chahid Mihi Mohammed Bel- hadj . El- oued.

- Ecole primaire préparatoire de garçons de Kuinine – **Registre Matricule des élèves de l'école du 1 ère Octobre 1921 .** Voir le Registre dans l'ecole de chahid Ahmed Moulati de Kouinine.

- Miadi Mohammed Elkebir **– Tableau chronologique de l'histoire des Rois de Touggourt et Oued Righ** . Miadi correspondant du C.N.E.H. Alger. octobre. 1986. –

- André Voisin **– le souf Monographie d'une région Saharienne** –1985. Paris.

3.الكتب المطبوعة:

أ) الكتب المطبوعة بالعربية:

أولا: الكتب التاريخية:

- أبو زكرياء يحي بن أبـــي بكر ،**كتاب سـيـــر الأئمة وأخبارهم**، تحقيق إسـماعيل العربـــي، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 2، الجزائر، 1984، ج 2.

- الأميـــر محمد بن عبد القادر الجزائري ، **تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والاميـــر عبد القادر** ، شرح وتعليق د. ممدوح حقي. دار اليقضة العربية. بيروت. 1964. ج 1.

- اوصديق الطاهر، **ثورة 1871** ، ترجمة جباح مسعود. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. 1989.

- باجية صـالح ، **الاباضـية بالجريد في العصـور الإسـلامية الأولى** ، دار بوسـلامة للطباعة والنشـر والتوزيع.ط 1. تونس. (1971) .

- بالحميسي مولاي، **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، الشركة الوطنـيـة للنشر والتوزيع. ط 2. الجزائر . 1981.

- بـوعـزيـز يـحي، **بـطـل الـكـفـاح الأمـيـــــر عـبـد الـقـادر الجـزائـري**، نشـــر وتـوزيـع المكـتـبـة الشرقية.ط1.تونس.1957 .

- (- - - - - - - - - - - ، - - - - - - - - - - -)، **ثورات الجزائر في القرنـيـــن التاسع عشر والعشرين**، دار البعث. ط 1. قسنطينة. 1980.

- (- - - - - - - - - - - ، - - - - - - - - - - -)، **ثورة 1871 – دور عـائلتي المقراني والحـداد** ،الشـــركة الوطنية للنشر والتوزيع.الجزائر.

- (- - - - - - - - - - - ، - - - - - - - - - - -)، **كفاح الجزائر من خلال الوثائق** ، المؤسـسـة الوطنـــيـــة للكتاب. الجزائر. 1986.

- تشرشل شارل هنـــري ، **حياة الأميـــر عبد القادر الجزائري**، تـــرجمة وتقديم وتعليق الدكتور أبو القاسم سعد الله. الدار التونسية للنشر. تونس. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر. ماي 1974.

- التميمي عبد الجليل، **بحوث ووثائق في التاريخ المغربـي. الجزائر وتونس وليبـيـا 1816 – 1871** ، ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربـيـة في العهد العثماني. تونس. ط 2.الجزائر. 1985.

- جوليان شارل اندري ، **تاريخ إفريقيا الشمالية** ، تعريب محمد مزالي. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر. الدار التونسية للنشر. تونس. 1978.

- الجيلالي عبد الرحمان، **تاريخ الجزائر العام**، ديوان المطبوعات الجامعية.ط 7. الجزائر. 1994.ج3.

- (- - - - - - - - - - - ، - - - - - - - - - - -)، **حول سكة الأمير عبد القادر الجزائري**، وزارة التربية الوطنية. إدارة الشؤون الثقافية. المتاحف الوطنية. الجزائر. 1966 .

- بن الحاج عبد الرحمان ، **الدر المكنوز في حياة سيدي علي بن عمر وبن عزوز**، مطبعة النجاح، قسنطينة. 13شوال 1350هـ.

- حرازم علي الفاسي، **جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني** ، دار الجيل. بيروت. 1988. ج1.

- الحسني علي الرضا ، **محمد المكي بن عزوز حياته وآثاره**، الدار الحسنية 1997.

- أبو القاسم الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية. الجزائر.1991. ج2.

- خير الدين محمد ، **مذكرات** ، المؤسسة الوطنية للكتاب. ديوان المطبوعات الجامعية.الجزائر ج1.

- دبوز محمد علي ، **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة** ، المطبعة العربية. الجزائر. 1969. ج 3.

- الدجاني أحمد صدقي، **وثائق تاريخ ليبيا الحديث –الوثائق العثمانية 1881 –1911** ، جمع وترجمة، الحاج عبد السلام أدهم. منشورات جامعة بنغازي. مطابع دار صابر. بيروت. 1974.

- الدرجيني أبو العباس احمد، **كتاب طبقات المشايخ بالمغرب**، تحقيق إبراهيم طلاي، مطبعة البعث بقسنطينة، الجزائر1974، ج 1، ج 2.

- الرياحي عمر بن محمد ، **تعطير النواحي بترجمة الشيخ ابراهيم الرياحي** ، مطبعة بكار تونس. ط 1. 1320هـ.

- الزبيري محمد العربي ، **التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792 – 1830** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ط 2. الجزائر. 1984.

- (- - - - - - - - - - - ، - - - - - - - - - - - - -)، **مذكرات احمد باي وحمدان خوجة وبوضربة** ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. ط 2. الجزائر. 1981.

- سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر- دار الغرب الإسلامي. ط 2. بيروت. 1990. ج2.

- (- - - - - - - - - - - ، - - - - - - - - - - -)، **تـاريخ الجزائر الثقـافي** ،دار الغرب الإســلامي. ط1. بيروت1998. ج 1، 3، 4، 5، 9.

- (- - - - - - - - - - - ، - - - - - - - - - - -)، **الحركة الوطنـيــة الجزائرية**، دار الغرب الإسلامي. ط 1. بيروت. 1992. ج 1.

- (- - - - - - - - - - - ، - - - - - - - - - - -)، **محاضــرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ط 3. الجزائر. 1982.

- سعيدوني ناصر الدين، **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني** ، المؤسسة الوطنيـة للكتاب. الجزائر 1984.

- (- - - - - - - - - - - ، - - - - - - - - - - -)، **العهد العثماني في الجزائر** ، وزارة الثقافة والســياحة. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. 1984. الجزائر في التاريخ. ج 4.

- (- - - - - - - - - - - ، - - - - - - - - - - -)، **النظام المالي في الجزائر في أواخر العهد العثمانـي 1792 – 1830** ، ط 2. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر 1985.

- فندليــن سلوصر، **قسنطينة أيام أحمد باي (1832 – 1837)**،تــرجمة وتقديم د. أبو العيد دودو. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.

- سيف الإسلام الزبير، **ثورة المقراني** ،المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. 1985.

- عبد الوهاب حسن حسني، **خلاصة تاريخ تونس** ، الدار التونسية للنشر. ط 4. تونس. 1968.

- العدوانـي محمد ، **تاريخ العدوانـي**، تحقيق الدكتور ابو القاسم سعد الله. دار الغرب الاسلامي. ط 1. بيروت. 1996.

- العوامر إبــراهيم، **البحر الطافح في بعض فضائل شيخ الطريق سيدي محمد الصالح** ، مطبعة بيكار وشركائه بتونس (1323هـ) .

- (- - - - - - - - - - - ، - - - - - - - - - - -)، **الصـروف في تاريخ الصحراء وسـوف** ، تعليق الجيلانـــي العوامر. الدار التونسية للنشر. تونس. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر. 1977.

- غليسبي جوان، **الجزائر الثائرة** ، دار الطليعة. ط 1. بيروت.. 1961.

- فركوس صالح، **الحاج أحمد باي قسنطينة (1826 – 1850)**، ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر.1993.

- فيلالي مختار، **نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني**، دار الفن القرافيكي للطباعة والنشر. باتنة.

- قادري عبد الحميد إبراهيم ، **التعريف بوادي ريغ** ، منشورات جمعية الوفاء للشهيد بتقرت. الآمال للطباعة بالوادي. 1999.

- مالتسان هاينـريش فون ، **ثلاث سنوات في شمال غربـي افريقيا**، تعريب د. أبو العيد دودو.الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر 1980.

- محفوظ محمد ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، دار الغرب الاسلامي. ط1.بيروت. 1984. ج 3.

- أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، نشر دار الكتاب ط 2. البليدة. الجزائر. 1963.

- (- - - - - - - - - - - ، - - - - - - - - - - -)، **محمد عثمان باشا داي الجزائر1766 – 1791** ، المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر1986.

- مجموعة من المؤلفين ، **سليمان الباروني المعلم المقاتل**،دار العودة. بيروت.

- (- - - - - - - - - - - ، - - - - - - - - - - -)، **غومة المحمودي فارس الصحراء** ، دار العودة. بيروت. 1975.

- معامير محمد الساسي، **التقويم الجزايري العام لسنتي 1345هـ(1927م)**، نشر المكتبة التونسية. مطبعة النجاح بتونس.

- (- - - - - - - - - - - ، - - - - - - - - - - -)، **مشاهداتي في الجزائر** ، مطبعة العرب بتونس. 1949.

- منصوري أحمد بن الطاهر ، **الدر المرصوف في تاريخ سوف**، دار الهدى. ج 1.

- مياسي إبراهيم ، **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر** ، ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر 1999.

- نسيب محمد ، **زوايا العلم والقرآن بالجزائر**، دار الفكر دمشق. الجزائر.

- النـــيـــال محمد البهلي، **الحقيقة التاريخية للتصـوف الإسـلامي** ، مكتبة النجاح للنشـر والتوزيع. تونس1965.

- هلال عمـــار، **أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830 – 1962)**، ديـــوان المطبـــوعات الجامعية. الجزائر 1995.

- (- - - - - - - - - - - ، - - - - - - - - - - -)، **الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربـية في غرب إفريقيا السمراء** ، منشورات وزارة الثقافة والسياحة. الجزائر. 1984.

- الوسياني أبو الربيع، **سير مشايخ المغرب** ، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1985، ج 2.

يحي جلال ، **المغرب الكبير** ، دار النهضة العربية. بيروت. 1981. ج 3.

يوشع بشير قاسم، **وثائق تجارية تاريخية اجتماعية 1228 – 1310هـ**، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي. ط 2. غدامس. 1982.

ثانيا: الكتب العامة:

- الأنطاكي داود ، **تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب والعجاب**،المطبعة الأميرية. القاهرة. 1282هـ.

- البختري أحمد ، **الجديد في أدب الجريد**، الشركة التونسية للتوزيع . تونس. 1973.

- بدر أحمد ، **المدخل إلى علم المعلومات والمكتبات** ، دار المريخ. الرياض (1885) .

- بغدادي مولاي ملياني، **المحاماة في الجزائر**، المطبعة الجزائرية (دحلب) . الجزائر. 1993. ج 1.

- بن علي محمد الصالح ، **الأغاز الشعبية في وادي سوف** ، ط 1. دار الشهاب. (1998) .

- (- - - - - - - - - - - - ، - - - - - - - - - - - -)، **1500 مثل وحكمة شعبية من وادي سوف**، دار الشهاب. ط 1. باتنة. 1998.

- التجانـــي ثريا، **دراسة اجتماعية لغوية للقصة الشعبـــيـــة في منطقة الجنوب الجزائري(وادي سوف نموذجا)** . دار هومة. الجزائر. 1998.

- **الثمر الداني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني**، تحقيق الشيخ صالح عبد السميع الآبي الأزهري. مطبعة المنار. تونس.

- حسان الجيلاني، **من التراث الغنائي بوادي سوف**، دار الشهاب. باتنة. الجزائر.

- الحطاب ، **مواهب الجليل لشرح مختصر خليل**، دار الفكر. بيروت. ط2. (1978) ج 3.

- خليفة بن حسـن القماري ، **جواهر الاكليل في نظم مختصـر الشـيخ خليل**، المطبعة البارونـــيـــة بمصر، ط،1 مصر، 1317هـ(1899م) .

- الدردير، **شرح على مختصر خليل**، المطبعة العامرة، مصر، 1292هـ(1875م) .

- **رسالة الرعدية** ، ضمن مجموع ، طبع بالمطبعة التونسية. تونس. 1357هـ.

- الركيبـــي عبد الله ، **الشعر الدينـــي الجزائري الحديث** ،الشركة الوطنـــيـــة للنشر والتوزيع. ط 1. الجزائر. 1981.

- زبدي صالح ، **رسم القرآن في المتشابه من كتاب البـيـان** – نشر شركة آمال للإعلام الآلي والاعمال المكتبية.1999.

- الزرهونـي محمد ، **حاشية على شرح الزرقانـي لمتن الامام أبـي المودة خليل** ، المطبعة الأميـرية ببولاق. مصر. ط 1. (1306هـ) .

- سعد الله أبو القاسم ، **أفكارجامحة**، المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. 1988.

- السـويدي محمد، **مقدمة في دراسـة المجتمع الجزائري**، ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. 1990.

- السيوطي جلال الدين ، **كتاب الرحمة في الطب والحكمة**، مطبعة التقدم العلمية. مصر. 1323هـ.

-الصاوي، **بلغة السالك لأقرب المسالك**، المطبعة الادبية مصر ج1. 1221هـ(1806م) .

- العروسي بـركات القسنطينـي، **وسيلة المتوسليـن بفضل الصلاة على سيد المرسلين**، مطبعة البابي الحلبي ط1، مصر 1965.

- ابن القيم الجوزية، **الطب النبوي**، دار الكتب العلمية.

- **متن رسالة ابن ابي زيد القيرواني**، مكتبة رحاب. الجزائر. ص 169.

- **ميارة - الدر الثمين**، المطبعة الخيرية، مصر. 1306.

ب) الكتب المطبوعة بالفرنسية:

- Colonel Ardant du Piça – **Etudes sur le combat** – Paris. 1880.

- C l .Bataillon **– le souf etude de geographie humaine** .institut de recherches Sahariennes. Université d'Alger M 2.

- Bellin Paul – **le Damier d'Abdallah** – Imprimerie lucien Volle. 1960

- Eberhardt Isabelle. Victor Barrucand – **Dans l'ombre Chaude de l'Islam** – Imprimerie p. et A Diary. Paris. 1926.

- Eberhardt Isabelle – **Mes journaliers** – par Rene. Luis Doyon. Edition d'Aujourd'hui. Paris. 1985.

- - Febure Frederic – **l'Heritage de Madame Naudin.** Paris. 1895.

- L. Feraud – **le Sahara de constantine et de Tunis** –1868 -.

- Fontaine Pierre – **Touggourt Capitale des Oisis** – Edition Devry. Paris. 1952

- G.P.J André **– Confreries Religieuse Musulmanes** – Edition la maison de livre. Alger. 1956

- Gouvernement Generale de l'Algerie – **le Territtoire du sud de l'Algerie** – Imprimerie Algerienne. Alger. 1929.

- Gouvion Marthe et Edmond – **Kitab Aayane El-Marhariba**- Imprimerie orientale Fontano fréres. Alger. 1920.

- Guizot M – **Histoires de la civilisation en France** – Paris. 1874.
- Jannet Claude – **les etats Unis contemporains** – Paris. 1877.
- Lutaud -CH – **Expose de la situation generale de Territoire du Sud**- Iypographie Adolphe-Jordan 1907 - 1908.
- Millie Scelles – **Contes Sahariens du souf** - Maisonneuvre et larose -1964 – Paris -
- Munier Pierre – **le palmier Dattier** - G P Maisonneuvre et larose – Paris. 1973.
- Nadjah Ahmed – **le Souf des Oasis** – Edition la maison des livres. Alger. 1971..
- le Colonel Noellat – **l'Algerie en 1882** – librairie Militaire. Paris. 1882..
- Pillon Augustin – **Mérimée et ses Amis** – Paris. 1894.
- Revillon Tony – **les Marquis de Saint – lys** – Paris. 1887.
- Rinn Luis – **Histoire de l'insurrection de 1871 en Algerie** –Alger. 1891
- Rochd Mohammed – **Isabelle Une Maghrebine d'adoptation** – o p u. Alger. 1992
- Selami Souad – **Touggourt Esquisse Historique** –Les imprimeries du sud .Ouargla. 1998
- Tomas Marc-Robert – **Sahara et communaute** – presses universitaires de France 1ed.Paris 1960.
- Verdy du Vernois – **Etudes sur l'art de conduire les troupes** – Paris. 1875.

4.الدوريات والمدونات

أ) مقالات المجلات والدوريات:

أولا: باللغة العربية:

- ايفر.ج- الأغواط – في - **دائرة المعارف الاسلامية** – دار الشروق. 1933 القاهرة. المجلد الثالث.
- بيل.أ – أبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسي_– في – **دائرة المعارف الاسلامية**. دار الشروق. القاهرة. 1933. مج 1.
- بوعزيز يحي،" معارك الحاج أحمد باي في جبال اولاد سلطان من خلال ثلاث وثائق جزائرية " -في**مجلة الثقافة**- الجزائر. نوفمبر/ديسمبر 1985. العدد90.
- (- - - - - - - - - - - - ، - - - - - - - - - - - -)، " المجاعة بالجزائر أواخر عقد الستينات من القرن 19 " – في - **مجلة الاصالة**. وزارة الشؤون الدينية. الجزائر (ماي 1996) العدد 33.
- سعد الله أبو القاسم - " المترجمون الجزائروين وافريقية " - في . **مجلة الثقافة**. العدد 113. 1996.

- (- - - - - - - - - - - ، - - - - - - - - - - -)، مهمة موتـــيـــلانسكي في سوف لدراسة اللهجة الغدامسية سنة 1903 " - في . **مجلة الثقافة**. الجزائر. مارس. أفريل 1995. العدد 107 – 108.

- الشأبي علي، مصادر جديدة لدراسة تاريخ الشابية - في - **المجلة التاريخية المغربية**. يناير 1979.

- صيد عبد الحليم ، محمد بن عزوز شيخ العلماء والمجاهدين- في - **مجلة الثقافة**. الجزائر. 1997. العدد 115.

- مياسي ابراهيم ، " الاحتلال الفرنسي لوادي سوف " - في - **جريدة الشعب**. الجزائر. الخميس. 15 جانفي 1998.

- (- - - - - - - - - - - ، - - - - - - - - - - -)، " من تاريخ وادي ســوف مدينة الالف قبة " ـــ في ـــ **مجلة الثقافة**. الجزائر. 1996. العدد 113.

- هلال عمار، الشيخ عبد العزيز بن محمد الهاشمي - في - **مجلة الثقافة**. الجزائر. 1986. العدد95.

- هيشـور بوجمعة ، اثنولوجية وادي سـوف: " ملامح تاريخية لعرشي عدوان وطرود " ـــ في ـــ **جريدة النصر**. الجزائر. الخميس 28 أفريل 1994. العدد 6349.

- "**صوت وادي سوف** " جريدة تصدر باللغتين وليس لها أوقات معلومة. تصدر عن المكتب الفرنسي الخامس بالوادي. عدد سنة 1958. مخطوطة بالستانسيل.

ثانيا: باللغة الفرنسية:

- Commandant Cauvet – la Culture du palmier au Souf –**revue Africaine** . 1er trimestre . 1914

- Commandant Couvet – Notes sur le souf et les souafa – **Bulletin de la societé de geographie d'Alger**. 1934.

- D. Escard – Etude medicale et climatologique sur le pays de l'oued-Souf – **publié dans les archives de medecine militaire** en 1886. T 7 .

- Capitaine Roger leselle – les noirs du Souf – **Supplement au bulletin de liaison Saharien** –S D.

- xxx - Dis Ans de realisation communale dans l'annexe d'El-oued – **Bulletin de laison Saharienne** – Immeuble Mouritania – Alger. 1958.

ب) مدونات الملتقيات:

- بن معمر محمد، " علاقة بنــي جلاب سلاطين تقرت بالسلطة العثمانـيــة في الجزائر" – في -**مدونة الملتقى التاريخي الثالث** - لفتــرة حكم بنــي جلاب في منطقة وادي ريغ 1898. الجمعية التاريخية الوفاء للشهيد بتقرت. الآمال للطباعة الوادي، 1999.

- بن نعمية عبد المجيد ،" مواقف شيوخ بني جلاب في تقرت من الاحتلال الفرنسي 1830 – 1854 " –في**مدونة الملتقى التاريخي الثالث** - لفترة حكم بني جلاب بمنطقة وادي ريغ. (1998) .

- بوصبـــيـــع العايش علي، " النخيل ثقافيا واقتصاديا في حياة اهل سـوف " - في**مدونة محاضـرات الندوة الفكرية الثامنة** - للجمعية الوطنـــيـــة الثقافية محمد الامين العمودي بالوادي أيام 28 - 30 - 1995.

- بوعزيز يحي،" تهريب الاسـلحة عبـــر الحدود للمقاومة الجزائرية لمحاربة جيش الاحتلال" **محاضـرة مخطوطة**، قدمت في الملتقى الوطنـي الأول حول قوافل التسليح لثورة اول نوفمبـر. 1954 بالوادي من 19 إلى 20 مارس 1999.

- (- - - - - - - - - - - ، - - - - - - - - - - -)، ثورة ابن ناصـــر بن شـــهرة 1850 – 1875 - في - **من أبطال المقاومة الشعبـــيـــة بالجنوب**مدونة الملتقى الوطنـــي الثالث للمقاومة الشـعبـــيـــة للإحتلال الفرنسي بالجنوب. الاغواط 23 إلى 25 ماي 1998. وزارة المجاهدين. ولاية الاغواط.

- (- - - - - - - - - - - ، - - - - - - - - - - -)، " طرق القوافل والاسـواق التجارية بالصحراء الكبـــرى كما وجدها الاوربـــيـــون خلال القرن التاسع عشر -في"**مدونة بعنوان " تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر**" - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. معهد البحوث والدراسات. بغداد. 1984.

- بوكوشة حمزة ، الشيخ الهاشمي الشريف وانتفاضة وادي سوف 1918 – **محاضرة مرقونة** القيت بورقلة بثانوية ملاح بمناسبة الموسم الثقافي أفريل 1987، لديّ نسخة منها.

- الجيلالي عبد الرحمان، " ابن ناصر بن شهرة (1804 – 1884) "- في**من ابطال المقاومات الشعبـية بالجنوب** - مدونة الملتقى الوطني الثالث للمقاومة الشعبية للإحتلال الفرنسي بالجنوب. الاغواط 1998.

- دبأبي محمد الصغير، "حقائق من تاريخ بني جلاب بوادي ريغ" - في**مدونة الملتقى التاريخي الثالث**- لفترة حكم بني جلاب بوادي ريغ. 1998.

- عبد الجواد محمد الطاهر، عاصمة وادي ريغ (تقرت) أيام بنـي جلاب - في - **مدونة الملتقى التاريخي الثالث**- لفترة حكم بني جلاب في منطقة وادي ريغ 1898.

- أحميدة عميـــراوي، " مقاومة الشـريف محمد بن عبد الله في الجنوب من خلال وثائق نادرة " ـــ في . **مدونة أشـغال ملتقى مقاومة الشـريف محمد بن عبد الله بورقلة**- جمعية الانتفاضـة الشـعبـــيـــة التاريخية بورقلة. فبراير 1998.

5.المعاجم والمراجع الجغرافية:

أ) باللغة العربية:

- ابن منظور ، **لسان العرب** ،الدار المصرية للتاليف والترجمة. بدون تاريخ. ج 11.

- العربي اسماعيل، **الصحراء الكبري وشواطئها** ، المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. 1983.

- غيرستر جورج ، **الصحراء الكبرى**، تعريب خيري حماد. منشورات المكتب التجاري. ط 1. بيروت. 1961.

- فيرون ريمون، **الصحراء الكبرى** ، ترجمة د. جمال الدناصوري. مراجعة د. شكري نصر. مؤسسة سجل العرب القاهرة. 1963.

- نويهض عادل ، **معجم أعلام الجزائر**، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع. ط 1. بيروت. (1971) .

ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، دار صادر. بيروت. 1977. مج 5.

- **الاطلس العالمي** ، المعهد التربوي الوطني الجزائري. الجزائر. 1983.

- **المنجد في اللغة والأعلام** ، منشورات دار المشرق. ط 28. بيروت. 1986.

- **خريطة افرقية الاقتصادية**، تأليف ج. انسكمبـــر، تحقيق ع. الذويب الناشر MDIسان جرمان، آن لاي 1978، فرنسا.

ب) باللغة الفرنسية:

- C. Nesson – **les Oasis de l'oued righ** – dans – Oasis du Sahara Algerien – institut geographique national.Paris 1973.

- **Hachette le dictionnaire du Français** – Edition Algerienne- ENAG. Alger. 1993.

- Julles Trousset – **nouveau Dictionnaire Encyclopedique**- Librairie illustree.SD. Paris v 4

- **Petit larousse illustré** –librairie larousse. Paris 1990

- **Carte de tozeur** – Publié par le service geographique de l'armeé Francaise – en 1929.

- **Carte de l'Algerie**- Publié par le Service de protection de vegétaux. SD . Gouvernement genéral de l'Algerie.

6. المراسلات واللقاءات الشخصية:

- رسالة حمزة بوكوشة من الجزائر 12 جانفي 1994.

- (- - - - - - - - - - - - ، - - - - - - - - - - - -)، من الجزائر 9 فيفري 1994.

- رسالة الدكتور أبو القاسم سعد الله من الأردن سنة 2000.

- لقاءات مع السيد الحاج لخضر الجدلة [غنابزية- والدي] بمنـزله بالوادي 18 /04/ 1995/ – 28 / 04 / 1995.

- لقاءات مع السيد أحمد خراز في ببيته بالوادي 19 / 11 / 1996 – 24 / 03 / 2001.

- لقاء مع السيد البشير أحمدي في بيته بكوينين 13 / 07 / 1998.

- لقاءات مشتـــركة مع السيدين أحمد خراز والبشيـــر أحمدي بالوادي 20 /04 / 1998 - 13 / 07 /1998.

- لقاء مع شيخ الزاوية التجانية بتاغزوت أحميدة ينبعي 10 / 02 / 1998.

- لقاء مع السيد الصادق اقديري في منزله بالوادي 02 / 07 / 2000.

- لقاء مع السيد علي السعيدي في بيته بحاسي خليفة 16 / 07 / 2000.

- لقاء مع السيد باقي الطاهر بالبياضة 09 / 08 / 2000.

- لقاء مع السيد بيكي محمد في بيته بالوادي 12 / 08 / 2000.

- لقاء مع الشيخ قروي محمود في بيته بالوادي 18 / 08 / 2000.

- لقاء مع السـيد موسـاوي لزهاري ومرافقته لمعاينة منـــزليـــن أثريـــن في حي المصـاعبة بالوادي 2001/03/2.

فهرس الموضوعات

الاهداء .....

شكر وغرفان.....

تصدير المؤلف.....

المقدمة.....

المدخل.....

الفصل الأول

الأوضاع السياسية والإدارية في منطقة وادي سوف في القرن التاسع عشر

1. الوضع السياسي لوادي سوف في النصف الأول من القرن التاسع عشر.....

2. ظروف الإحتلال الفرنسي لوادي سوف ومراحله.....

3. الوضع الإداري لمنطقة وادي سوف خلال القرن التاسع عشر.....

4. النظام القضائي لمنطقة وادي سوف خلال القرن التاسع عشر.....

الفصل الثاني

النشاط الاقتصادي للمجتمع السوفي خلال القرن التاسع عشر

1. دور الزراعة في تنمية المجتمع السوفي.....

2. دور الصناعة التقليدية في المجتمع السوفي.....

3. النشاطات التجارية في المجتمع السوفي في القرن التاسع عشر.....

4. قطاع الخدمات في المجتمع السوفي خلال القرن التاسع عشر.....

الفصل الثالث

الأسس والعلاقات الإجتماعية في المجتمع السوفي خلال القرن التاسع عشر

1. بنية المجتمع السوفي.....

2. المستوى المعيشي والصحي للمجتمع السوفي.....

3. العادات والتقاليد في المجتمع السوفي.....

الفصل الرابع

الحياة الثقافية والدينية في المجتمع السوفي خلال القرن التاسع عشر

1. الحياة الثقافية في المجتمع السوفي .....
2. التراث الفكري المخطوط والمكتبات في سوف .....
3. الحياة الدينية وأثرها في المجتمع السوفي .....
4. المراكز الدينية في المجتمع السوفي خلال القرن التاسع عشر .....
الخاتمة .....
الملاحق .....
نبذة عن المصادر والمراجع .....
البيبلوغرافية .....
الفهارس .....
فهرس الأعلام .....
فهرس القبائل والجماعات.....
فهرس الأماكن والبلدان.....
فهرس الخرائط.....
فهرس الموضوعات.....

الكاتب في سطور

-البروفيسور علي بن الحاج الأخضر بن احمد بن خليفة بن العربي بالغنبازي. ولد يوم 19 مارس 1959 بمدينة الوادي قاعدة (وادي سوف). وتلقى تعليمه الأولي في المدرسة القرآنية، ثم في مدارس التربية إلى أن نال شهادة الباكلوريا(1979) والتحق بجامعة قسنطينة ونال شهادة الليسانس في التاريخ دورة (جوان 1983)، وشهادتي الماجستير (أفريل 2002) والدكتوراه (ماي 2009) من جامعة الجزائر.

- باحث أكاديمي، وأستاذ التعليم العالي بجامعة الوادي (الجمهورية الجزائرية) والمهتم بالتاريخ المحلي لمنطقة وادي سوف، وتاريخ الفكر الإسلامي.

- أستاذا للتعليم الثانوي ما بين (سبتمبر1985 إلى ديسمبر2002 بالوادي)، ثم التحق بجامعة الوادي، منذ ديسمبر 2002، بصفته أستاذا للتاريخ الحديث والمعاصر، وله نشاط كثيف، في عضوية اللجان العلمية، ورئيس لبعض الملتقيات والأيام الدراسية المنظمة في الجامعة وعلى المستوى الوطني. وتولى رئاسة المجلس العلمي لمعهد العلوم الاجتماعية والإنسانية 2011/2010، وحاليا رئيس المجلس العلمي لكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية بجامعة الوادي. كما تولى رئيسا للجنة العلمية لقسم العلوم الإنسانية 2016/2015. وهو مؤسس ورئيس المنتدى الأكاديمي للدراسات التاريخية بجامعة الوادي.

- رئيسا للمجلس العلمي لمتحف المجاهد بالوادي منذ 2007 إلى اليوم. وعضو المجلس العلمي للمتحف الجهوي للمجاهد ببسكرة. ورئيس فرع ولاية الوادي للمنتدى الوطني للفكر والدراسة والبحث التاريخي لمركز الحركة الوطنية.

- تقديم العديد من المحاضرات والندوات والدورات العلمية في المساجد، والمدارس الشعبية والجمعيات والنوادي الثقافية ومراكز الشباب عبر بلديات ولاية الوادي وخارجها. وهو خطيب الجمعة في مسجد صلاح الدين الأيوبي (2019-1986).

- المساهمة بعشرات المقالات الفكرية والتاريخية في الصحف والمجلات الدولية والوطنية والمحلية.

- التعاون مع إذاعة سوف الجهوية، وإنتاج عدة برامج ذات طابع فكري وثقافي وتاريخي.

- المشاركة في أول موقع لوادي سوف على الأنترنيت، (موقع wadsouf .com) في سنة 2002.

والمساهمة في موقع خاص متخصص في التراث التاريخي منذ 2015 هو (أمجاد سوف) amjadsouf.com

- إصدارات:

- ديوان الخطب المنبرية في المناسبات الوطنية.
- تنوير الأنام بأخلاق الصيام.
- الشيخ سيدي مصباح بن سيدي سالم ومآثره في الزاوية السالمية بوادي سوف.
- دراسات في تاريخ المقاومة الثقافية بالجزائر للحفاظ على الهوية الوطنية (جزءان).
- مساهمات علماء وادي سوف في النهضة العلمية والحركة الصحفية الوطنية 1900 - 1986.
- الشيخ محمد بن عمر العدواني حياته ومآثره.
- أدوار الكفاح المسلح بوادي سوف.
- مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية (أطروحة الدكتوراه).
- الدليل الأكاديمي للأعمال الموجهة في الدراسة التاريخية الجامعية.
- تاريخ العلاقات العثمانية المغاربية وأثرها الجيوسراتيجي على ضفتي البحر المتوسط 1492 – 1911.

- إصدارات بالاشتراك:

- مفكرة نهاية القرن العشرين 1999- 2000.
- مذكرة نفيسة للشيخ مبروك الشامسي، تقديم وترتيب وتعليق.
- من وحي المعركة. محاضرات ودراسات.
- مذكرات المجاهد بوغزالة حمد الهادي، تقديم وتحقيق.
- مذكرات المجاهد إبراهيم معتوقي، تقديم وتحقيق.

هذا الكتاب

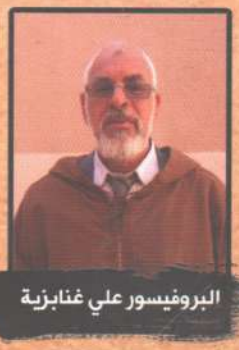

البروفيسور علي غنابزية

يعتبر دراسة تاريخية جديدة، لمجتمع وادي سوف في القرن التاسع عشر، والذي شهد مراحل الغزو الفرنسي للمنطقة، واستقرار إدارته المحلية، وما رافق ذلك من احتلال لتونس سنة 1881، وارتباطه بالمقاومات الشعبية خلال ثلاثة عقود متواصلة، أبدى فيها أهل سوف بطولات خالدة، فضلا عن الحياة السياسية والاقتصادية، والأحوال الاجتماعية، والنشاطات الثقافية.

وكانت الدراسات - سابقا - مقتصرة على الكتاب الفرنسيين حول وادي سوف، بحكم تنفذهم واهتمامهم وظل ذلك مؤجلا بإنجاز دراسات بأقلام وطنية، واستمر الانتظار إلى سنة 2002، عندما أنجزت هذه الدراسة العلمية الأولى من نوعها في مجالها، بجامعة الجزائر، وانتشرت في الأوساط العلمية، وأثارت السبيل لدراسات جديدة، واستفاد منها الكثير، وهي مخطوطة، وأحدثت التواصل في الميدان العلمي، وكله في خدمة التاريخ المحلي العريق، والمساهمة في كتابة تاريخ الجزائر العميق.

إصدارات المؤلف:

- ديوان الخطب المنبرية في المناسبات الوطنية.
- تنوير الأنام بأخلاق الصيام.
- الشيخ سيدي مصباح بن سيدي سالم ومآثره في الزاوية السالمية بوادي سوف.
- دراسات في تاريخ المقاومة الثقافية بالجزائر للحفاظ على الهوية الوطنية (جزءان).
- مساهمات علماء وادي سوف في النهضة العلمية والحركة الصحفية الوطنية 1900-1986.
- الشيخ محمد بن عمر العدواني حياته ومآثره.
- أدوار الكفاح المسلح بوادي سوف.
- مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية (أطروحة الدكتوراه).
- الدليل الأكاديمي للأعمال الموجهة في الدراسة التاريخية الجامعية.
- تاريخ العلاقات العثمانية المغاربية وأثرها الجيوستراتيجي على ضفتي البحر المتوسط 1492-1911.

إصدارات بالاشتراك:

- مفكرة نهاية القرن العشرين 1999- 2000.
- مذكرة نفيسة للشيخ مبروك الشامسي، تقديم وترتيب وتعليق.
- من وحي المعركة - محاضرات ودراسات.
- مذكرات المجاهد بوغزالة حمد الهادي، تقديم وتحقيق.
- مذكرات المجاهد إبراهيم معتوقي، تقديم وتحقيق.

مطبعة الرمال
ولاية الوادي - الجزائر
imprimerierimel39@gmail.com
9 789931 625520